صناعة المشاهير

الشهرة وعالم الأضواء في ميزان شريعة الرحمن

فضيلة الشيخ الدكتور

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

دار القمة

لتوزيع الكتاب والشريط والسي دي

فاكس: ٥٤٥١٧٦٩ ت: ٥٢٢٢٠٠٢

دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

صناعة المشاهير

الشهرة وعالم الأضواء في ميزان شريعة الرحمن

فضيلة الشيخ الدكتور

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

دار القمة

للتوزيع الكتاب والشريط والتسجيل

فاكس: ٥٤٥١٧٦٩ ت: ٥٢٢٢٠٠٢

دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

الإسكندرية ٥٤٥٧٧٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا تقبل منا
إنك أنت السميع العليم

جميع الحقوق محفوظة

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع

رقم الإيداع ٢٠٠٤/٥٠٧٢
الترقيم الدولى
977-331-265-8

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾

[النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (٧١) ﴾

[الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

الشهرة لها بريق ولمعان يكادُ يخطف بأبصار الكثيرين من الناس، الأمر الذي يجعلهم يتهافتون على مصاحبة المشهورين ومجالستهم، والاستماع إليهم، وتناقل كلماتهم حتَّى ولو كانت فاسدة ومؤذية مما ينطوي على خطر عظيم؛ ولذلك قالوا: ذلة عالم يُضرب بها الطبل. وذلك بعكس من لا يُؤبه له ولا يُلتفت إليه؛ فالمشهورون عادة هم القدوة والأسوة في نظر الناس.

وقد أصبحت الشهرة صناعة وحرفة تقوم على أُسس وضوابط ويُبذل في سبيلها الكثير من المال والجهد، وهي تتفاوت تفاوتًا عظيمًا من مجال لآخر، وهذه الشهرة لا تقتصر على الرجال دون النساء، ولا على الكبار دون الصغار، ولا على الصالحين دون المفسدين في الأرض؛ فإبليس من أكثر الخَلْقِ شهرة، وهي أيضًا قد تعدَّت عالم البشر إلى عالم الملائكة الأبرار، وعالم الجن والشياطين، ولم تقتصر على الأشخاص، وإنما تعدَّتهم إلى الأماكن والأشياء؛ كعجائب الدنيا السبعة وغيرها.

وحيث إننا نعيش عالمًا ماديًا افتتن بالزخارف والنقوش والزينة، وتباعد عن دين الله، وعن المقاييس الحقة؛ فعاش حياة أشبه بالسراب يحسبه الظمآن ماءً حتَّى إذا جاءه لم يجده شيئًا، ووجد الله عنده فوفاه حسابه، والله سريع الحساب، وأصبحت حالة قطاعات كبيرة من البشر كما وصفهم رب العزة جل وعلا ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** (٧) ﴾ [الروم: ٧]؛ لذا وجب علينا أن نكون على بصيرة من أمرنا وأمر الناس، بل والكون من حولنا، وذلك لقوله تعالى: ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** (١٠٨) ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وهذه البصيرة تستلزم العلم والعمل والدعوة إلى الله تعالى والصبر على ذلك كله، وقد بايع النَّبي ﷺ بعض صحابته على النصح لكل مسلم، وروى مسلم عن تميم الداري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدين النصيحة**» ثلاثًا، قلنا: لمن يا رسول الله؟. قال: «**لله عز وجل ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**».

وهذه الكلمة نصيحة واجبة، خصوصًا والشهرة لها سطوة كبيرة على النفوس، والناس هنا وهناك يتابعون حياة النجوم - هكذا سموهم - حتَّى وإن كانوا فسقة وفجرة، وأصبحت أسماء الشهرة تُباع وتُشترى، وقد دخلت الشهرة إلى كل ميدان؛ كالعلم والرياضة والفن بأنواعه والسياسة والجمال والمال، وكل

هذه المجالات لها مشاهيرها الذين يتطلع الناس إليهم بشغف، بل ويحاولون السير في ركابهم واللحاق بهم، وإذا كان هذا هو شأن الكثيرين من الناس؛ فالمسلم له شأن آخر؛ فالشهرة وذيوع الصيت لا تصلح ضابطًا وميزانًا عنده للقبول والرفض، وهو قد أخضع قوله وفعله ورأيه وهواه ومشاعره لكتاب ربه وسنة نبيه ﷺ، وذلك هو الميزان الذي يجب على الدنيا بأسرها أن تتحاكم إليه، والحق مقبول من كل من جاء به كائنًا من كان، والباطل والشر والفساد مردود على صاحبه أيضًا كائنًا من كان، فالخلق خلقه، والعبد عبده، والأمر أمره، والحلال ما أحل، والحرام ما حرم، والدين ما شرع؛ قال تعالى: ﴿ **أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤)** ﴾ [الملك: ١٤]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الجاثية: ١٨]، وقال جلَّ وعلا: ﴿ **اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (١٠٦)** ﴾ [الأنعام: ١٠٦].

ومجرد انتشار الأمر وذيوعه لا يجعل الأمر مقبولاً بالحتمية واللزوم حتَّى وإن تناقلته الألْسِنَةُ، وصارَ عرفًا وعادة وأمرًا واقعًا، بل حتَّى وإن رضيه الناس؛ فالرضى بالمنكر منكر، كالتراضي الذي يحدث بين الزناة وشاربي الخمر، والذين يتعاملون بالربى؛ فكل هذا حرام حتَّى وإن واقعته الكثرة الكاثرة من الناس؛ فالمسلم الصادق هو الذي يتحاكم لإسلامه في كل صغيرة وكبيرة، بل ويسعى لتحكيمه في واقعه وواقع الناس فلا يقدم على دين الله قولاً ولا عملاً ولا عرفًا ولا رأيًا ولا واقعًا، وقد ورد الأمر بطاعة الله ورسوله، والتحذير من المخالفة قال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا (٣٦)** ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا (٦٩)** ﴾ [النساء: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿ **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾ [النساء: ٨٠].

قال الإمام الشافعي في «الرسالة»: «وشهد له جل ثناؤه باستمساكه بما أمره به والهدى في نفسه وهداية من اتبعه فقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢)﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال ﷺ: «**تركتكم على بيضاء نقيَّة ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلاَّ هالك**» [رواه أحمد وابن ماجه]، وقال في حجة الوداع: «**اللهم قد بلَّغت، اللهم فاشهد**» ولا يخفى على العاقل أن في أمر الله نبيه باتباع ما أوحي إليه أمرا لنا» اهـ.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)**﴾ [النور: ٦٣].

قال الإمام ابن كثير: «وقوله: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ**﴾ أي عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته؛ فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قُبل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائنًا من كان، كما ثبتَ في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**» أي فليحذر وليخشَ من خالف شريعة الرسول ﷺ باطنًا أو ظاهرًا ﴿**أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ**﴾ أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿**أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ أي في الدنيا بقتل أو حدٍ أو حبس أو نحو ذلك» اهـ.

والفتنة هنا القتل، قاله ابن عباس، وقيل الطبع على القلوب بشؤم مخالفة الرسول ﷺ، ولما أتى رجل للإمام مالك – رحمه الله – فقال: يا أبا عبد الله من أين أُحرم؟ قال: من ذي الحليفة، من حيث أحرم رسول الله ﷺ، فقال إني أُريد أن أحرم من المسجد (أي من أبعد من الميقات) فقال الإمام: لا تفعل. فقال الرجل: ولما؟ قال: فإني أخاف عليك الفتنة. فقال: وأي فتنة هذه إنما هي أميال أزيدها؟! قال الإمام: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر

عنها رسول الله ﷺ؟ إني سمعت الله يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣) ﴾ [النور: ٦٣].

وقد قال ﷺ: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**» [رواه البخاري]، وقال أيضًا: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي**».

فيجب على المسلمين في أقطار الأرض مشارقها ومغاربها أن يردوا حكم ما تنازعوا فيه لكتاب الله ولسنة رسوله ﷺ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٥٩) ﴾ [النساء: ٥٩].

وقد أقسم ربنا جل وعلا قسمًا يعرف مضمونه أولوا الأحلام والنُهى، فقال سبحانه: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥) ﴾ [النساء: ٦٥]، فأقسم سبحانه بنفسه، وأضاف اسم الربوبية لرسول الله ﷺ تشريفًا له، ثم نفى اسم الإيمان عمن لم يحكم شرع الله، وينقد لأمر رسول الله، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنًا وظاهرًا؛ ولهذا قال: ﴿ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ أي إذا حكَّموك يطيعونك في بواطنهم، فلا يجدون في أنفسهم حرجًا مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن؛ فيسلمون لذلك تسليمًا كليًا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة كما ورد في الحديث: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به**» [رواه البغويّ في شرح السُّنَّة، والنوويّ في الأربعين، وضعَّفه الألبانيّ، ومعناه صحيح].

إذا اتَّضح ذلك فالواجب علينا أن نُحكِّم هذا الضابط ونتحاكم له في كل ناحية من نواحي الحياة وزاوية من زواياها، سواء تعلقت بالفرد أم بالجماعة،

وسواء أكانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو أخلاقية، وسواء أكانت بالمسجد أم بالسوق ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ [مريم : ٦٤]، بل هذا أيضًا هو ضابطنا في الحكم على المشاعر والأحاسيس والعواطف والوجدانات.

وفي ضوء هذا الميزان سنميز بين الغثِّ والسمين، وبين ما هو نافع أو ضار، وبين ما هو مقبول من الشهرة وما يذم منها، ونسأل الله أن يجعل عملنا خالصًا لوجهه الكريم وأن يُثيبنا عليه جنات النعيم مع الذين أنعم عليهم من النبيِّين، والصديقين والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

فاللهم احملنا على فضلك، وعاملنا بلطفك، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الشهرة ومشتقاتها

الشهرة معناها الانتشار والظهور، وهي ضد الاستتار والإخفاء.

قال في المصباح المنير : الحديث شهراً وشهرة أفشيته فاشتهر.

وقال في «مختار الصحاح» : الشهرة وضوح الأمر، ويقال: لفلان فضيلة اشتهرها الناس، ويكثر على ألسنة الناس قولهم: «فلان أشهر من نار على علم» ويقولون فلان شهَّر بفلان، إذا أشاع عليه قالة السوء، ونسب النقائص له، وقيل عن الشهر شهراً؛ لاشتهاره بين الناس.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «فالشهر ما اشتهر بين الناس، وسمي به الهلال لوضوحه وشهرته، وجمعه شهور وأشهر، قال تعالى: ﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ**﴾ [البقرة: ١٩٧]، وهي شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ**﴾ [التوبة: ٣٦]، وهذه الأشهر الأربعة هي: رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم.

وأَشْهَرْنَا أي أتى علينا شهر، قال ابن السكيت: أشْهَرْنا في هذا المكان أقمنا فيه شهراً، وقال ثعلب: أشهرنا دخلنا في الشهر، ومن شروط صحة عقد الزواج الإشهار، ويقصد به الإعلان؛ بحيث يخرج عن أن يكون نكاح سر، ويكفي هذا عند مالك وأصحابه، وقد اشترط الشافعي وأبو حنيفة شهادة الرجلين على الزواج فصاعداً، وإلاَّ فُسخ العقد ويخرج بذلك أيضاً عن حد السر، ويشتهر أمر الزواج وفي كتاب «تلبيس إبليس» : أن ابن عمر رأى على ولده ثوباً قبيحاً دونًا، فقال: لا تلبس هذا؛ فإن هذا الثوب شهرة .

ونقل عن بريدة أنه قال : شهدت مع رسول الله ﷺ فتح خيبر، وكنت فيمن

صعد الثلمة، فقال: حتَّى رأى مكاني، وأتيتُ وعليَّ ثوب أحمر، فما علمتُ أني ارتكبت في الإسلام ذنبًا أعظم منه للشهرة.

وقال سفيان الثوري: كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجياد التي يُشتهر بها، ويرفع الناس إليه فيها أبصارهم، والثياب الرديئة التي يحتقر فيها ويستذل، وقال معمر: عاتبت أيوب على طول قميصه، فقال: إن الشهرة فيما مضى كانت في طوله، وهي اليوم في تشميره.

قال المصنف: وقد كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة لا المرتفعة ولا الدون، ويتخيرون أجودها للجمعة والعيدين ولقاء الإخوان، ولم يكن غير الأجود عندهم قبيحًا، وقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه رأى حلة سيراء تُباع عند باب المسجد فقال لرسول الله ﷺ: لو اشتريتها ليوم الجمعة وللوفود إذا قدموا عليك. فقال رسول الله ﷺ: «**إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة**» فما أنكر عليه ذكر التجمل بها، وإنما أنكر عليه لكونها حريرا. اهـ.

أخرج أبو داود والنسائي وابن ماجه عن ابن عمر مرفوعًا: «**من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة**» وفي رواية «**ألبسه الله يوم القيامة ثوبًا مثله**» وزاد أبو عوانة «**ثم تلهب فيه النار**».

قال ابن رسلان: «إنما كان الوعيد؛ لأنه لبس ثوب شهرة في الدنيا يتعزز به ويفتخر على غيره؛ فيُلبسه الله يوم القيامة ثوبًا تشتهر به مذلته واحتقاره بينهم عقوبة له، والعقوبة من جنس العمل» . اهـ.

والإنسان قد يشتهر بحيث يتميز على أقرانه، ويسبق أمثاله مما يؤدي لظهور أمره وانتشاره، وهذا قد يحدث بصفة خلقية أودعها الله فيه كالقوة والطول والجمال، أو بأمر كَسْبي كأساليب الغش والخداع السياسي، والمعاني التي يشتهر بها الناس، منها ما هو صالح ومنها ما هو قبيح.

السبق والمنافسة

المنافسة في اللغة مشتقة من النفاسة، والذي يدل على مشروعيتها قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦)﴾[المطففين: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[الحديد: ٢١]، وإنما المسابقة عند خوف الفوت، وهو كالعبدين يتسابقان إلى خدمة مولاهما إذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها.

والمنافسة قد تكون واجبة أو مندوبة أو مباحة، وقد يستعمل لفظ الحسد بدل المنافسة، والمنافسة بدل الحسد، قال الفضل بن العباس لما أراد هو والمطلب ابن ربيعة أن يأتيا النبي ﷺ فيسألاه أن يُؤَمِّرهما على الصدقة، فقال لهما عليّ رضي الله عنه لا تذهبا إليه؛ فإنه لا يؤمركما عليها، فقالا له: ما هذا منك إلاَّ نفاسة، والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك. [رواه مسلم]، أي هذا منك حسد، وما حسدناك على تزويجه إياك.

وفي الحديث «**لا حسد إلاَّ في اثنتين، رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله علماً فهو يعمل به ويُعلمه الناس**»[متفق عليه].

وفي حديث أبي كبشة الأنماري قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل هذه الأمة مثل أربعة: رجل آتاه الله مالاً وعلماً، فهو يعمل بعلمه في ماله، ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً، فيقول رب لو أن لي مالاً مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله، فهما في الأجر سواء، ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو ينفقه في معاصي الله، ورجل لم يؤته الله علماً ولم يؤته مالاً، فيقول: لو أنَّ لي مثل مال فلان لكنت أُنفقه في مثل ما أنفقه فيه من المعاصي، فهما في الوزر سواء**»[رواه ابن ماجه، والترمذي، وقال: حسن صحيح]، فذمه النّبي ﷺ من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ماله، ثم إن

كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة فهذه المنافسة واجبة، وإن كانت من الفضائل كإنفاق المال في المكارم والصدقات؛ فالمنافسة فيها مندوب إليها، وإن كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح ؛ فالمنافسة فيها مباحة.

والحسد المشروع كما في الحديث «**لا حسد إلاَّ في اثنتين**» يُطلق عليه اسم الغبطة؛ إذ ليس فيه تمني زوال النعمة ولا كراهتها، ويرجع إلى إرادة المساواة واللحوق به في النعمة كمن يُحب الدار الحسنة أو المرأة الجميلة أو ولاية نافذة، أو سعة نالها غيره.

والسبق يحدث في معنى يتعلق بالصفات أو الزمان أو المكان؛ فقد يحدث في علمٍ أو سنٍ أو مكانة أو رياضة، ويقول النَّبي ﷺ : «**لا سبق إلاَّ في خف، أو حافر، أو نصل**» والمراد من السَّبق في الحديث هنا ما يوضع رهنًا ويأخذه الفائز في سباق أو رماية، وهذا الرهن يضعه أحد المتسابقين أو تضعه الحكومة أو جمعية خيرية، أو بعض الأفراد المحسنين؛ وذلك ليخلو من كل شبهة، ويتمحَّض للتشجيع الخالص الذي لا يراد به إلاَّ الترغيب في الإعداد للجهاد.

وفي الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية:

«ويجوز اللعب بما قد يكون فيه مصلحة بلا مغرة وظاهر كلام أبي العباس لا يجوز اللعب المعروف بالطاب والمنقلة وكل ما أفضى كثيره إلى حرمة إذا لم يكن فيه مصلحة راجحة؛ لأنه يكون سببًا للشر والفساد، وما ألهى وشغل عن ما أمر الله به فهو منهي عنه، وإن لم يحرم جنسه كالبيع والتجارة، وسائر ما يتلهَّى به البطالون من أنواع اللهو وسائر ضروب اللعب مما لا يُستعان به على حق شرعي فكله حرام، وروى أحمد والبخاري ومسلم «أن عائشة رضي الله عنها وجوار كُنَّ يلعبن بالبنات – وهن اللعب – والنبي ﷺ يراهن» فيرخَص فيه للصغار ما لا يرخص فيه للكبار، والصراع والسبق بالأقدام ونحوهما طاعة إذا قصد به نصرة الإسلام، وأخذ السبق عليه أخذ بالحق؛ فالمغالبة الجائزة تحل بالعوض إذا كانت مما ينتفع به

في الدين، كما في مراهنة أبي بكر رضي الله عنه وهو أحد الوجهين في المذهب، قلت: وظاهر ذلك جواز الرهان في العلم وفاقًا للحنفية لقيام الدين بالجهاد والعلم، والله أعلم» اهـ.

﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

قال أبو منصور البغدادي التميمي: أصحابنا مُجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة ثم الستة الباقون إلى تمام العشرة، ثم البدريون، ثم أصحاب أُحُد، ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية.

وقال القرطبي في تفسيره: «لا خلاف أن أول السابقين من المهاجرين أبو بكر الصديق، قال ابن العربي: السبق يكون بثلاثة أشياء: الإيمان والزمان والمكان، وأفضل هذه الوجوه سبق الصفات، والدليل عليه قوله ﷺ في الصحيح: «**نحن الآخرون الأولون، بَيْدَ أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه؛ فهدانا الله له؛ فاليهود غداً والنصارى بعد غد**» فأخبر النَّبي ﷺ أن من سبقنا من الأمم بالزمان سبقناهم بالإيمان والامتثال لأمر الله تعالى والانقياد إليه والاستسلام لأمره والرضا بتكليفه والاحتمال لوظائفه، لا نعترض عليه ولا نختار معه ولا نبدل بالرأي شريعته، كما فعل أهل الكتاب، وذلك بتوفيق الله لما قضاه وبتيسيره لما يرضاه، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله».

ثم نقل عن ابن خويز منداد قال: «تضمنت هذه الآية تفضيل السابقين إلى كل منقبة من مناقب الشريعة في علم أو دين أو شجاعة أو غير ذلك، في العطاء في المال، والرتبة في الإكرام، وفي هذه المسألة خلاف بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، واختلف العلماء في تفضيل السابقين بالعطاء على غيرهم، فروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان لا يفضل بين الناس في العطاء بعضهم على بعض بحسب السابقة، وكان عمر يقول به أتجعل ذا السابقة كمن لا سابقة له؟ فقال أبو بكر:

إنما عملوا لله وأجرهم عليه. وكان عمر رضي الله عنه يفضل في خلافته، ثم قال عند وفاته: لئن عشت إلى غد لألحق أسفل الناس بأعلاهم، فمات من ليلته، والخلاف إلى يومنا هذا على هذا الخلاف» اهـ.

«**لا يُؤمن أحدكم حتَّى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**».

وهذا الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ يرد على شبهة قوية تتعلق بالأخوة الإيمانية وتحقيقها ونحتاج في ذات الوقت إلى الجمع بينه وبين ما ذكرناه عن السبق والمنافسة؛ ففي هذا الحديث يُبين النبي ﷺ أن من جملة خصال الإيمان الواجبة أن يحب المرء لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه من المحامد الدينية والدنيوية، ويكره له ما يكره لنفسه، قال عبد الله ابن رواحة وأبو الدرداء: الإيمان كالقميص، يلبسه الإنسان تارة ويخلعه تارة أخرى، وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**من أحب أن يُزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر، ويأتي إلى الناس الذي يحب أن يُؤتى إليه**»، وفيه أيضًا عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا ذر إني أراك ضعيفًا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي؛ لا تتأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم**» وإنما نهاه عن ذلك لما رأى من ضعفه وهو ﷺ يُحب هذا لكل ضعيف، وإنما كان يتولى أمور الناس؛ لأن الله قواه على ذلك، وأمره بدعاء الخلق كلهم إلى طاعته، وأن يتولى سياسة دينهم ودنياهم.

وكان محمد بن واسع يبيع حماراً له، فقال له رجل: أترضاه لي؟ قال: لو رضيته لم أبعه. وهذه إشارة منه إلى أنه لا يرضى لأخيه إلاَّ ما يرضى لنفسه، وفي حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: «**مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**» [خرجاه في الصحيحين].

قال ابن رجب : وهذا يدل على أن المؤمن يسوءه ما يسوء أخاه المؤمن ويُحزنه ما يحزنه، وحديث أنس الذي نتكلم الآن فيه يدل على أن المؤمن يسره ما يسر أخاه المؤمن، ويريد لأخيه المؤمن ما يريد لنفسه من الخير، وهذا كله إنما يأتي من كمال سلامة الصدر من الغش والغل والحسد؛ فإن الحسد يقتضي أن يكره الحاسد أن يفوقه أحد في خير أو يساويه فيه؛ لأنه يحب أن يمتاز على الناس بفضائله وينفرد بها عنهم، والإيمان يقتضي خلاف ذلك وهو أن يشاركه المؤمنون كلهم فيما أعطاه الله من الخير من غير أن ينقص عليه منه شيء، وقد مدح الله تعالى في كتابه من لا يريد العلو في الأرض ولا الفساد، فقال: ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا** ﴾ [القصص: ٨٣].

إلى أن قال عكرمة وغيره من المفسرين في هذه الآية: العلو في الأرض التكبر وطلب الشرف والمنزلة عند ذي سلطانها، والفساد والعمل بالمعاصي، ثم قال وقد ورد ما يدل على أنه لا يأثم من كره أن يفوقه من الناس أحد في الجمال؛ فخرَّج الإمام أحمد رحمه الله والحاكم في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وعنده مالك بن مرارة الرهاوي فأدركته وهو يقول: يا رسول الله، قد قُسم لي من الجمال ما ترى فما أُحب أحداً من الناس فضلني بشراكين فما فوقهما، أليس ذلك هو البغي؟ فقال: «**لا ليس ذلك البغي، ولكن البغي من بطر** – أو قال: **سفه الحق، وغمط الناس** – ».

قال : «ومن هنا قال بعض السلف: التواضع أن تقبل الحق من كل من جاء به، و إن كان صغيراً؛ فمن قبل الحق ممن جاء به سواء كان صغيراً أو كبيراً، وسواء كان يحبه أو لا يحبه فهو متواضع، ومن أبى قبول الحق تعاظماً عليه، فهو متكبر وغمط الناس هو احتقارهم وازدراؤهم، وذلك يحصل من النظر إلى النفس بعين الكمال، وإلى غيره بعين النقص، قال بعض الصالحين من السلف: أهل المحبة لله نظروا بنور الله، وعطفوا على أهل معاصي الله، مقتوا أعمالهم وعطفوا عليهم

ليزيلوهم بالمواعظ عن أفعالهم وأشفقوا على أبدانهم من النار، وأما قوله عز وجل: ﴿ **وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ** ﴾ [النساء: ٣٢] فقد فُسِّر ذلك بالحسد وهو تمني الرجل نفس ما أعطي أخوه من أهل ومال وأن ينتقل ذلك إليه، وفُسر بتمني ما هو ممتنع شرعًا أو قدرًا؛ كتمني النساء أن يكنّ رجالاً، أو يكون لهن مثل ما للرجال من الفضائل الدينية كالجهاد، والدنيوية كالميراث والعقل والشهادة، ونحو ذلك، وقيل: إن الآية تشمل ذلك كله، ومع هذا فينبغي للمؤمن أن يحزن لفوات الفضائل الدينية، ولهذا أمر أن ينظر في الدين إلى من هو فوقه، وأن ينافس في طلب ذلك جهده وطاقته، كما قال تعالى: ﴿ **وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ** (٢٦) ﴾ [المطففين: ٢٦]، ولا يكره أن أحدًا يشاركه في ذلك، بل يحب للناس كلهم المنافسة فيه، ويحثهم على ذلك وهو من تمام أداء النصيحة للإخوان » اهـ .

بعض صور الشهرة

أولا: الشهرة بالعلم والصلاح

أودع ربنا جلَّ وعلا في العباد عقولاً وركَّب فيهم فطراً، ولم يكتف سبحانه بذلك، بل أنزل لهم الكتب وأرسل لهم الرسل؛ ليحيى من حيى عن بيّنة ويهلك من هلك أيضًا عن بيّنة، وقد قام الصراع منذ اليوم الأول الذي خُلِقَ فيه آدم، بين آدم وإبليس، ثم بين بني آدم وبين إبليس بعد ذلك، وقال سبحانه: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴿٦﴾﴾ [فاطر: ٦].

وافترق العباد إلى مؤمن وكافر، وقد قام بإزاء الطريق المستقيم الذي سار فيه الأنبياء والمرسلون وعباد الله الصالحين جاهليات كثيرة ومتنوعة، وكلها تلتقي في الكفر برب العالمين والمخالفة لهذا الصراط المستقيم؛ ولذلك خطَّ النَّبي ﷺ خطًا وخطَّ عن يمينه وشماله خطوطًا، وأشار للخط الذي في الوسط، وقال: «**هذا الصراط المستقيم**» وللخطوط التي عن اليمين والشمال قال: «**هذه سبل على رأس كل منها شيطان يدعو إليه**» ثم قرأ الآية: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣]، واقتضت حكمة الله جل وعلا أن يحدث تدافع وأن يتم صراع بين الحق والباطل، قال تعالى: ﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ**﴾ [البقرة: ٢٥١]، وقال: ﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٤٠].

وكتب سبحانه النصر لعباده المؤمنين فقال: ﴿**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي**

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ (٥١) ﴾[غافر: ٥١]، وقال: ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾[المجادلة: ٢١]، وقال أيضًا: ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[القصص: ٨٣]، وقد ابتدأت البشرية بنبي مُكلم فلم تتطور العقيدة، والدين الذي ارتضاه ربنا للعالمين من لدن آدم عليه السلام حتّى قيام الساعة هو الإسلام ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾[آل عمران: ١٩]، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥) ﴾[آل عمران: ٨٥].

مراتب الهداية:

مرتبة النبوة التي كان عليها آدم هي من أعلى مراتب الهداية، وقد أوصلها الإمام ابن القيم إلى عشر مراتب:

المرتبة الأولى:

مرتبة تكليم الله عز وجل لعبده يقظة بلا واسطة، بل منه إليه، وهذه أعلى مراتبها كما كلَّم موسى بن عمران صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه، قال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤) ﴾[النساء: ١٦٤]، وقد أخبر سبحانه في كتابه أنه ناداه وناجاه، وقال له أبوه آدم في محاجته: «**أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه، وخطَّ لك التوراة بيده**»وكذلك يقول له أهل الموقف إذا طلبوا منه الشفاعة إلى ربه، ولذلك يسمى: «**كليم الرحمن**»، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾[الشورى: ٥١]، ففرق بين تكليم الوحي والتكليم بإرسال الرسول والتكليم من وراء حجاب.

المرتبة الثانية:

مرتبة الوحي المختص بالأنبياء قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ﴾[النساء: ١٦٣]، وقال: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ

وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ فجعل الوحي في هذه الآية قسمًا من أقسام التكليم وجعله في آية النساء قسيمًا للتكليم (أي نظيرًا له) .

المرتبة الثالثة:

إرسال الرسول الملكي إلى الرسول البشري، فيوحي إليه عن الله ما أمره أن يوصله إليه، فهذه المراتب الثلاث خاصة بالأنبياء لا تكون لغيرهم ثم هذا الرسول الملكي قد يتمثل للرسول البشري رجلاً يراه عيانًا ويُخاطبه، وقد يراه على صورته التي خُلق عليها، وقد يدخل فيه الملك ويوحي إليه ما يوحيه ، ثم يفصم عنه، أي يُقلع، والثلاثة حصلت لنبينا ﷺ .

المرتبة الرابعة:

مرتبة التحديث (أي الإلهام الخاص) وهذه دون مرتبة الوحي الخاصة، وتكون دون مرتبة الصديقين، كما كانت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما قال النبي ﷺ: «**إنه كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في هذه الأمة فعمر بن الخطاب**».

قال ابن القيم: «وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية – رحمه الله – يقول: جزم بأنهم كائنون في الأمم قبلنا، وعلَّق وجودهم في هذه الأمة بأن الشرطية مع أنها أفضل الأمم؛ لاحتياج الأمم قبلنا إليهم واستغناء هذه الأمة عنهم بكمال نبيها ورسالته فلم يحوج الله الأمة بعده إلى محدث ولا مُلهمٍ ولا صاحب كشف ولا منام؛ فهذا التعليق لكمال الأمة واستغنائها لا لنقصها.

والمُحدَّث (بتشديد وفتح الدال، اسم مفعول) هو الذي يحدث في سره وقلبه بالشيء، فيكون كما يحدث، به قال ابن تيمية، والصديق أكمل من المحدث؛ لأنه استغنى بكمال صِدِّيقيَّته ومتابعته عن التحديث والإلهام والكشف، فإنه قد سلم قلبه كله وسره وظاهره وباطنه للرسول؛ فاستغنى به عمَّا فيه (أي عن الإلهام النفسي الذاتي) قال: وكان هذا المحدث يعرض ما يحدث به

على ما جاء به الرسول، فإن وافقه قبله، وإلاَّ رده، فعلم أن مرتبة الصديقية فوق مرتبة التحديث، قال: وأما ما يقوله كثير من أصحاب الخيالات والجهالات: حدثني قلبي عن ربي. فصحيح أن قلبه حدثه، ولكن عن من؟ عن شيطانه أو عن ربه؟ فإذا قال: حدَّثني قلبي عن ربي كان مُسنداً الحديث إلى من لم يعلم أنه حدثه به، وذلك كذب.

وقال: ومحدث الأمة لم يكن يقول ذلك ولا تفوه به يومًا من الدهر وقد أعاذه الله من أن يقول ذلك، بل كتب كاتبه يومًا «هذا ما أرى الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» فقال: «لا، امحه واكتب هذا ما رأى عمر بن الخطاب فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأ فمن عمر والله ورسوله منه بريء».

وقال في الكلالة (هو الميت الذي لا والد له ولا ولد): «أقول فيها برأيي، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان»، فهذا قول المحدث بشهادة الرسول، وأنت ترى الاتحادي والحلولي والإباحي الشطاح والسماعي مجاهر بالقحة والفرية يقول: حدثني قلبي عن ربي، فانظر إلى ما بين القائلين والمرتبتين والقولين والحالين، واعطِ كل ذي حق حقه ولا تجعل الزغل والخالص شيئًا واحداً». اهـ.

المرتبة الخامسة:

مرتبة الإفهام، قال الله تعالى: ﴿**وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا**﴾ [الأنبياء: ٧٨، ٧٩]، فذكر هذين النبيين الكريمين، فأثنى عليهما بالعلم والحكم وخصَّ سليمان بالفهم في هذه الواقعة المعينة، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد سئل هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء دون الناس؟ فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلاَّ فهمًا يؤتيه الله عبداً في كتابه وما في هذه الصحيفة، وكان فيها العقل وهو الديات وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر وفي كتاب

عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري ﵄ والفهم فيما أوتي إليك؛ فالفهم نعمة من الله على عبده ونور يقذفه الله في قلبه يعرف به ويدرك ما لا يدركه غيره ولا يعرفه، فيفهم من النص ما لا يفهمه غيره مع استوائهما في حفظه، وفهم أصل معناه؛ فالفهم عن الله ورسوله عنوان الصديقية ومنشور الولاية النبوية وفيه تفاوتت مراتب العلماء حتَّى عُدَّ ألف بواحد، فانظر إلى فهم ابن عباس وقد سأله عمر، ومن حضر من أهل بدر وغيرهم عن سورة ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ ﴾ [النصر: ١]، وما خصَّ به ابن عبّاس من فهمه منها: أنها نعي الله سبحانه نبيه إلى نفسه وإعلامه بحضور أجله وموافقة عمر له على ذلك وخفائه عن غيرهما من الصحابة، وابن عباس إذ ذاك أحدثهم سناً، وأين تجد في هذه السورة الإعلام بأجله لولا الفهم الخاص؟ ويدِق هذا حتَّى يصل إلى مراتب تتقاصر عنها أفهام أكثر الناس؛ فيحتاج مع النص إلى غيره ولا يقع الاستغناء بالنصوص في حقه، وأما في حق صاحب الفهم فلا يحتاج مع النصوص إلى غيرها.

المرتبة السادسة :

مرتبة البيان العام وهو تبيين الحق وتمييزه من الباطل بأدلته وشواهده وأعلامه وهذه المرتبة هي حجة الله على خلقه التي لا يعذب أحداً ولا يضله إلاَّ بعد وصوله إليها قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ [التوبة: ١١٥] فهذا الإضلال عقوبة منه لهم حين بيَّن لهم فلم يقبلوا ما بيَّنه لهم ولم يعملوا به فعاقبهم بأن أضلَّهم عن الهدى وما أضلَّ الله سبحانه أحداً قط إلاَّ بعد هذا البيان، وإذا عرفت هذا عرفت سر القدر وزالت عنك شكوك كثيرة وشبهات في هذا الباب وعلمت حكمة الله في إضلاله من يضله من عباده والقرآن يصرح بهذا في غير موضع كقوله: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾

[الصف: ٥].

وهذا البيان نوعان :بيان بالآيات المسموعة المتلوة وبيان بالآيات المشهودة

المرئية وكلاهما أدلَّة وآيات على توحيد الله وأسمائه وصفاته وكماله وصدق ما أخبرت به عنه، ولهذا يدعو عباده بآياته المتلوة إلى التفكر في آياته المشهودة عليهم، ويحضهم على التفكر في هذه وهذه، وهذا البيان هو الذي بعثت به الرسل وجعل إليهم وإلى العلماء بعدهم، وبعد ذلك يُضل الله من يشاء قال تعالى: ﴿ وما أرسلنا من رسول إلاَّ بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم ﴿٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤] فالرسل تُبيّن والله هو الذي يُضل من يشاء ويهدي من يشاء بعزته وحكمته.

المرتبة السابعة:

البيان الخاص: وهو البيان المستلزم للهداية الخاصة وهو بيان تقارنه العناية والتوفيق والاجتباء وقطع أسباب الخذلان، وموادها عن القلب فلا تتخلف عنه الهداية البتة، قال تعالى: ﴿ إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل ﴾ [النحل: ٣٧]، وقال: ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ [القصص: ٥٦].

المرتبة الثامنة:

مرتبة الإسماع: قال الله تعالى: ﴿ ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٣]، وقال: ﴿ إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمعٍ من في القبور ﴿٢٢﴾ إن أنت إلاَّ نذير ﴿٢٣﴾ ﴾ [فاطر: ٢٢، ٢٣].

وهذا الإسماع أخص من إسماع الحجة والتبليغ، فإن ذلك حاصل لهم، وبه قامت الحجة عليهم، لكن ذاك إسماع الآذان، وهذا إسماع القلوب؛ فإنه سبحانه نفى عن الكفار سماع المقصود والمراد الذي هو حظ القلوب، وأثبت لهم سماع الإلفاظ الذي هو حظ الأذن في قوله: ﴿ ما يأتيهم من ذكرٍ من ربهم محدث إلاَّ استمعوه وهم يلعبون ﴿٢﴾ لاهية قلوبهم ﴾ [الأنبياء: ٢، ٣] وهذا السماع لا يُفيد

السامع إلاَّ قيام الحجة عليه أو تمكنه منها، وأما مقصود السماع وثمرته والمطلوب منه فلا يحصل مع لهو القلب وغفلته وإعراضه، بل يخرج السامع قائلاً للحاضر معه: ﴿ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ [محمد: ١٦]، والسماع ثلاث مراتب: سماع الأذن وسماع القلب وسماع القبول والإجابة.

المرتبة التاسعة:

مرتبة الإلهام: قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ [الشمس: ٧، ٨]، وقال النَّبي ﷺ لحصين بن الخزاعي لما أسلم: «**قلْ: اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي**».

قال ابن القيم: التحديث أخص من الإلهام؛ فالإلهام عام للمؤمنين بحسب إيمانهم فكل مؤمن قد ألهمه الله رشده الذي حصل له به الإيمان، أما التحديث فالنبي ﷺ قال فيه: «**إن يكن في هذه الأمة أحد فعمر**» يعني من المحدثين؛ فالتحديث هو إلهام خاص وهو الوحي إلى غير الأنبياء، أما من المكلفين كقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ [القصص: ٧] وقوله: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي ﴾ [المائدة: ١١١]، وأما من غير المكلفين كقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ﴾ [النحل: ٦٨].

فهذا كله وحي إلهام وكل واحد من الفراسة والإلهام ينقسم إلى عام وخاص، وخاص كل واحد منهما فوق عام الآخر، وعام كل واحد قد يقع كثيراً، وخاصه قد يقع نادراً، والفراسة تتعلق بنوع الكسب والتحصيل (أي بتعليم وتدريب وخبرة)، ومع الإلهام فموهبة مجردة (أي هبة من الله تعالى) لا تنال بكسب البتة.

المرتبة العاشرة:

من مراتب الهداية الرؤيا الصالحة: وهي من أجزاء النبوة، كما ثبت عن النَّبي

ﷺ أنه قال: «**الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة**» وفي رواية أنها «**جزء من سبعين جزءاً**» اهـ. باختصار من كلام ابن القيم.

أسماء الأنبياء والرسل مُرتبة حسب تواريخ نزولهم:

أول الأنبياء آدم ثم إدريس ثم نوح ثم هود ثم صالح ثم إبراهيم ثم ولداه إسماعيل وإسحاق ولوط ابن أخي إبراهيم ثم يعقوب بن إسحاق ثم يوسف بن يعقوب ثم موسى وهارون ثم إلياس من ذرية هارون وشعيب في قول كثير من المفسرين كان معاصراً لموسى وهو صهره ثم داود وسليمان ابنه ثم زكريا ثم ابنه يحيى وابن خالته عيسى، أما أيوب فهو من بني إسرائيل واختلف فيه هل كان قبل موسى أو بعده على قولين واليسع من بني إسرائيل أيضًا، وقيل هو إلياس نفسه وذو الكفل من بني إسرائيل خلف اليسع بعد موته، واختلف فيه فقيل كان نبيًا وقيل كان صالحًا، وليس بنبي، وأما يونس فلا يُعرف عنه أكثر من أنه يونس بن متَّى، وأن الله أرسله إلى أهل نينوي من أرض الموصل ولا يعرف تاريخه بالضبط إلاَّ أن الحافظ ابن حجر قال في شرح البخاري: يُقال أنه كان في زمان ملوك الطوائف من الفرس وملوك الطوائف كانوا قبيل إبراهيم وممن اختلف في نبوته الخضر ومريم، والصحيح أن الخضر كان نبيًا؛ لقوله تعالى: ﴿ **وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي** ﴾ [الكهف: ٨٢] أما مريم فليست بنبية؛ إذ النبوة لا تكون إلاَّ في الرجال ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً** ﴾ [الأنبياء: ٧].

ثم من هؤلاء من كان نبيًا ملكًا كداود وسليمان، ومنهم من كان عبداً رسولاً كمحمد ﷺ، وسليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام أحد الذين امتلكوا الدنيا فقد دعا ربه وقال: ﴿ **وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٣٥)** ﴾ [ص: ٣٥]، وقد امتلك الدنيا مؤمنان وكافران، والمؤمنان سليمان وذو القرنين المذكور في سورة الكهف، وهو عبد صالح طاف المشارق والمغارب وهو غير الإسكندر المقدوني (الذي بنى الإسكندرية)، فقد كان كافراً من عبَّاد الشمس، والكافران بختنصر والنمروذ.

الفرق بين النبي والرسول :

قال صاحب «شرح الطحاوي» : وقد ذكروا فروقًا بين النبي والرسول وأحسنها أن من نبَّأه الله بخبر السماء إن أمره أن يبلغ غيره فهو رسول، وليس بنبي؛ فالرسول أخص من النبي فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً، ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها؛ فالنبوة جزء من الرسالة إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها بخلاف الرسل فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم، بل الأمر بالعكس؛ فالرسالة أعم من جهة نفسها وأخص من جهة أهلها، وإرسال الرسل من أعظم نعم الله على خلقه وخصوصًا محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (١٦٤)** ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)** ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. اهـ .

تفاوت العباد في مراتب الفضل:

قال تعالى: ﴿ **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ** ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال سبحانه: ﴿ **اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ** ﴾ [الحج: ٧٥]، وأفضل الناس هم الرسل ثم الأنبياء ثم العلماء والصالحين، وأفضل الرسل أولو العزم وهم خمسة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ورسول الله ﷺ وهو خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين، قال تعالى: ﴿ **وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقال ﷺ: «**مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أُحسن بناؤه، وترك منه موضع لبنة، فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنائه إلاَّ موضع تلك اللبنة لا يعيبون سواها، فكنت أنا سددت موضع تلك اللبنة، ختم بي البنيان، وختم بي الرسل**» [نحوه في الصحيحين].

وقال ﷺ: «**إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي؛ يمحو الله**

بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي» [رواه الشيخان].

وفي صحيح مسلم عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبيَّ بعدي»، وعند مسلم أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «فُضلت على الأنبياء بست: أُعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، وأُرسلتُ إلى الخلق كافة، وخُتم بي النبيون»، وقال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع» [رواه مسلم]، وقال أيضًا: «إنَّ الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» [رواه مسلم]، وقال: «إن الله اتخذني خليلاً كما اتَّخذ إبراهيم خليلاً» [رواه مسلم]، وقال: «لو كنت متَّخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله» [رواه مسلم].

وإذا كان الرسول ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، فكل دعوى النبوة بعده غيّ وهوى؛ ولذلك وجب الحذر من طوائف الضلالة كالقاديانية والبهائية التي انحرفت عن منهج الإسلام، وادَّعت في غلام أحمد وغيره، بل تعدَّت رسالة النبي ﷺ الإنس إلى الجن؛ فهو المبعوث إلى عامة الإنس والجن وكافة الورى بالحق والهدى وبالنور والضياء، كما قال الطحاوي.

قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلاَّ كافَّة لِّلنَّاس بشيرًا ونذيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿قل يا أيُّها النَّاسُ إنِّي رسُولُ الله إليْكُمْ جميعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿وإذْ صرفْنا إليْك نفرًا مِّن الْجِنِّ يسْتمِعُون الْقُرْآن فلمَّا حضرُوهُ قالُوا أنصِتُوا فلمَّا قُضِي ولَّوْا إلىٰ قوْمِهِم مُّنذِرِين (٢٩) قالُوا يا قوْمنا إنَّا سمِعْنا كِتابًا أُنزِل مِنْ بعْدِ مُوسىٰ مُصدِّقًا لِّما بيْن يديْهِ يهْدِي إلى الْحقِّ وإلىٰ طرِيقٍ مُّسْتقِيمٍ (٣٠) يا قوْمنا أجِيبُوا

دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) ﴾ .

[الأحقاف: ٢٩- ٣١].

فالجن لما تنادت قالت: أُنزل من بعد موسى، ولم تقل أُنزل من بعد عيسى، ومعلوم أنَّ عيسى كان قبل رسول الله ﷺ، والسبب في ذلك أن التوراة شريعة مستقلة كالقرآن، والإنجيل عبارة عن بعض الأحكام والأخلاق المُكملة للتوراة؛ ولذلك فالتوراة هي الأصل عند أهل الكتاب، وهي التي يطلق عليها اسم «العهد القديم».

وجوب دخول اليهود والنصارى والناس كافة في دين الإسلام:

يقول تعالى ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، ويقول سبحانه ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]؛ فدين الأنبياء واحد لم يتعدد من لدن آدم حتَّى قيام الساعة، والإسلام هو الدين الذي ارتضاه ربنا للعالمين، وإنما تعددت فقط شرائع الأنبياء، وشريعة الإسلام حاكمة ومهيمنة على سائر الشرائع، ونحن نؤمن بجميع الكتب المنزَّلة كما نؤمن أيضًا بأنبياء ورسل الله، وهذه أركان من أركان الإيمان، ومن بين الكتب: صحف إبراهيم، وزبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، والقرآن الذي أنزله الله على نبيه ﷺ.

يقول الدكتور عمر الأشقر في كتابه «العقيدة في الله»: «العقيدة ليست مختصة بالإسلام، بل كل ديانة أو مذهب لابد لأصحابه من عقيدة يُقيمون عليها نظام حياتهم، وهذا ينطبق على الأفراد، كما ينطبق على الجماعات، والعقائد منذ بدء الخليقة إلى اليوم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قسمان:

الأول: يمثل العقيدة الصحيحة، وهي تلك العقائد التي جاء بها الرسل الكرام في أي زمان ومكان، وهي عقيدة واحدة؛ لأنها مُنزَّلة من العليم الخبير، ولا يتصور أن تختلف من رسول إلى رسول ومن زمان إلى زمان.

والقسم الثاني : يشمل العقائد الفاسدة على كثرتها وتعددها، وفسادها ناشئ من كونها نتاج أفكار البشر، ومن وضع عقلائهم ومفكريهم، ومهما بلغ البشر من عظم الشأن فإن علمهم يبقى محدوداً مقيداً بقيود متأثراً بما حولهم من عادات وتقاليد وأفكار، وقد يأتي فساد العقيدة من تحريفها وتغييرها وتبديلها، كما هو الحال بالنسبة للعقيدة اليهودية والنصرانية في الوقت الحاضر؛ فإنهما حُرفتا منذ عهد بعيد ففسادهما كان من هذا التحريف، وإن كانت العقيدة سليمة في الأصل.

والعقيدة الصحيحة اليوم لا توجد إلاَّ في الإسلام؛ لأنه الدين المحفوظ الذي تكفل الله بحفظه ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ۝٩﴾ [الحجر: ٩] والعقائد في غير الإسلام، وإن كان في بعضها نتف من الحق، فإنها لا تُمثل الحق، ولا تجليه؛ فمن أراد أن يعرف العقيدة السليمة فإنه لن يجدها في اليهودية ولا في النصرانية ولا في كلام الفلاسفة، وإنما يجدها في الإسلام في أصليه: الكتاب والسُّنَّة، ندية طرية صافية مُشرقة تُقنع العقل بالحجة والبرهان، وتملأ القلب إيمانًا ويقينًا ونورًا وحياة ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ۝٥٢﴾ [الشورى: ٥٢]» اهـ.

قال ﷺ: «**أُعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا؛ فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليُصلِّ، وأُحلَّت لي الغنائم ولم تُحل لأحد قبلي، وأُعطيتُ الشفاعةَ، وكان النبيُّ يبعث إلى قومه خاصة، وبُعثتُ إلى الناس عامة**» [أخرجاه في الصحيحين]، وقال أيضًا: «**لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم لا يُؤمن بي إلاَّ دخل النار**» [رواه مسلم بنحوه].

فكون النَّبي ﷺ مبعوثًا إلى الناس كافة معلوم من دين الإسلام بالضرورة،

وأما قول بعض النصارى إنه رسول إلى العرب خاصة، فظاهر البطلان؛ فإنهم لما صدَّقوا بالرسالة لزمهم تصديقه في كل ما يخبر به، وقد قال أنه رسول الله إلى الناس عامة، والرسول لا يكذب؛ فلزم تصديقه حتمًا، فقد أرسل رسله وبعث كتبه في أقطار الأرض إلى كسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس، وسائر ملوك الأطراف؛ يدعو إلى الإسلام.

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ [الشرح: ٤].

قال القرطبي في تفسيره: قال مجاهد: يعني بالتأذين، وفيه يقول حسَّان بن ثابت رضي الله عنه:

أغرُّ عليه للنبوة خاتمٌ ... من الله مشهودٌ يلوح ويُشهدُ
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذنُ أشهدُ

وروي عن الضحاك عن ابن عباس قال: يقول له لا ذكرتُ إلاَّ ذُكرتَ معي في الأذان والإقامة والتشهد ويوم الجمعة على المنابر ويوم الفطر ويوم الأضحى وأيام التشريق ويوم عرفة وعند الجمار وعلى الصفا والمروة وفي خطبة النكاح وفي مشارق الأرض ومغاربها، ولو أن رجلاً عَبَدَ الله جلَّ ثناؤه وصدَّق بالجنة والنار وكل شيء ولم يشهد أن محمداً رسول الله؛ لم ينتفع بشيء وكان كافراً.

وقيل: أي أعْلَيْنا ذكرك؛ فذكرناك في الكتب المنزلة على الأنبياء قبلك، وأمرناهم بالبشارة بك، ولا دين إلاَّ ودينك يظهر عليه.

وقيل: رفعنا ذكرك عند الملائكة في السماء، وفي الأرض عند المؤمنين، ونرفع في الآخرة ذكرك بما نعطيك من المقام المحمود وكرائم الدرجات. اهـ.

قال الإمام ابن كثير في كتاب «شمائل الرسول»: «وقد وُجدت البشارات به ﷺ في الكتب المتقدمة، وهي أشهر من أن تُذكر وأكثر من أن تحصر، وقد قدمنا قبل مولده عليه السلام طرفًا صالحًا من ذلك، وقررنا في كتاب التفسير عند الآيات المقتضية

لذلك آثاراً كثيرة، ونحن نورد هاهنا شيئًا مما وُجد في كتبهم التي يعترفون بصحتها ويتدينون بتلاوتها مما جمعه العلماء قديمًا وحديثًا ممن آمن منهم واطَّلع على ذلك من كتبهم التي بأيديهم» فراجعه إن شئت.

ومن بين البشارات التي ذكرها الإمام: في صحف إلياس عليه السلام: «أنه خرج مع جماعة من أصحابه سائحًا فلما رأى العرب بأرض الحجاز قال لمن معه: انظروا إلى هؤلاء فإنهم هم الذين يملكون حصونكم العظيمة. فقالوا: يا نبي الله، فما الذي يكون معبودهم؟ فقال: يُعظمون رب العزة فوق كل رابية عالية»، ومن صحف حزقيل: «إن عبدي خيرتي أنزل عليه وحْيي يظهر في الأمم عدلي، اخترته واصطفيته لنفسي، وأرسلته إلى الأمم بأحكام صادقة»، ومن كتاب النبوات: «إن نبيا من الأنبياء مرَّ بالمدينة، فأضافه بنو قريظة والنضير، فلما رآهم بكى فقالوا له: ما الذي يبكيك يا نبي الله؟ فقال: نبيٌّ يبعثه الله من الحرم يخرب دياركم ويسبي حريمكم، قال: فأراد اليهود قتله فهرب منهم» وفي صحف أرميا: «كوكب ظهر من الجنوب أشعته صواعق، سهامه خوارق دكت له الجبال» وهذا المراد به محمد ﷺ، وفي الإنجيل يقول عيسى عليه السلام: «إني مرتق إلى جنات العلى ومرسل إليكم الفارقليط روح الحق يُعلمكم كل شيء، ولم يقل شيئًا من تلقاء نفسه» والمراد بالفارقليط محمد صلوات الله وسلامه عليه، وهذا كما تقدم عن عيسى أنه قال: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

ثم قال: «وهذا باب متَّسع ولو تقصينا جميع ما ذكره الناس لطال هذا الفصل جداً، وقد أشرنا إلى نبذ من ذلك يهتدي بها من نوَّر الله بصيرته وهداه إلى صراطه المستقيم، وأكثر من هذه النصوص يعلمها كثير من علمائهم وأحبارهم وهم مع ذلك يتكاتمونها ويُخفونها» اهـ.

يقول توماس كارليل المؤرخ الإنجليزي، وهو يتحدث عن العرب وكيف

أخرجهم الله بالإسلام من الظلمات إلى النور وتحولوا به من أمة هامدة لا يُسمع لها صوت ولا تُحسُّ بها حركة يقول: «فأرسل الله لهم نبيًا بكلمة من لدنه ورسالة من قبله، فإذا الخمول قد استحال شهرة والغموض نباهة، والضعة رفعة، والضعف قوة، والشرارة حريقًا، وعمَّ نوره أنحاء العالم، وعقد شعاعه الشمال بالجنوب، والمشرق بالمغرب، وما هو إلاَّ قرن بعد هذا الحادث حتَّى أصبح لدولة العرب رجل في الهند ورجل في الأندلس، وأشرقت دولة الإسلام حقبًا عديدة ودهورًا مديدة بنور الفضل والنبل والمروءة والنجدة، وخيَّم الحق والهدى على نصف المعمورة».

فأنت ترى كيف أن الله تعالى هو الذي تولَّى رفع ذكر نبيه ﷺ في اللوح المحفوظ حين قدَّر سبحانه أن تمر القرون وتمر الأجيال وملايين الشفاه في كل مكان تهتف بهذا الاسم الكريم مع الصلاة والتسليم، بل ويقدم المؤمن محبة النبي ﷺ على محبته للوالد والولد والمال والأهل والتجارة، وقد ارتبط بهذا المنهج الإلهي الرفيع، وكان مجرد الاختيار لهذا الأمر رفعة ذكر لم ينلها أحد من قبل ولا من بعد في هذا الوجود.

قال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلاَّ ينادي: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وكما قال حسَّان بن ثابت رضي الله عنه:

وشقَّ له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

دعوات نبوية تتعلق برفع الذكر:

في صحيح الحاكم عن أم سلمة رضي الله عنها عن النَّبي ﷺ «هذا ما سأل محمد ﷺ ربه: «**اللهم إني أسألك خير المسألة وخير الدعاء وخير النجاح وخير العمل وخير الثواب وخير الحياة وخير الممات، وثبّتني وثقّل موازيني وحقق إيماني وارفع درجتي، وتقبّل الخير وخواتمه، وأوله وآخره وظاهره وباطنه،**

والدرجات العلى من الجنة آمين، اللهم إني أسألك خير ما آتي وخير ما أفعل وخير ما بطن وخير ما ظهر، اللهم إني أسألك أن ترفع ذكري وتضع وزري، وتصلح أمري، وتطهر قلبي، وتُحصن فرجي، وتُنور لي قلبي، وتغفر لي ذنبي، وأسألك أن تُبارك لي في نفسي وفي سمعي وفي بصري وفي روحي وفي خَلقي وفي خُلُقي وفي أهلي وفي محياي وفي مماتي وفي عملي، وتقبَّل حسناتي، وأسألك الدرجات العلى من الجنة آمين» .

وفيه أيضًا عن عائشة أن رسول الله ﷺ أمرها أن تدعو بهذا الدعاء «**اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأسألك الجنة وما قرَّب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرَّب إليها من قول أو عمل، وأسألك خير ما سألك عبدك ورسولك محمد ﷺ، وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشداً**» .

وفيه أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أوصى سلمان الخير فقال له: «**إني أريد أن أمنحك كلمات تسألهن الرحمن، وترغب إليه فيهن وتدعو بهن في الليل والنهار: قل: اللهم إني أسألك صحة في إيمان، وإيمانًا في حسن خلق ونجاحًا يتبعه فلاح ورحمة منك وعافية ومغفرة منك ورضوانًا**» .

وفيه أيضًا عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ: «**اللهم إنَّا نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل إثم، والغنيمة من كل بر، والفوز بالجنة، والنجاة من النار**» .

وفيه أيضًا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**اللهم احفظني بالإسلام قائمًا، واحفظني بالإسلام قاعداً، واحفظني بالإسلام راقداً، ولا تُشمت بي عدواً ولا حاسداً، اللهم إني أسألك من خيرِ خزائنه بيدك، وأعوذ بك من شرِ خزائنه بيدك**»

فسل الله من فضله وتضرَّع لجنابه سبحانه، وألح عليه بالدعاء؛ فإن العبد إذا ألهم الدعاء فإن الإجابة معه قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) ﴾ .

[البقرة: ١٨٦].

واعلم أن الله يحب الملحين في الدعاء؛ فالحمد لله حمداً طيبًا مباركًا فيه، كما يُحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله ملء سمواته وملء أرضه وملء ما شاء من شيء بعد، حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، وصلّى الله على نبينا محمد خاتم أنبيائه ورسله وخيرته من بريته، وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده، فاتح أبواب الهدى ومُخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد الذي بعثه للإيمان مُناديًا، وإلى الصراط المستقيم هاديًا، و إلى جنات النعيم داعيًا، وبكل المعروف آمرًا، وعن المنكر ناهيًا، فأحيا به القلوب بعد مماتها وأنارها بعد ظلماتها، وألّف بينها بعد شتاتها، فدعا إلى الله عز وجل على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة، وجاهد في الله حقَّ جهاده حتَّى عبد الله وحده لا شريك له، وسارت دعوته سيرة الشمس في الأقطار، وبلغ دينه الذي ارتضاه لعباده ما بلغ الليل والنهار، وصلّى الله عز وجل وملائكته وجميع خلقه عليه كما عرف بالله تعالى، ودعا إليه وسلم تسليمًا.

عالم الملائكة الأبرار

وهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون ويسبحون الليل والنهار لا يفترون، وقد وصف الله الملائكة بأنهم كرام برره ﴿ **بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦)** ﴾ [عبس: ١٥، ١٦] خلقهم ربنا من نور، وعندهم المقدرة على التشكل، وهم لا يأكلون ولا يشربون، وهم خلق كثير لا يعلم عددهم إلاَّ الذي خلقهم، لا يملون ولا يتعبون، وهم يموتون، ولهم عند ربهم مقامات متفاوتة معلومة ﴿ **وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ (١٦٤)** ﴾ [الصافات: ١٦٤]، وقال في جبريل: ﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠)** ﴾ [التكوير: ١٩، ٢٠].

وأفضل الملائكة هم الذين شهدوا معركة بدر ففي صحيح البخاري عن رفاعة بن رافع: أن جبريل جاء النبي ﷺ فقال: «**ما تعدون من شهد بدراً فيكم؟ قلت: خيارنا، قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة هم عندنا خيار الملائكة**».

والملائكة لا توصف بالذكورة أو الأنوثة، ولهم وظائف كثيرة يقومون بها بأمر الله، ولديهم سرعات عظيمة، وهم منظمون في كل شؤونهم، وفي ذلك يقول النَّبي ﷺ: «**ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟**» قالوا: وكيف يصفون عند ربهم؟ قال: «**يُكملون الصف الأول فالأول يتراصون في الصف**» [رواه الجماعة إلاَّ البخاري]، وقد فضلنا الله على بقية الأمم بأن جُعلت صفوفنا كصفوف الملائكة [رواه مسلم].

ومن أسماء الملائكة المعروفة والمشهورة:

[١] **جبريل**: وهو ملك الوحي وهو أعظم الملائكة مكانة وقدراً، قال تعالى في وصفه: ﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ**

أَمِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [التكوير ١٩ – ٢١] والمراد بالرسول الكريم هنا جبريل وذي العرش رب العزة سبحانه، وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود ﷺ قال: «رأى رسول الله ﷺ جبريلَ في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سدَّ الأفق يسقط من جناحه التهاويل (الأشياء المختلفة الألوان من الدر واليواقيت)» [قال ابن كثير: إسناده جيد] وجبريل هو الروح الأمين، وهو الذي أرسله الله إلى مريم ﴿ **فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا** ﴾ [مريم: ١٧] وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ **تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ** ﴿٤﴾ ﴾ [القدر: ٤]، قال تعالى: ﴿ **قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴿٩٧﴾ **مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ** ﴿٩٨﴾ ﴾ [البقرة: ٩٧، ٩٨]

[٢] **ميكائيل** : وهو الملك الموكل بالقَطْر (المطر) ويسمى أيضًا ميكال.

[٣] **إسرافيل** : وهو الذي ينفخ في الصور، وكان النبي ﷺ إذا استيقظ من الليل قال في دعائه: «**اللهم ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**»

[٤] **مالك** : وهو خازن النار ﴿ **وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ** ﴿٧٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٧٧].

[٥] **رضوان** : خازن الجنة .

[٦] **منكر ونكير** : وقد استفاض في الأحاديث ذكرهما في سؤال القبر.

[٧] **هاروت وماروت** : المذكوران في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ** ﴾

[البقرة: ١٠٢] .

[٨] **عزرائيل** : ولا يصح تسمية ملك الموت بذلك، والتسمية بعزرائيل وإن

كانت مستفيضة على ألسنة الناس إلاَّ أنها لم ترد في كتاب أو سنة صحيحة.

المفاضلة بين الملائكة والبشر:

ذهب شيخ الإسلام إلى أن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة ونالوا الزلفى وسكنوا الدرجات العلا وحياهم الرحمن، وخصَّهم بمزيد قربه، وتجلَّى لهم يستمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وقامت الملائكة في خدمتهم بإذن ربهم، والملائكة أفضل باعتبار البداية فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى منزَّهون عما يلابسه بنو آدم، مستغرقون في عبادة الرب، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر.

قال ابن القيم: وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل، وتتفق أدلة الفريقين، ويصالح كل منهم على حقه، والله أعلم بالصواب. (راجع كتاب عالم الملائكة الأبرار. د. عمر الأشقر).

أنواع العلوم

بلغت العلوم من الكثرة حداً وصل به بعضهم إلى ستين علماً، ومن الممكن أن نصنفها إلى المجموعات الثلاث التالية:

[١] العلوم الشرعية.

[٢] العلوم الكونية.

[٣] العلوم الرياضية.

وهذه العلوم منها ما هو واجب عيني أو كفائي، ومنها ما هو جائز، ومنها ما هو محرم.

أولاً - العلوم الشرعية:

قال ابن قدامة - رحمه الله -: أما العلوم الشرعية فكلها محمودة وتنقسم إلى أصول وفروع ومقدمات ومتممات.

فالأصول: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة وآثار الصحابة.

والفروع: ما فهم من هذه الأصول من معانٍ تنبهت لها العقول؛ حتَّى فهم من اللفظ الملفوظ غيره، كما فهم من قوله: «**لا يقضِ القاضي وهو غضبان**» [متفق عليه]، أنه لا يقضي جائعاً.

والمقدمات: هي التي تجري مجرى الآلات كعلم النحو واللغة؛ فإنها آلة لعلم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

والمتممات: كعلم القراءات ومخارج الحروف، وكالعلم بأسماء رجال الحديث وعدالتهم وأحوالهم، فهذه هي العلوم الشرعية وكلها محمودة. اهـ.

وقد قسَّم بعض الجهلة مسائل العلوم إلى قشور ولباب، وقسمت الصوفية مسائل الدين إلى علم الظاهر وعلم الباطن أو علم الحقيقة والشريعة على طريقتهم المخترعة والمبتدعة، ثم وصفوا أنفسهم بأنهم علماء الحقيقة، وأن بقية

علماء الأمة هم أهل الشريعة، فما أقبح زعم الصوفية.

وقد اعترض شيخ الإسلام ابن تيمية على تقسيم الدين إلى أصول وفروع فقال:

« وأما التفريق بين نوع وتسميته مسائل الأصول وبين نوع آخر وتسميته مسائل الفروع، فهذا الفرق ليس له أصل لا عن الصحابة ولا عن التابعين لهم بإحسان ولا أئمة الإسلام، وإنما هو مأخوذ عن المعتزلة وأمثالهم من أهل البدع، وعنهم تلقاه من ذكره من الفقهاء في كتبهم وهو تفريق متناقض، فإنه يقال لمن فرق بين النوعين ما حد مسائل الأصول التي يُكفر المخطئ فيها؟ وما الفاصل بينها وبين مسائل الفروع؟ فإن قال مسائل الأصول هي مسائل الاعتقاد، ومسائل الفروع هي مسائل العمل، قيل له: فتنازع الناس في محمد ﷺ رأى ربه أم لا؟ وفي عثمان أفضل من عليّ؟ وفي كثير من معاني القرآن، وتصحيح بعض الأحاديث هي من المسائل الاعتقادية العلمية ولا كفر فيها بالاتفاق، ووجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج وتحريم الفواحش والخمر هي مسائل قطعية، وكثير من مسائل العلم ليست قطعية، وكون المسألة قطعية أو ظنيَّة هو من الأمور الإضافية، وقد تكون المسألة عند رجل قطعية لظهور الدليل القاطع له، كمن سمع النص من رسول الله ﷺ، وتيقن مراده منه وعند رجل لا تكون ظنية فضلاً عن أن تكون قطعية لعدم بلوغ النص إياه، أو لعدم ثبوته عنده، أو لعدم تمكنه من العلم بدلالته ». اهـ.

وقد اصطلح البعض على تسمية مسائل التوحيد ظلمًا وزوراً باسم « علم الكلام » وبالجملة يجب الحذر من الاصطلاحات الحادثة والتقسيمات التي تنطوي على مخالفات لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

يقول الشيخ الألباني - رحمه الله - : « وبهذه المناسبة نقول: إن من الواجب على أهل العلم أن ينتبهوا للمعاني الحديثة التي طرأت على الألفاظ العربية التي تحمل معاني خاصة معروفة عند العرب هي غير هذه المعاني الحديثة؛ لأن القرآن نزل بلغة العرب ؛ فيجب أن تُفهم مفرداته وجمله في حدود ما كان يفهم العرب

الذين أُنزل عليهم القرآن، ولا يجوز أن تُفسر بهذه المعاني الاصطلاحية الطارئة التي اصطلح عليها المتأخرون، وإلاَّ وقع المفسر بهذه المعاني في الخطأ والتقوُّل على الله ورسوله من حيث لا يشعر، وقد قدمت مثالاً على ذلك لفظ (الكراهة) وإليك مثالاً آخر لفظة (السُّنَّة)، فإنه في اللغة الطريقة وهذا يشمل كل ما كان عليه ﷺ من الهدى والنور فرضًا كان أو نفلاً، وأما اصطلاحًا فهو خاص بما ليس فرضًا من هديه ﷺ فلا يجوز أن يفسر بهذا المعنى الاصطلاحي، لفظ السُّنَّة الذي ورد في بعض الأحاديث الكريمة، كقوله ﷺ : «**وعليكم بسنتي**» ، وقوله: «**سبعة لعنهم الله**» وقوله : «**وكلُّ نبي مستجاب الدعوة... والتارك لسنتي...**» وقوله ﷺ : «**... فمن رغب عن سنتي فليس مني**»

ومثله الحديث الذي يورده بعض المشايخ المتأخرين في الحضِّ على التمسك بالسُّنَّة بمعناها الاصطلاحي وهو «من ترك سنتي لم تنله شفاعتي» فأخطأوا مرتين: الأولى: نسبتهم الحديث إلى النبي ﷺ، ولا أصل له فيما نعلم، والثانية: تفسيرهم للغة بالمعنى الاصطلاحي غفلة منهم عن معناها الشرعي، وما أكثر ما يخطئ الناس فيما نحن فيه بسبب مثل هذه الغفلة» اهـ. من «تحذير الساجد».

بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية :

يجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم التوحيد وما يُنافيه من الشرك، وأن يتعلَّم الحلال والحرام، والفرائض ما تصح به وما تبطل به، والأمور التي تستصلح بها القلوب كالصبر والشكر، كما يجب أيضًا أن يتعلم المسلم ما يستدفع به الشبهات عن نفسه، وفي الحديث: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**» [صححه الألباني] وفي الحديث الآخر: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة**» ومعناه صحيح؛ إذ النساء شقائق الرجال في الأحكام، ويأثم الإنسان بجهله إذا تمهدت له سبل العلم ولم يتعلم.

ويجب على بعض الأمة أن تتعلم الصناعة والزراعة والهندسة والطب، ونحو ذلك من العلوم النافعة التي تخدم الأمة، وينتفع بها المسلمون، وهذه العلوم هي من جملة فروض الكفاية، بمعنى إذا لم يقم القادرون بها لحقهم الإثم والذنب أو يأثم الكل بشيء من التجوز، كما يقول الإمام الشاطبي؛ لأن غير القادر قادر على إقامة القادر، وفرض الكفاية فرض عين حتَّى يقم.

قال الإمام أبو عمر بن عبد البر : «قد أجمع العلماء على أن من العلم ما هو فرض متعين على كل امرئ في خاصته بنفسه، ومنه ما هو فرض على الكفاية إذا قام به قائم سقط فرضه عن أهل ذلك الموضع، واختلفوا في تلخيص ذلك، والذي يلزم الجميع فرضه من ذلك ما لا يسع الإنسان جهله من جملة الفرائض المفترضة عليه نحو الشهادة باللسان والإقرار بالقلب بأن الله وحده لا شريك له ولا شبه له، ولا مثل، و لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، خالق كل شيء، وإليه مرجع كل شيء، المحيي المميت الحي الذي لا يموت، والذي عليه جماعة أهل السُّنَّة أنه لم يزل بصفاته وأسمائه، وليس لأوَّليته ابتداء، ولا لآخريته انقضاء، وهو على العرش استوى.

والشهادة بأن محمداً عبده ورسوله ﷺ وخاتم أنبيائه حق، وأن البعث بعد الموت للمجازاة بالأعمال، والخلود في الآخرة لأهل السعادة بالإيمان والطاعة في الجنة، ولأهل الشقاوة بالكفر والجحود في السعير حق، وأن القرآن كلام الله، وما فيه حق من عند الله يجب الإيمان بجميعه، واستعمال محكمه، وأن الصلوات الخمس فرض، ويلزمه من عملها علم ما لا تتم إلاَّ به من طهارتها ، وسائر أحكامها، وأن صوم رمضان فرض ويلزمه علم ما يفسد صومه وما لا يتم إلاَّ به، وإن كان ذا مال وقدرة لزمه فرضًا أن يعرف ما تجب فيه الزكاة، ومتى تجب، وفي كم تجب، ويلزمه أن يعلم بأن الحج عليه فرض مرة واحدة في دهره إن استطاع إليه سبيلاً إلى أشياء يلزمه معرفة جملتها، ولا يعذر بجهلها، نحو تحريم الزنا والربا

وتحريم الخمر ولحم الخنزير، وأكل الميتة والأنجاس كلها، والغصب والرشوة على الحكم، والشهادة بالزور، وأكل أموال الناس بالباطل وبغير طيب من أنفسهم، إلاَّ إذا كان شيئًا لا يتشاح فيه، ولا يرغب في مثله، وتحريم الظلم كله، وتحريم نكاح الأمهات والأخوات ومن ذُكر معهن، وتحريم قتل النفس المؤمنة بغير حق، وما كان مثله، هذا كله مما قد نطق الكتاب به وأجمعت الأمة عليه ثم سائر العلم وطلبه والتفقه فيه، وتعليم الناس إياه، وفتواهم به في مصالح دينهم ودنياهم فهو فرض على الكفاية يلزم الجميع فرضه، فإذا قام به قائم سقط فرضه عن الباقين لا خلاف بين العلماء في ذلك، وحجتهم فيه قول الله عز وجل: ﴿ **فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** (١٢٢) ﴾ [التوبة: ١٢٢] فألزم النفير في ذلك البعض دون الكل ثم ينصرفون فيعلمون غيرهم والطائفة في لسان العرب الواحد فما فوقه » اهـ. من « جامع بيان العلم » .

فالعلوم الشرعية هي أعلى العلوم وأشرفها، وهي في الجملة علوم مقصودة لذاتها، وليست وسيلة بغايات في حد ذاتها مثل علم قوانين الكتابة وعلم قوانين القراءة وعلم القراءات وعلم التجويد وعلم الرسم والنحو والصرف والبلاغة وعلم العروض وعلم القوافي وعلم اللغة والأدب، والوسائل لها حكم الغايات والغاية هنا هي المعرفة عن الله تعالى؛ ليعبد بما شرع وكل علم يساعد على هذه الغاية فهو علم محمود فاضل، وسعي طالبه مشكور وهو فيه مأجور غير مأزور، وهذه العلوم التي هي وسائل هي أيضًا من جملة فروض الكفاية إذْ ما يتوقف عليه كمال الأمة وسعادتها هو واجب، والقاعدة الشرعية ما لا يتم الواجب إلاَّ به فهو واجب.

ولا يخفى عليك أن كل علم من هذه العلوم له مشاهيره كالأئمة الأربعة أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد – رحمهم الله جميعًا – وسيبويه في النحو، وكثيراً ما نسمع أن هذه قراءة حفص عن عاصم أو قراءة ورش عن نافع؛ فهولاء من مشاهير القراء.

المعلوم من الدين بالضرورة :

وهي مسائل دلَّت النصوص الشرعية دلالة قطعية على حكمها كفرضية الصلاة والتي من جحدها أو أنكر فرضيتها أو استخفَّ بحقها أو استهزأ بأهلها فهو كافر؛ فجحود المعلوم من الدين بالضرورة كفر، وكذلك فالخمر مُحرمة، والزنا محرم؛ فمن استحل الحرام فقد كفر، حتَّى وإن لم يتعاطَ الخمر أو الزنا، يكفي أنه مع معرفته التحريم وصفه مثلاً بالرجعية أو التخلف، أو أن تحريم الخمر لا يليق بالقرن العشرين، فكلها صور من صور الكفر، ولابد أن ننبه في هذا المقام إلى أن المعلوم من الدين بالضرورة هنا قد يكون مجهولاً في أدغال إفريقيا، والمعلوم في القرن الأول قد يكون مجهولاً في القرن الخامس عشر، وأيضًا المعلوم لإنسان قد يكون مجهولاً لآخر، وبالتالي فلابد من قيام الحجة الرسالية علي يد عالم أو ذي سلطان مُطاع؛ لتنتفي الشبهات، وتدرأ المعاذير ويحيى من حيَّ عن بيّنة ويهلك من هلك أيضًا عن بيّنة؛ فلابد من التفريق بين النوع والمعين، والقول قد يكون كفرًا، ويُطلق القول بتكفير قائله، أما الشخص المعين الذي تلبس به فلا يكفر إلاَّ بعد قيام الحجة عليه.

جاء في كتاب *الوجيز* نقلاً عن *التلويح* تحت عنوان «*الجهل في دار الحرب*» :

«القاعدة أن العلم فيها لا يفترض؛ إذْ هي ليست دار علم بالأحكام الشرعية، بل دار جهل بها، وعلى هذا إذا أسلم شخص هناك ولم يعلم حقيقة وجوب العبادات عليه كالصلاة ونحوها فلم يؤدها، فإنها لا تلزمه قضاء إذا علمها، وكذلك إذا شرب الخمر جهلاً منه بحرمتها، فلا إثم عليه ولا عقاب؛ لأن المؤاخذة ولزوم التكليف يثبتان ببلوغ الخطاب إليه حقيقة أو تقديراً بشهرته في محله، وليست دار الحرب بالدار التي تشيع فيها الأحكام وتشتهر» اهـ.

يقول في *دار الإسلام* : «عدم اعتبار الجهل عذراً إذا خالف اجتهاده صريح الكتاب أو السنة المشهورة، مثل القول بحل الذبيحة التي تركت التسمية عليها

عـمـدًا ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ [الأنعام: ١٢١] أو القول بالتحليل بدون وطء لمخالفته السنة المشهورة » اهـ.

فأنت ترى كيف يفرق العلماء بين دار وأخرى في ترتيب الأحكام.

وقد سئل الشيخ ابن باز - رحمه الله - وقيل له: « حصل نزاع بين إخواننا المسلمين في تركيا في هذا الحديث « من حلل حرامًا أو حرم حلالاً فقد كفر » هل يعد من حلل حرامًا أو حرم حلالاً من الكافرين أو من المذنبين، وما معنى قوله: « **كفر** » في الحديث أوَ ليس بينه وبين كلمة كافر فرق، نرجو من سماحتكم جوابًا مقنعًا كافيًا شافيًا في هذا الحديث؟

الجواب:

أولاً: هذا الحديث لا نعلم له أصلاً، ولا نعلم أحدًا من الأئمة المعتبرين أخرجه بإسناد صحيح ولا ضعيف، فلا يعول عليه والحالة ما ذكر.

ثانيًا: إذا خالف مسلم حكمًا ثابتًا بنص صريح من الكتاب والسُّنَّة لا يقبل التأويل ولا مجال فيه للاجتهاد أو خالف إجماعًا قطعيًا ثابتًا بُيّن له الصواب في الحكم، فإن قبل فالحمد لله، وإن أبى بعد البيان وإقامة الحجة وأصرَّ على تغيير حكم الله حُكم بكفره، وعُومل معاملة المرتد عن دين الإسلام، مثال ذلك من أنكر الصلوات الخمس أو إحداها أو فريضة الصيام أو الزكاة أو الحج، وتأوَّلَ ما دلَّ عليها من نصوص الكتاب والسنة ولم يعبأ بإجماع الأمة، وإذا خالف حكمًا ثابتًا بدليل مختَلَف في ثبوته أو قَابلٍ للتأويل بمعان مختلفة وأحكام متقابلة فخلافه خلافٌ في مسألة اجتهادية فلا يكفر، بل يعذر في ذلك من أخطأ، ويؤجر أجرين من أصاب، أجر على اجتهاده، وأجر على إصابته، مثال ذلك: من أنكر وجوب قراءة الفاتحة على المأموم، ومن قال بوجوب قراءتها عليه ومن خالف في حكم صنع أهل الميت الطعام وجمع الناس عليه، فقال: إنه مستحب أو قال: إنه مباح، أو أنه مكروه غير حرام، فمثل هذا لا يجوز تكفيره ولا إنكار الصلاة وراءه، ولا

تمتنع مناكحته، ولا يحرم الأكل من ذبيحته، بل تجب مناصحته ومذاكرته في ذلك على ضوء الأدلة الشرعية؛ لأنه أخ مسلم له حقوق المسلمين، والخلاف في هذه المسألة خلاف في مسألة فرعية اجتهادية جرى مثلها في عهد الصحابة ﷺ وأئمة السلف، ولم يُكفر بعضهم بعضًا، ولم يهجر بعضهم بعضًا، وصلَّى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم. اهـ.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يقول في القرن السابع الهجري : « ولكن لغلبة الجهل، وقلَّة العلم بآثار الرسالة، فإنَّا لا نُكفِّر إلاَّ بعد قيام الحجة الرسالية » .

وكذلك قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيمن رآه يسجد عند قبر عبد القادر الجيلاني أو السيد البدوي.

وقد جهلت المرأة النوبية التي زنيت مع مرعوش بدرهمين أن هناك حدًا مرتبًا على هذه الفاحشة، وقال عثمان لعمر ﷺ أراها تستسهل به (أي بزناها) كأنها لا تعلم؛ فلم يقم عمر الحد عليها، وقال: ليس الحد إلاَّ على من علم. على الرغم من أن هذه المرأة كانت تعيش في دار الإسلام التي تُطبق الأحكام الشرعية فيها، ولكنها كانت نوبية ، وكانت لا تعلم، فإذا كانت الحدود تدرأ بالشبهات فأولى ثم أولى أمر التكفير.

فضل العلم ومنزلة العلماء :

قال رسول الله ﷺ : «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله تعالى له به طريقًا إلى الجنة**» [رواه مسلم]، وقال : «**ما من خارج يخرج من بيته في طلب العلم إلاَّ وضعت له الملائكة أجنحتها رضًا بما يصنع**» [رواه الترمذي وصححه]، وفي الحديث : «**من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتَّى يرجع**» [رواه الترمذي وصححه] .

وعن كعب قال : «**الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلاَّ متعلم خير أو معلمه**» وعن خالد بن معدان قال : « الناس: عالم ومتعلم، وما بين ذلك همج لا خير فيه » .

وكان أبو الدرداء ﷺ يقول: «تعلموا قبل أن يُقبض العلم؛ فإن قبض العلم قبض العلماء، وإن العالم والمتعلم في الأجر سواء» وكان إذا رأى طلبة العلم قال: «مرحبًا بطلبة العلم»، ويقول: «إن رسول الله ﷺ أوصى بكم» وقد أثنى ربنا جلَّ وعلا على العلماء في مواضع كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر: ٢٨]، ومنها: ﴿ **وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ (٤٣)** ﴾ [العنكبوت: ٤٣] وقوله سبحانه: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الزمر: ٩]، وقوله: ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)** ﴾ [آل عمران: ١٨].

وروى البخاري عن جابر ﷺ أن النبي ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أُحُد، ثم يقول: «**أيهما أكثر أخذًا للقرآن**»، فإذا أُشير إلى أحدهما قدَّمه في اللَّحد.

وكان علي بن أبي طالب ﷺ يقول: «هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها؛ فاحفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة عالم رباني، ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق».

هل المسلم مُلزم باتباع مذهب عالم من العلماء المشهورين؟

لا بأس بالتمذهب، ويجب على الإنسان إذا علم مخالفة قول إمامه لكتاب الله ولسُنَّة رسول الله ﷺ أن يترك قول الإمام، ويُتابع الكتاب والسُنَّة، وبسبب شهرة بعض العلماء، ومن بينهم الأئمة الأربعة وقع كثير من الناس في المحظور على الرغم من تحذير العلماء من أخذ أقوالهم المخالفة للكتاب والسنة، بل قدْ حرَّم الإمام أبو حنيفة أن يفتي أحد بقوله إلاَّ إذا علم دليله حيث يقول: «حرام على من لم يعرف دليلي أن يفتي بقولي»، وكان يقول: «فإننا بشر نقول القول اليوم ونرجع عنه غدًا»، وكان يقول: «إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي».

وما دعا أحد منهم الناس إلى اتباعه، بل جميعهم نهوا تلاميذهم عن

تقليدهم وأمروهم باتباع الحق، والدليل كما قال الإمام أحمد لتلميذه: «لا تقلدني ولا تقلد مالكًا ولا الأوزاعي ولا الثوري، وخذ من حيث أخذوا» يعني الكتاب والسُّنَّة، وقال: «رأي الأوزاعي ورأي مالك ورأي أبو حنيفة كله رأي، وهو عندي سواء، وإنما الحجة في الآثار» وقال: «من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة».

ورفض الإمام مالك أن يحمل الناس على ما في كتابه «الموطأ»، وقال – رحمه الله – : «إنما أنا بشر أُخطئ وأُصيب؛ فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه»، وقال: «ليس أحد بعد النبي ﷺ إلاَّ ويُؤخذ من قوله ويُترك إلاَّ النبي ﷺ».

ولما سئل الإمام الشافعي - رحمه الله - وقيل له: «أرأيت أقاويل أصحاب رسول الله ﷺ إذا تفرقوا فيها فقال: نصيرُ فيها إلى ما وافق الكتاب أو السنة أو الإجماع، أو كان أصح في القياس»، وقال: «لا يجعل القياس والخبر موجود»، ويقول أيضًا: «ليس لأحد دون رسول الله ﷺ أن يقول إلاَّ بالاستدلال ولا يقول بما استحسن؛ فإن القول بما استحسن شيء يحدثه لا على مثال سبق»، ويقول: «أجمع المسلمون على أن من استبان له سُنَّة عن رسول الله ﷺ لم يحلّ له أن يدعها لقول أحد»، وقال: «إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت»، وقال أيضًا – رحمه الله – : «كل مسألة صح فيها الخبر عن رسول الله ﷺ عند أهل النقل بخلاف ما قلت فأنا راجع عنها في حياتي وبعد مماتي»، وكان يقول: «كل ما قلت فكان عن النبي ﷺ خلاف قولي مما يصح، فحديث النبي ﷺ أولى فلا تقلدوني» اهـ.

فإذا لم يستطع الإنسان معرفة الحق بدليله بعد بذله وسعه، فلا بأس بتقليد من يثق بعلمه وورعه وتقواه، ودائرة العلماء لا تقتصر على الأئمة الأربعة بل هي أوسع من ذلك بكثير؛ فالتقليد لا يصار إليه إلاَّ في حال الاضطرار؛ كمنزلة الميتة

للمضطر، وعلى العالم إذا سُئل عن دليل المسألة أن يوضحه لمن استفتاه، وقد أجمع المسلمون أن للمقلد أن يقلد من يشاء من المجتهدين إذا توصل إلى حقيقة مذاهبهم، وله أن يقلد كل يوم إمامًا من الأئمة، كما أجمعوا على أن المقلد إذا ما تمرس في فهم مسألة من المسائل، وتبصَّر بأدلتها من الكتاب والسُّنَّة وأصول الاجتهاد وجب عليه أن يتحرر في الأخذ بها من مذهب إمامه وحرم عليه التقليد طالما أمكنه أن يجتهد فيها، ويحرم عليه ترجيح رأي إمامه على ما هداه إليه اجتهاده في تلك المسألة التي توفر على دراستها والتعمق في فهم أدلتها وأصولها، ويصح اقتداء الشافعي بالحنفي، والحنفي بالشافعي، وخلاف ذلك تعصب مقيت ومذموم يتصادم مع كلام الأئمة الأعلام أنفسهم.

ولا يصح القول بإغلاق باب الاجتهاد أو انحصار الفقه في الأئمة الأربعة؛ فالاجتهاد بابه مفتوح لكل من تأهل لذلك، وحصَّل أدوات النظر في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ، «**والعالم إذا اجتهد فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر**» فالحق في المسائل واحد لا يتعدد، ومسائل الفقه تدور بين الخطأ والصواب، والأقوال العارية من الأدلة متساوية، ونحذر أنفسنا وإخواننا من التعصب والجمود المذهبي، وإطلاق القول بالتقليد، بحيث أصبح الاستثناء هو الأصل؛ فانعدمت روح البحث عن الدليل، وتابع البعض زلات العلماء، وصنعوا منها دينًا لأنفسهم، ثم كان التعصب والتنافس والوقيعة، والتباغض بين المقلدين، وارتُكبت بسبب ذلك كثير من المخالفات، وضعف الوازع الديني، وكثُر التحايل على المسائل الشرعية.

وقد أدى هذا التقليد وبهذه الكيفية الموجودة الآن إلى تعظيم الأئمة إلى الحد الذي رفعهم إلى نسبة العصمة لهم، وعدم جواز الخطأ عليهم في الوقت الذي يردون فيه الآية المحكمة القاطعة الدلالة، والحديث الصحيح الواضح؛ وهذا خوفًا من مخالفة الإمام!! .

أي ضلال هذا حين يُقدم المرء كلام المخلوق على كلام الخالق، وننبه إلى خطورة المسلك الذي يسلكه البعض، وذلك حين يطوف على مذاهب العلماء تلمساً للرخص، فمثل هذا الإنسان يفسق، ويتجمع فيه الشر كله، فكيف بمن صنع دينه من زلات علماء الأمة؟! ، وكما قالوا لكل جَوَادٍ كبوة، ولكل عالم زلة، وقالوا أيضاً: وما كل خلاف جاء معتبراً.

ونحن عندما نرجع للعلماء إنما نفعل ذلك لأخذ فهمهم لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ، وكما قال البعض: شيخ الإسلام حبيب إلى أنفسنا، والحق أحب إلينا منه، وهذا لا يقدح ولا يطعن في محبتنا لعلماء الأمة المعتبرين وتقديرنا لهم واحترامهم وموالاتهم فهذا واجب على كل مسلم، وليس معنى ذلك أن نوجب التمذهب إذْ لا واجب إلاَّ ما أوجبه الله ورسوله.

القرار التاسع
بشأن موضوع الخلاف الفقهي بين المذاهب والتعصب المذهبي من بعض أتباعها

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده سيدنا ونبينا محمد صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي في دورته العاشرة المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة من يوم (السبت ٢٤ صفر ١٤٠٨هـ الموافق ١٧ أكتوبر ١٩٨٧م) إلى يوم (الأربعاء ٢٨ صفر ١٤٠٨هـ الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٨٧م) قد نظر في موضوع الخلاف الفقهي بين المذاهب المتبعة، وفي التعصب الممقوت من بعض أتباع المذاهب لمذهبهم تعصبًا يُخرج عن حدود الاعتدال ويصل بأصحابه إلى الطعن في المذاهب الأخرى وعلمائها، استعرض المجلس المشكلات التي تقع في عقول الناشئة العصرية وتصوراتهم حول اختلاف المذاهب الذي لا يعرفون مبناه ومعناه، فيوحي إليهم المضللون بأنه ما دام الشرع الإسلامي واحدًا، وأصوله من القرآن والسنة النبوية الثابتة متحدة أيضًا، فلماذا اختلاف المذاهب، ولمَ لا توحد حتَّى يصبح المسلمون أمام مذهب واحد وفهم واحد لأحكام الشريعة؟

كما استعرض المجلس أيضا أمر العصبية المذهبية والمشكلات التي تنشأ عنها ولا سيما بين أتباع بعض الاتجاهات الحديثة اليوم في عصرنا هذا، حيث يدعو أصحابها إلى خط اجتهادي جديد ويطعنون في المذاهب القائمة التي تلقَّتها الأمة بالقبول من أقدم العصور الإسلامية ويطعنون في أئمتها أو بعضهم ضلالاً، ويوقعون الفتنة بين الناس، وبعد المداولة في هذا الموضوع ووقائعه وملابساته

ونتائجه في التضليل والفتنة، قرر المجمع الفقهي توجيه البيان التالي إلى كلا الفريقين المضللين والمتعصبين؛ تنبيهاً وتبصيراً:

أولاً - اختلاف المذاهب:

إن اختلاف المذاهب الفكرية القائم في البلاد الإسلامية نوعان:

(أ) اختلاف في المذاهب الاعتقادية.

(ب) اختلاف في المذاهب الفقهية.

فأما الأول: وهو الاختلاف الاعتقادي فهو في الواقع مصيبة جرَّت إلى كوارث في البلاد الإسلامية، وشقَّت صفوف المسلمين، وفرَّقت كلمتهم، وهي مما يُؤسف له، ويجب أن لا يكون، وأن تجتمع الأمة على مذهب أهل السنة والجماعة الذي يمثل الفكر الإسلامي النقي السليم في عهد الرسول ﷺ وعهد الخلافة الراشدة التي أعلن الرسول أنها امتداداً لسنته بقوله ﷺ: «**عليكم بسنتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسَّكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ**»

وأما الثاني: وهو اختلاف المذاهب الفقهية في بعض المسائل فله أسباب علمية اقتضته، ولله سبحانه في ذلك حكمة بالغة، ومنها الرحمة بعباده، وتوسيع مجال استنباط الأحكام من النصوص، ثم هي بعد ذلك نعمة وثروة فقهية تشريعية تجعل الأمة الإسلامية في سعة من أمر دينها وشريعتها؛ فلا تنحصر في تطبيق شرعي واحد حصراً لا مناص لها منه إلى غيره، بل إذا ضاق بالأمة مذهب أحد الأئمة الفقهاء في وقت ما أو في أمر ما وجدت في المذهب الآخر سعة ورفقاً ويسراً سواء أكان ذلك في شؤون العبادة أم في المعاملات وشؤون الأسرة والقضاء والجنايات على ضوء الأدلة الشرعية.

فهذا النوع الثاني من اختلاف المذاهب وهو الاختلاف الفقهي ليس نقيصة ولا تناقضاً في ديننا، ولا يمكن أن لا يكون؛ فلا يوجد أمة فيها نظام تشريعي كامل بفقهه واجتهاده ليس فيها هذا الاختلاف الفقهي الاجتهادي؛ فالواقع أن هذا الاختلاف لا يمكن أن لا يكون؛ لأن النصوص الأصلية كثيراً ما تحتمل أكثر

من معنى واحد، كما أن النص لا يمكن أن يستوعب جميع الوقائع المحتملة؛ لأن النصوص محدودة والوقائع غير محدودة كما قال جماعة من العلماء - رحمهم الله تعالى - فلابد من اللجوء إلى القياس والنظر إلى علل الأحكام وغرض الشارع والمقاصد العامة للشريعة وتحكيمها في الوقائع والنوازل المستجدة، وفي هذا تختلف فهوم العلماء وترجيحاتهم بين الاحتمالات، فتختلف أحكامهم في الموضوع الواحد، وكل منهم يقصد الحق، ويبحث عنه، فمن أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد، ومن هنا تنشأ السعة ويزول الحرج.

فأين النقيصة في وجود هذا الاختلاف المذهبي الذي أوضحنا ما فيه من الخير والرحمة وأنه في الواقع نعمة ورحمة من الله بعباده المؤمنين وهو في الوقت ذاته ثروة تشريعية عظمى ومزية جديرة بأن تتباهى بها الأمة الإسلامية، ولكن المضللين من الأجانب الذين يستغلون ضعف الثقافة الإسلامية لدى بعض الشباب المسلم، ولا سيما الذين يدرسون في الخارج فيصورون لهم اختلاف المذاهب الفقهية هذا كما لو كان اختلافًا اعتقاديًا؛ ليوحوا إليهم ظلمًا وزورًا بأنه يدل على تناقض الشريعة، دون أن ينتبهوا إلى الفرق بين النوعين وشتان ما بينهما.

ثانيًا:

وأما تلك الفئة الأخرى التي تدعو إلى نبذ المذاهب وتريد أن تحمل الناس على خط اجتهادي جديد لها، وتطعن في المذاهب الفقهية القائمة وفي أئمتها أو بعضهم، ففي بياننا الآنف عن المذاهب الفقهية، ومزايا وجودها وأئمتها ما يوجب عليهم أن يكفوا عن هذا الأسلوب البغيض الذي ينتهجونه ويُضللون به الناس، ويشقون صفوفهم ويُفرقون كلمتهم في وقت نحن أحوج ما نكون إلى جمع الكلمة في مواجهة التحديات الخطيرة من أعداء الإسلام بدلاً من هذه الدعوة المفرقة التي لا حاجة إليها.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين . اهـ.

ولاية الله والطريق إليها

قال تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالى: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبّ إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتَّى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره إساءته**» [متفق عليه].

وقد زاد بعض الوضاعين والكذابين من عند أنفسهم «عبدي أطعني تكن عبداً ربانيًا تقول للشيء كن فيكون»، والذي يقول للشيء كن فيكون هو رب العزة جل وعلا دون أحد سواه ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ [يس: ٨٢].

وطريق الولاية طريقٌ واضح كما ورد في النصوص الشرعية، فكل مؤمن تقي هو ولي من أولياء الله سواء كان حيًا أو مقبوراً وولاية العبد بحسب إيمانه وتقواه.

وقد فسَّر الطبري الأولياء بأنهم أنصار الله ثم نقل ما رويَ عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ من عباد الله لأناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله**» قالوا: يا رسول الله، أخبرنا من هم وما أعمالهم؟؛ فإنا نحبهم لذلك، قال: «**هم قوم تحابوا في الله بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها؛ فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن**

الناس» وقرأ هذه الآية: ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** (٦٢) ﴾

ثم يقول الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يُقال «الولي» أعني ولي الله: هو من كان بالصفة التي وصفه الله بها وهو الذي آمن واتّقى كما قال الله: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** (٦٣) ﴾ اهـ.

وهذه الولاية تستلزم العلم النافع والعمل الصالح، وهذا يتضمن الإيمان، ومتابعة الفرائض بالنوافل، ومن أداء الفرائض ترك المعاصي، وإذا كان الأمر كذلك؛ فأفضل الأولياء هم الأنبياء، وأفضل الرسل هم أولو العزم، وأفضل أولو العزم نبينا محمد ﷺ، وأفضل هذه الأمة بعد نبيها هو أبو بكر رضي الله عنه ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين؛ لإجماع الصحابة على ذلك، ومن قدَّم عليًا على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في الفضل أو الخلافة فهو ضال مبتدع، بل ولا يصح تقديم عليّ على عثمان رضي الله عنهما، وقد استقر الأمر على تقديم عثمان في الفضل والخلافة؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما: «كنَّا نفضل بين أصحاب رسول الله ﷺ فنقدم أبا بكر ثم عمر ثم عثمان» [رواه البخاري].

وأفضل الصحابة بعد الخلفاء الأربعة الستة الباقون إلى تمام العشرة المبشرون بالجنة، ثم البدريون، ثم أصحاب أُحد، ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية، والصحابة رضوان الله عليهم هم خيار أولياء الله المتقين؛ لقول النَّبي ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**» وأفضل التابعين على وجه الجملة هو أويس بن عامر القرني، وأفضلهم علمًا هو سعيد بن المسيب، كما قال الإمام أحمد، وسيدتا التابعين من النساء حفصة بنت سيرين وعمرة بنت عبد الرحمن.

ويقول الإمام الشافعي: «إذا لم يكن العلماء بأولياء الله، فليس لله ولي، قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر: ٢٨].

قال ابن تيمية: «وأولياء الله على طبقتين: سابقون مقربون، وأبرار أصحاب يمين مقتصدون».

والأولياء غير الأنبياء ليسوا بمعصومين، فلا عصمة لأحد في هذه الأمة بعد النبي ﷺ لا لصاحب ولا إمام ولا ولي، بل الجميع تجوز عليه الكبائر والصغائر، لكن للصحابة مزية على كل من جاء بعدهم للسبق للإسلام ولجهادهم في سبيل الله ولشرف صحبتهم لرسول الله ﷺ؛ ولذلك قال تعالى: ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠)** ﴾ [التوبة: ١٠٠] وقد توهم البعض أن الولاية لا تثبت إلاَّ بحدوث الكشوفات والخوارق من تمادي فريق في غيّه عندما قصر الولاية على المقبورين، مثل أبي العباس المرسي، وإبراهيم الدسوقي، والسيد البدوي... وقد بيّنا الرد على ذلك باختصار شديد.

قاعدة في المعجزات والكرامات:

جاء في مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (جـ١١، ص٣١١) ما نصه: « وإن كان اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغة، وعرف الأئمة المتقدمين، كالإمام أحمد بن حنبل وغيره، ويسمونها الآيات، لكن كثيراً من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما؛ فيجعل المعجزة للنبي والكرامة للولي وجماعهما الأمر الخارق للعادة، فنقول: صفات الكمال ترجع إلى ثلاثة: العلم والقدرة والغنى، وإن شئت أن تقول: العلم والقدرة، والقدرة إما على الفعل، وهو التأثير، وإما على الترك وهو الغنى، والأول أجود، وهذه الثلاثة لا تصلح على وجه الكمال إلاَّ لله وحده؛ فإنه الذي أحاط بكل شيء علماً وهو على كل شيء قدير، وهو غني عن العالمين، وقد أمر الرسول ﷺ أن يبرأ من دعوى هذه الثلاثة بقوله تعالى: ﴿ **قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ** ﴾ [الأنعام: ٥٠].

كذلك قال نوح عليه السلام، فهذا أول أُولي العزم وأول رسول بعثه الله تعالى إلى أهل الأرض، وهذا خاتم الرسل وخاتم أولي العزم، كلاهما يتبرأ من ذلك...» .

إلى أن قال: « وقد جُمع لنبينا محمد ﷺ جميع أنواع المعجزات والخوارق: أما العلم والأخبار الغيبية والسماع والرؤية، فمثل إخبار نبينا ﷺ عن الأنبياء المتقدمين وأممهم ومخاطباته لهم وأحواله معهم وغير الأنبياء من الأولياء وغيرهم بما يوافق ما عند أهل الكتاب الذين ورثوه بالتواتر أو بغيره من غير تعلم له منهم، وكذلك إخباره عن أمور الربوبية والملائكة والجنة والنار، بما يوافق الأنبياء قبله من غير تعلم منهم، ويعلم أن ذلك موافق لنقول الأنبياء تارة بما في أيديهم من الكتب الظاهرة ونحو ذلك من النقل المتواتر، وتارة بما يعلمه الخاصة من علمائهم، وفي مثل هذا قد يستشهد أهل الكتاب وهو من حكمة إبقائهم بالجزية، وتفصيل ذلك ليس هذا موضعه؛ فإخباره عن الأمور الغائبة ماضيها وحاضرها هو من «باب العلم الخارق»، وكذلك إخباره عن الأمور المستقبلة مثل مملكة أمته، وزوال مملكة فارس والروم، وقتال الترك، وألوف مؤلفة من الأخبار التي أخبر بها مذكور بعضها في كتب «دلائل النبوة» و«سيرة الرسول» و«فضائله» و«كتب التفسير» و«الحديث» و«المغازي» مثل دلائل النبوة لأبي نعيم والبيهقي وسيرة ابن إسحاق ، وكتب الأحاديث المسندة كمسند الإمام أحمد، والمدونة كصحيح البخاري، وغير ذلك مما هو مذكور أيضًا في كتب أهل الكلام والجدل كأعلام النبوة للقاضي عبد الجبار وللمواردي، والرد على النصارى للقرطبي، ومصنفات كثيرة جداً.

وكذلك ما أخبر عنه غيره مما وجد في كتب الأنبياء المتقدمين وهي في وقتنا هذا اثنان وعشرون نبوة بأيدي اليهود والنصارى؛ كالتوراة والإنجيل والزبور، وكتاب شعيا وحبقوق ودانيال وأرميا، وكذلك أخبار غير الأنبياء من الأحبار والرهبان، وكذلك أخبار الجن والهواتف المطلقة وأخبار الكهنة كسطيح وشق وغيرهما، وكذلك المنامات وتعبيرها كمنام كسرى، وتعبير الموبذان، وكذا أخبار الأنبياء المتقدمين بما مضى وما عبر هو من أعلامهم .

وأما القدرة والتأثير، فإما أن يكون في العالم العلوي أو ما دونه، وما دونه إما بسيط أو مركب، والبسيط إما الجو وإما الأرض، والمُركَّب إما حيوان وإما نبات وإما معدن، والحيوان إما ناطق وإما بهيم، فالعلوي كانشقاق القمر ورد الشمس ليوشع بن نون، وكذلك ردها لما فاتت عليًا الصلاة والنبي ﷺ نائم في حجره – إن صحَّ الحديث – فمن الناس من صححه كالطحاوي والقاضي عياض، ومنهم من جعله موقوفًا كأبي الفرج بن الجوزي، وهذا أصح، كذلك معراجه إلى السماوات.

وأمَّا الجو فاستسقاؤه واستصحاؤه غير مرة كحديث الأعرابي الذي في الصحيحين وغيرهما وكذلك كثرة الرمي بالنجوم عند ظهوره، وكذلك إسراؤه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وأما الأرض والماء، فكاهتزاز الجبل تحته وتكثير الماء من عين تبوك وعين الحديبية، ونبع الماء من بين أصابعه غير مرة ومزادة المرأة ، وأما المركبات فتكثيره الطعام غير مرة في قصة الخندق من حديث جابر وحديث أبي طلحة، وفي أسفاره، وجراب أبي هريرة، ونخل جابر بن عبد الله، وجديث جابر وابن الزبير في انقلاع النخل له وعوده إلى مكانه، وسقياه لغير واحد من الأرض كعين أبي قتادة، وهذا باب واسع لم يكن الغرض هنا ذكر أنواع معجزاته بخصوصها، وإنما الغرض التمثيل.

وكذلك من باب «القدرة» عصا موسي عليه السلام، وفلق البحر، والقمل، والضفادع، والدم، وناقة صالح، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى لعيسى عليه السلام، كما أن من باب «العلم» إخبارهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، وفي الجملة لم يكن المقصود هنا ذكر المعجزات النبوية بخصوصها وإنما الغرض التمثيل بها.

وأما المعجزات التي لغير الأنبياء من «باب الكشف والعلم»:

فمثل قول عمر في قصة سارية وإخبار أبي بكر أن ببطن زوجته أنثى، وإخبار عمر بمن يخرج من ولده فيكون عادلاً، وقصة صاحب موسى في علمه بحال الغلام، و«القدرة» مثل قصة الذي عنده علم من الكتاب، وقصة أهل الكهف، وقصة مريم، وقصة خالد بن الوليد، وسفينة مولى رسول الله ﷺ، وأبي مسلم الخولاني، وأشياء يطول شرحها، فإنَّ تعداد هذا مثل المطر، وإنما الغرض التمثيل بالشيء الذي سمعه أكثر الناس، وأما القدرة التي لم تتعلق بفعله فمثل نصر الله لمن ينصره وإهلاكه لمن يشتمه» اهـ.

ومعجزات الأنبياء كثيرة، وقد كانت من جنس ما برع فيه قومهم مثل عصا موسى عليه السلام، وقد اشتهر قومه بالسحر، وكان عيسى عليه السلام يُحيي الموتى بإذن الله ويُبرئُ الأكمه والأبرص بإذن الله، وكان قومه قد اشتهروا بالطب.

ومعجزات النبي ﷺ كثيرة ومن أعظمها القرآن؛ فقد تحداهم رب العزة جل وعلا أن يأتوا بسورة من مثله وهم أرباب الفصاحة والبلاغة فما استطاعوا ﴿**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾**﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤] ﴿**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾**﴾ [الإسراء: ٨٨]، وقد ثبت العجز للجميع عبر العصور وكَرِّ الدهور عن مواجهة التحدي، وبعجزهم ثبت الإعجاز لكتاب الله، وقد جمع القرآن صوراً كثيرة من صور الإعجاز، مثل الإعجاز التشريعي والإعجاز البلاغي والإعجاز العلمي.

ثم الخوارق التي تحدث للعباد وتجري على أيديهم منها كرامات رحمانية، ومنها خوارق شيطانية، وضابط الكرامة هو الاستقامة، وكما قال الشافعي والليث ابن سعد: إذا رأيت الرجل يطير في الهواء أو يمشي على الماء لا تصدقه حتَّى

تعرض عمله على السُّنَّة، فإذا كان ممن يستقيم على كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ فلا يبعد أن تحدث له كرامة رحمانية كما حدثت لكثير من الصحابة رضي الله عنهم، وقد ثبت في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «**قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي أحد منهم فعمر منهم**» وفي لفظ في الصحيح: «**إن في هذه الأمة محدثين وإن منهم عمر**»، وحديث: «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله**» [أخرجه الترمذي وحسَّنه].

ثم عمر رضي الله عنه مع كونه من المحدثين بالنص كان يشاور الصحابة ويشاورونه، ويُراجعهم ويراجعونه، و يحتج عليهم بالكتاب والسنة، ويرجعون جميعاً إليهما، وكان إذا عرضت عليه المسألة يقول: أقول فيها فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، والله منه بريء، وكان أبو سليمان الداراني يقول: «إنها لتقع في قلبي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلاَّ بشاهدين عدلين الكتاب والسنة»، وقال أبو عثمان النيسابوري: «من أمَّر على نفسه الشريعة قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمَّر على نفسه الهوى قولاً وفعلاً نطق بالبدعة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤].

خوارق غير الأولياء:

جاء في كتاب «ولاية الله والطريق إليها» (ص٢٣٧) ما نصه: «وإذا عرفت أنه لابد للولي من أن يكون مقتدياً في أقواله وأفعاله بالكتاب والسنة وأن ذلك هو المعيار الذي يُعرف به الحق من الباطل، فمن ظهر منه شيء مما يخالف هذا المعيار فهو رد عليه ولا يجوز لأحد أن يعتقد فيه أنه ولي الله؛ فإن أمثال هذه الأمور تكون من أفعال الشياطين كما نشاهده في الذين لهم تابع من الجن، فإنه قد يظهر على يده ما يظن من لم يستحضر هذا المعيار أنه كرامة، وهو في الحقيقة مخاريق شيطانية وتلبيسات إبليسية.

ولهذا تراه يظهر من أهل البدع، بل من أهل الكفر، وممن يترك فرائض الله سبحانه ويتلوث بمعاصيه؛ لأن الشيطان أميل إليهم للاشتراك بينه وبينهم في مخالفة ما شرعه الله سبحانه لعباده، وقد يظهر شيء مما يُظن أنه كرامة من أهل الرياضة وترك الاستكثار من الطعام والشراب على ترتيب معلوم وقانون معروف حتَّى ينتهي حاله إلى أن لا يأكل إلاَّ في أيام ذوات العدد ويتناول بعد مضي أيام شيئًا يسيرًا فيكون له بسبب ذلك بعض صفاء من الكدورات البشرية؛ فيدرك ما لا يدركه غيره، وليس هذا من الكرامات في شيء، ولو كان من الكرامات الربانية والتفضلات الرحمانية لم يظهر على أيدي أعداء الله كما يقع كثيراً من المرتاضين من كفرة الهند الذين يسمونهم الآن الجوكيه، وقد يظهر شيء ما يظن أنه كرامة على لسان بعض المجانين، وسبب ذلك كما ذكره الحكماء أنه قد ذهب عنه ما يصنعه الفكر من التفصيل والتدبير اللذين يستمران للعقلاء، فيكون لعقله إدراك لا يكون للعقلاء، فيأتي في بعض الأحيان بمكاشفات صحيحة، وهو مع ذلك متلوث بالنجاسة مرتبك في القاذورات قاعد في المزابل وما يشابهها، فيظن من لا حقيقة عنده أنه من أولياء الله، وذلك ظن باطل وتخيل مختل، وهو في الحقيقة مجنون، قد رفع الله عنه قلم التكليف، ولم يكن وليًا لله ولا عدوًا» اهـ.

الغلو في الصالحين :

فالغلو في المنسوبين إلى الصلاح والتقى من أعظم أسباب كفر بني آدم وتركهم دينهم، بل هو أصل عظيم من أصول الشرك قديمًا وحديثًا، وبدلاً من أن يتوجه الناس بالعبادة لخالق السماوات والأرض، وجدنا منهم من يذبح للسيد البدوي، وينذر لأبي العباس المرسي، ويستغيث بإبراهيم الدسوقي، ويلتمس المدد والبركة من الحسين رضي الله عنه إلى غير ذلك من صور العبادة التي صرِفَت لغير الله، وقد أخرجوا هذا الشرك وأظهروه في قالب المحبة والتعظيم للأولياء، هكذا صوَّر لهم الشيطان، وهكذا زعموا ثم احتجوا باطلاً على شركهم بقول الله

تعالى: ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) ﴾ [يونس: ٦٢].

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما **في قول الله تعالى:** ﴿ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) ﴾ [نوح: ٢٣] **قال:** هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد حتَّى إذا هلك أولئك ونُسِيَ العلم عُبِدَتْ.

قال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمر فعبدوهم.

وقد حذَّر سبحانه من الغلو فقال: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ [المائدة: ٧٧] والغلو كثير في النصارى؛ فإنهم غلوا في عيسى عليه السلام، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهًا من دون الله يعبدونه كما يعبدون الله وناقضتهم اليهود في أمر عيسى عليه السلام فغلوا فيه فحطوه من منزلته حتَّى جعلوه ولد بغي.

قال شيخ الإسلام: ومن تشبَّه من هذه الأمة باليهود والنصارى وغلا في الدين بإفراط أو تفريط وضاهاهم في ذلك فقد شابههم كالخوارج المارقين من الإسلام.

وقد احتاط النبي ﷺ لعدم خدش جناب التوحيد، فعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد؛ فقولوا: عبد الله ورسوله**» [رواه الشيخان] فأين هذا من غلو البوصيري حين قال:

فإنَّ من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

فجعل الدنيا والآخرة من جوده، وجزم بأنه يعلم ما في اللوح المحفوظ، وكل ذلك كفر صريح، ومن عجيب الأمر أن الشيطان أظهر لهم ذلك في صورة محبته ﷺ وتعظيمه ومتابعته، بل هو يقول أيضًا في نفس القصيدة:

مـــا لـي من ألـوذ بـه ســـواك عنـد حلول الحـادث العـمم

ولذلك رد عليه القائل بقوله:

لُـذْ بـالإلـه ولا تـلـذ بســـواه من لاذ بالملك الجليل كـفـاه

فأنت ترى وكأنه لا يعرف له ربًا يلوذ به عند نزول الشدائد، وهذا نوع من الغلو حذَّر منه رسول الله ﷺ، بل كان يجلس حيث ينتهي به المجلس يكره من أصحابه القيام له ويقول: «**لا تعظموني كما تعظم الأعاجم ملوكهم**»، وكان يأكل أكلة العبد، ويجلس جلسة العبد، ولما دخل عليه البعض يومًا وارتعدت فرائضه قال: «**هون عليك، إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة**»، ولما قال له البعض يومًا: يا سيدنا، قال: «**إنما السيد هو الله**»، وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على ناقته: «**القطْ لي حصى**» فلقطت له سبع حصيات، هنَّ حصى الحذف، فجعل ينفضهن في كفه ويقول: «**أمثال هؤلاء فارموا، وإياكم والغلو في الدين؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**» [رواه أحمد والترمذي، وهذا لفظ ابن ماجه]، ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**هلك المتنطعون**» قالها ثلاثًا.

فالغلو مذموم في الاعتقادات والأعمال، وكذلك التنطع، والمتنطعون هم الغالون في عبادتهم بحيث تخرج عن قوانين الشريعة، والمسترسلون مع الشيطان في الوسوسة، وهم أيضًا المتقعرون في الكلام والمتكلفون من أهل الكلام، وبالجملة فالغلو أصل الشرك في الأولين والآخرين إلى يوم القيامة، وتعظيم الأنبياء والصالحين ومحبتهم إنما هي باتباع ما دعوا إليه من العلم النافع والعمل الصالح، واقتفاء آثارهم وسلوك طريقتهم في إخلاص العبودية لله وحده دون عبادتهم وعبادة قبورهم.

والغلو هو هو فقد حدث قديمًا وعابه رب العزة على أهل الجاهلية الذين برروا شركهم بقولهم: ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ**﴾ [الزمر: ٣]، وبقولهم:

﴿هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، فردَّ عليهم سبحانه بقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

فلا يصح أن يخلُق هو ويُعْبَدُ غيره، وأن يرزق هو ويُشكر سواه ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١)﴾ [الأعراف: ١٩١]، والشرك هو صرف العبادة لغير الله سواء أكانت مالية أو بدنية أو قلبية ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥)﴾ [الزمر: ٦٥]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١)﴾ [الحج: ٣١].

وقد صحَّ عن النَّبي ﷺ أنه قال لمعاذ بن جبل، وكان رديفه على الدابة: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يُعذب من لا يُشرك به شيئًا**».

فاحذرْ الشرك على نفسك دقِّه وجله؛ فلقد بالغ النبي ﷺ وحذَّر وأنذر وأبدأ وأعاد، وخصَّ وعمَّ في حماية الحنيفية السمحة التي بعثه الله بها فهي حنيفية في التوحيد سمحة في العمل كما قال بعض العلماء: هي أشد الشرائع في التوحيد والإبعاد عن الشرك وأسمح الشرائع في العمل.

ثانيًا: العلوم الكونية

وتُعرف أيضًا بالعلوم الطبيعية، وهي أنواع كثيرة، منها: علم الكيمياء، وعلم النبات، وعلم الأحياء، والطب، والصناعة، وهذه العلوم علوم نافعة غير ضارة، ولذلك فهي تُؤخذ من كل من أفلح فيها كائنًا من كان، بعكس ما يتعلق بالهداية الإلهية، فهذه مردها لكتاب الله ولسنة رسوله ﷺ قال تعالى: ﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ** ﴾ [الإسراء: ٩] أي للتي هي أسد وأعدل، وذلك من كل ناحية من نواحي الحياة، وهذه الأمة مأمورة بالأخذ بأسباب القوة؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ﴾ [الأنفال: ٦٠].

والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، والقوة مطلوبة بكل معانيها سواء أكانت قوة إيمانية أو قوة مادية، ولا تعارض بين تحصيل هذه وتلك، بل تَقَدُّم هذه الأمة مرتهن باستمساكها بدينها، ولن تتمكن من حل المشكلات بالاستغناء عن الدين، والعلاقة وثيقة بين حالة العباد وحالة الكون من حولهم، قال تعالى: ﴿ **وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا** ﴾ [الطلاق: ٨، ٩]، وقال تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ** ﴾ [هود: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم** ﴾ [المائدة: ٦٦].

فطاعة الله والاستقامة على شرعه سبحانه والعمل بتعاليمه سببًا كبيرًا لسعادة المرء، وهي كفيلة له بالنجاح في الدنيا والآخرة، وعلى العكس فشؤم الأعمال السيئة يحول دون النظام الطبيعي للفصول، بما نراه من كثرة الجدب والمجاعات، وما عليه الغرب لا يصلح مقياسًا لنا؛ فالكافر يُطعم بحسناته في الدنيا، أما

المؤمن فيُطعم بها في الدنيا والآخرة، ولما قال عمر لرسول الله ﷺ: أرأيت فارس والروم، رد عليه النبي ﷺ بقوله: «**أولئك قوم عجلوا طيباتهم في الحياة الدنيا**» قال عمر: فقلت: يا رسول الله، استغفر لي. [رواه البخاري].

وإذا رأيت الرجل يُعطى الدنيا على معاصيه، فهو استدراج من الله ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤)**﴾ [الأنعام: ٤٤]، ولما سُئل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا**﴾ [هود: ١٥] فقال: إن الله تعالى يستوفي جزاء أعمالهم بصحة أبدانهم وإدخال السرور إلى أنفسهم بزيادة الأولاد والأموال.

ثم العقوبة في الأصل أخروية للكافر، وقد يجعل شيء منها في الدنيا بكثرة ظلمهم أو إسرافهم في الفسق والفجور، أو اعتدائهم على الأنبياء، أما الحسنات فهي تعجل لهم في الدنيا، فإذا قدموا على ربهم فلا نصيب لهم إلاَّ النار.

فلا يصح الانبهار بتقدم زائف أو بحضارة لم تقم على منهج العبودية في الأرض، ولو رجعت هذه الأمة لدينها لعلمت أن الأخذ بأسباب القوة أمر واجب؛ فهذه العلوم الكونية كالطب والزراعة والصناعة هي من جملة فروض الكفاية، وفرض الكفاية فرض عين حتَّى يقم، وإذا لم يقم أَثِمَ القادرون عليه، وما لا يتم الواجب إلاَّ به فهو واجب، وهذه قاعدة شرعية مُجمع عليها بين المسلمين، وبقاء الأمة قوية عزيزة مُهابة بين الأمم والشعوب الكافرة المعادية واجب، وكيف يتم لها ذلك وهي جاهلة بهذه العلوم التي أصبحت قوام الحياة للأمم والشعوب.

من هنا أصبح وجود هذه العلوم في الأمة الإسلامية واجبًا حتميًا لا يسعها تركه وإلاَّ فهي آثمة مؤاخذة في دنياها وأُخراها، وقد تمَّت مؤاخذتها في الدنيا بإذلالها وضعفها وتسلط الأعداء عليها، والواقع المر يشهد بذلك، وهذه العلوم

المذكورة وإن كانت علومًا عالمية إلاَّ أنه ينبغي الانتباه إلى اللسان الذي صيغت به هذه العلوم، وهذا اللسان محلي، وقد يكون شيوعيًا ملحدًا مخربًا من شأنه أن يُخرّج ملاحدة لا علماء مسلمين، ويكفي مثالاً على ذلك كلمة الطبيعة التي وُضعت بدل كلمة الله، وأصبح أبناء المسلمين يدرسون الخصائص الطبيعية ودورة البحر الطبيعية، ومعلوم أن الطبيعة هي الإله عند الملاحدة، فهي التي خَلقت وأوجدت ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ (٣٦)** ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦]، ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢)** ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وهذه الأمة لها عقيدتها ودينها، وكل تربية وتعليم لا تخدم هذه العقيدة، فهي في الحقيقة هدم وتخريب، والمسائل العلمية إذا صحَّت فلن تتصادم مع ما جاء في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ .

العلوم الرياضية :

وهي العلوم التي يزاولها الإنسان بعقله، والرياضة إما أن تكون بدنية أو أخلاقية، وسنتحدث عنها بعد قليل بإذن الله، وإما أن تكون رياضة عقلية فكرية، وهي التي نتحدث عنها الآن، وهذه العلوم تشمل الحساب، والهندسة، والجبر، والمقابلة، والفلك، والهيئة، والأرصاد، والجغرافيا، والتاريخ، والمنطق، والفلسفة، والسحر، والطلاسم، والرمل، والتنجيم، والجفر.

وهذه العلوم والتي سبقتها من جملة العلوم المشهورة، وكل علم له مشاهيره، ولا يخفى عليك أن الشهرة وحدها لا تدل على الجواز أو القبول؛ فقد يشتهر ما هو محرم أو ساقط، وقد اتفق العلماء على تحريم علوم، منها: السحر، والطلاسم، والرمل، والتنجيم، والجفر، ولم يختلفوا في جواز ومشروعية الحساب والهندسة والجبر والهيئة والفلك والأرصاد والجغرافيا والتاريخ.

مسائل تتعلق بالعلوم الرياضية:

الأولى :

لا يحوز تعلم الفلسفة؛ لأنها لا فائدة فيها، وخصوصًا بالنسبة للطلبة والصغار، ومن لا حظَّ عنده من النظر الشرعي، ولا أهلية لديه على الموازنة بين الغثِّ والسمين، والإيمان والكفر، وقد رأينا مدى الشر والفساد والحيرة والاضطراب عند طلاب المرحلة الثانوية (القسم الأدبي) الذين يدرسون هذه الفلسفات الكفرية الإلحادية، وقد ينبهرون بها وبأصحابها ممن رُوِّج لأسمائهم: كفرويد وغيره من اليهود؛ فحرام أن يتربَّى أبناء المسلمين على مثل هذا الضياع الذي يطلق عليه البعض وصف العلم، والواجب على كل مكلف أن يُحصِّن نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح، وأن ننبه إخواننا وأبناءنا للسمِّ الموجود في مناهجهم التعليمية، والفلاسفة المسلمين لا قيمة لهم فيما خالفوا فيه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ فنحن نقبل كلام ابن سينا في الطب أما كلامه في الفلسفة فمرفوض، ولابد من التفريق بين ابن سينا الطبيب وبين ابن سينا الفيلسوف.

الثانية :

لشيخ الإسلام ابن تيمية كتاب في نقض المنطق، وله كلام كثير في الرد على الفلاسفة موجود في مجموع الفتاوى، ولا يجوز تعلم المنطق إلاَّ إذا كان الإنسان محصنًا بعلم الكتاب والسنة علمًا وعملاً واعتقادًا، وإلاَّ فيُخشى عليه الزيغ والفتنة، وقد غضب النبي ﷺ لما رأى في يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيفة من التوراة، وقال له: «**أهذا وأنا حي بين أظهركم، لقد جئتكم بها بيضاء نقيَّة، والله لو كان موسى حيًا لما حُل له إلاَّ أن يتبعني**»

الثالثة :

الجفر وهو علم مبني على أسرار الحروف والرموز والإشارات، يزعم أصحابه أن فيه الحوادث المستقبلة إلى يوم القيامة، وهذا الجفر هو من زبالة أفكار الزنادقة قبَّحهم الله وقطع دابرهم، فقد وضعوه للفتنة والإضلال.

الرابعة :

لا يجوز تعلم أو تعليم السحر ولا فك السحر بالسحر؛ فهو من السبع الموبقات كما في الحديث الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وقال عمر بن الخطاب : الجبت : السحر، والطاغوت : الشيطان، وذلك في قوله تعالى : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ [النساء : ٥١] .

وقال جابر : الطواغيت كهان كان ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد .

ولا شك أن الساحر طاغوت من الطواغيت؛ فهو أشر وأخبث من الكاهن، وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال : كتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال : فقتلنا ثلاث سواحر، وعن جندب : « حد الساحر ضربة بالسيف »، والمعوذتان من أعظم الرقى في فك السحر عن المسحور .

الخامسة :

وهي تتعلق بالتنجيم في كتاب « تيسير العزيز الحميد » ما نصه : « قال شيخ الإسلام : التنجيم هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية » .

وقال الخطابي : علم النجوم المنهي عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان كأوقات هبوب الرياح ومجيء المطر وظهور الحر والبرد وتغير الأسعار وما كان في معناها من الأمور التي يزعمون أنهم يُدركون معرفتها بمسير الكواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقها، ويدَّعون أن لها تأثيراً في السفليات، وأنها تجري على قضايا موجباتها، وهذا منهم تحكم على الغيب وتعاطٍ لعلم قد استأثر الله به لا يعلم الغيب سواه .

قلت : واعلم أن التنجيم على ثلاثة أقسام :

أحدها : ما هو كفر بإجماع المسلمين، وهو القول بأن الموجودات في العالم السفلي مركبة على تأثير الكواكب والروحانيات، وأن الكواكب فاعلة مختارة،

وهذا كفر بإجماع المسلمين، وهذا قول الصابئة المنجمين الذين بعث إليهم إبراهيم الخليل عليه السلام ؛ ولهذا كانوا يعظمون الشمس والقمر والكواكب تعظيماً يسجدون لها ويتذللون لها ويسبحونها تسابيح معروفة في كتبهم، ويدعونها دعوات لا تنبغي إلاَّ لخالقها وفاطرها وحده لا شريك له، ويبنون لكل كوكب هيكلاً.

الثاني: الاستدلال على الحوادث الأرضية بمسير الكواكب واجتماعها وافتراقها ونحو ذلك، ويقول: إن ذلك بتقدير الله ومشيئته، فلا ريب في تحريم ذلك، واختلف المتأخرون في تكفير القائل بذلك ينبغي أن يقطع بكفره؛ لأنها دعوى لعلم الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه بما لا يدل عليه.

الثالث : الاستدلال بذلك على القبلة وأوقات الصلوات والفصول، وقد كره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عُيينة فيه، ذكره حرب عنهما، ورخَّص تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

قال البخاري في صحيحه :قال قتادة: خلق الله هذه النجوم الثلاث زينة للسماء ورجوماً للشياطين، وعلامات يُهتدى بها؛ فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به. اهـ. بتصرف واختصار.

وفي الصحيحين «**أصبح من عبادي مؤمن وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته فذاك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب**»، وقد ذكر النبي ﷺ ذلك على إثر ليلة مطيرة، وفي الحديث الذي رواه أبو داود: «**من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد**» ﴿**وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ** ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٩].

وعن أبي مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب،**

والاستسقاء بالنجوم، والنياحة » ، وقال ﷺ : « **النائحة إذا لم تتب قبل موتها تُقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب** » .

[رواه مسلم] .

السادسة :

وهي مسألة مهمة تتعلق بالرمل وما شابه ذلك، والرمل نوع من الكهانة والتنجيم، وهو عبارة عن الخطوط التي تخط على الرمل والأرض ومحوها بكيفيات خاصة؛ للتعرف على المجهولات من أحوال الإنسان والكون والكهانة ادعاء علم الغيب : كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب، والأصل فيه استراق الجن السمع من كلام الملائكة، فتلقيه في أذن الكاهن، والكاهن لفظ يُطلق على العراف والذي يضرب الحصى والمنجم، والنبي ﷺ قال عن هؤلاء الخبثاء ليسوا بشيء حتَّى وإن صدق مرة فهو يكذب معها مئة مرة، ولكن الناس يتناسون هذه المئة كذبة ولا يتذكرون إلاَّ أنه صدق يوم كذا وكذا.

وقد روى مسلم عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : « **من أتى عرافًا فسأله عن شيء فصدقه ؛ لم تُقبل له صلاة أربعين يومًا** » فإذا كانت هذه حال السائل، فكيف بالمسؤول؟

قال النووي وغيره : معناه : أنه لا ثواب له فيها، وإن كانت مجزئة في سقوط الفرض عنه ولا يحتاج معها إعادة . اهـ.

فهو يجب عليه أن يصلي، ولكن هذا جزاؤه لإتيانه ما نُهيَ عنه، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **من أتى كاهنًا فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أُنزل على محمد** » [رواه أبو داود]، وفي حديث آخر عند أحمد وغيره : « **من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد** » وفي الحديث أيضًا : « **ليس منَّا من تكهن أو تُكهن له** »

قال البغوي : العراف الذي يدَّعي معرفة الأمور بمقدمات يُستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك، وقيل: هو الكاهن، والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل. وقيل: الذي يُخبر عمَّا في الضمير.

وقال ابن تيمية : العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** (٥٩) ﴾ [الأنعام: ٥٩].

قال القرطبي : «قال علماؤنا: أضاف سبحانه علم الغيب إلى نفسه في غير ما آية من كتابه إلاَّ من اصطفى من عباده فمن قال: إنّه ينزّل الغيث غداً وجزم، فهو كافر، أخبر عنه بأمارة ادَّعاها أم لا، وكذلك من قال: إنه يعلم ما في الرحم فهو كافر، فإن لم يجزم وقال: إن النوء يُنزل اللهُ به الماء عادة، وأنه سبب الماء عادة، وأنه سبب الماء على ما قدره وسبق في علمه، لم يكفر إلاَّ أنه يُستحب له ألاَّ يتكلم به؛ فإن فيه تشبيهاً بكلمة أهل الكفر وجهلاً بلطيف حكمته؛ لأنه يُنزل متى شاء مرة بنوء كذا ومرة بدون نوء (وهو سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع آخر من المشرق يُقابله من ساعته، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها) «**قال الله تعالى: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بالكواكب**» على ما يأتي بيانه في الواقعة إن شاء الله.

قال ابن العربي : وكذلك قول الطبيب إذا كان الثدي الأيمن مسودّ الحلمة، فهو ذكر، وإن كان في الثدي الأيسر فهو أنثى، وإن كانت المرأة تجد الجنب الأيمن أثقل فالولد أنثى، وادَّعى ذلك عادة لا واجباً في الخلقة لم يكفر ولم يُفسق، وأما من ادَّعى الكسب في مستقبل العمر فهو كافر، أو أخبر عن الكوائن المجملة أو المفصلة في أن تكون قبل أن تكون فلا ريبة في كفره أيضاً، فأما من أخبر عن

كسوف الشمس والقمر، فقد قال علماؤنا: يؤدب ولا يُسجن، أما عدم كفره؛ فلأن جماعة قالوا: إنه أمر يدرك بالحساب وتقدير المنازل حسب ما أخبر الله عنه في قوله: ﴿ **وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ** ﴾ [يس: ٣٩]، وأما أدبهم؛ فلأنهم يدخلون الشك على العامة إذْ لا يدرون الفرق بين هذا وغيره فيشوشون عقائدهم ويتركون قواعدهم في اليقين، فأدبوا حتَّى يستروا ذلك إذا عرفوه ولا يعلنوا به.

قلت (أي القرطبي) **:** ومن هذا الباب ما جاء في صحيح مسلم عن بعض أزواج النبي ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة**» والعراف هو الحازي والمنجم الذي يدعي علم الغيب، وهي العرافة وصاحبها عراف، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدَّعي معرفتها، وقد يعتقد بعض أهل هذا الفن في ذلك بالزجر والطرق والنجوم وأسباب معتادة في ذلك.

وهذا الفن هو العرافة وكلها يطلق عليها اسم الكهانة قاله القاضي عياض، والكهانة ادعاء علم الغيب.

قال أبو عمر بن عبد البر في «الكافي» : من المكاسب المجتمع على تحريمها الربا ومهور البغايا والسحت والرشا وأخذ الأجرة على النياحة والغناء وعلى الكهانة وادعاء الغيب وأخبار السماء، وعلى الزمر واللعب الباطل كله.

قال علماؤنا: وقد انقلبت الأحوال في هذه الأزمان بإتيان المنجمين والكهان لا سيما بالديار المصرية؛ فقد شاع في رؤسائهم وأتباعهم وأمرائهم اتخاذ المنجمين، بل ولقد انخدع كثير من المنتسبين للفقه والدين؛ فجاءوا إلى هؤلاء الكهنة والعرافين فبهرجوا عليهم بالمحال واستخرجوا منهم الأموال؛ فحصلوا من أقوالهم على السراب والآل، ومن أديانهم على الفساد والضلال، وكل ذلك من الكبائر؛ لقوله عليه السلام : «**لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة**» فكيف بمن اتخذهم وأنفق عليهم معتمداً على أقوالهم؟!

روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل رسول الله ﷺ أناسًا عن الكهان فقال: «**ليسوا بشيء**» فقالوا: يا رسول الله، إنهم يُحدثون أحيانًا الشيء فيكون حقًا، فقال رسول الله ﷺ: «**تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة، فيخلطون معها مئة كذبة**» إلى أن ذكر رواية البخاري وفيها: «**إن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب، فتذكر الأمر قُضي في السماء؛ فتسرق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مئة كذبة من عند أنفسهم**» اهـ.

وبالتالي فيحرم مطالعة البخت أو أنت والنجوم وحظك اليوم، وغير ذلك من الأشياء التي يدعي بها أصحابها معرفة الغيب ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ**﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧]، ﴿**قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ**﴾ [النمل: ٦٥]، ﴿**إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ**﴾ [لقمان: ٣٤]، كما يحرم أيضًا قراءة الكف ومُطالعة الفنجان وفتح المندل، وعلينا أن نعلم أن الكهان وأشباههم محل قابل لتنزل الشياطين، يقول تعالى: ﴿**هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (٢٢٣)**﴾ [الشعراء: ٢٢١- ٢٢٣].

ومن عجيب الأمر أن الجرائد والمجلات مع مطلع كل عام ميلادي يأتون بالأخبار والحوادث التي ستحدث في العام المقبل!! هكذا زعموا ورغم وضوح الزيف وتكرار الخطأ والجرأة على عالم الغيب والشهادة قبل ذلك إلاَّ أنهم لا يرتدعون ولا عن غيّهم يقلعون، بل ويفعلون ذلك في بلدان المسلمين، وإن تعجب فاعجب أيضًا للنساء اللاتي يذهبن إلى الكنائس ويُجالسن القساوسة لمعرفة الأشياء الضائعة والمفقودة؛ فنسأل الله تعالى أن يأخذ بأيدينا وأن يردنا وأمتنا ردًا جميلاً لاتباع كتابه وسُنَّة نبيه ﷺ.

السابعة :

وهي قواعد مهمة في أسلوب وعرض النواحي التاريخية :

[١] جعل العقيدة الإسلامية المحور الأساسي في عرض التاريخ مع المحافظة على الوقائع التاريخية وعرضها كما جاءت في مصادرها الصحيحة، وهذا هو أسلوب القرآن وطريقته في عرضه لتاريخ الأنبياء، يُركز على الوحدانية وإخلاص العبودية لله ونبذ الشرك والمشركين وبيان تناقضهم ويجعل القصص ونتائجه مرتبط بذلك.

[٢] التركيز في العرض على الأهداف والغايات، فلا تشغلنا الدقائق التفصيلية في حوادث التاريخ عن العبرة من الحدث والرؤية الشاملة، وإنفاق الوقت والجهد في البحث عن أمور لا طائل تحتها ولا تعود على البحث بفائدة وليست من هدف المسلم ولا غايته في الحياة، وذلك إلاَّ أن يكون البحث في التفصيلات له مقصد شرعي.

[٣] أن يكون العرض موحيًا بتحبيب الخير وتبغيض الشر.

[٤] إبراز دور الأنبياء وأثرهم في تاريخ البشرية.

[٥] تحري استعمال المصطلحات الإسلامية.

[٦] الابتعاد عن أسلوب التعميم قبل حصول الاستقراء؛ وذلك لأن المؤرخ يجب أن يكون واضح المعنى وعباراته محددة الدلالة.

الشهرة بالشر والإفساد

فكما تحدث الشهرة بالعلم والصلاح، فكذلك تتم بالشر والإفساد، وهذا الركب يتزعمه إبليس، ويسير خلفه كل طاغية وطاغوت، وهو يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، وقد قطع عهداً على نفسه أن يتخذ من العباد نصيبًا مفروضًا، وقد بيَّن النبي ﷺ أن بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحد إلى الجنة؛ وذلك لأن يأجوج ومأجوج، ومن مات من بني آدم وبني إبليس على الكفر عددهم كبير، ثم يقوم إبليس في أهل النار خطيبًا يقول لهم: ﴿ **وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢)** ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وقد ابتدأ الصراع عندما خلق الله آدم وجعل إبليس يطيف به ويقول: لئن سلطت عليَّ لأعصينك، ولئن سلطت عليك لأهلكنك، ثم أُمر بالسجود لآدم فامتنع اعتراضًا على أمر الله، وسأل الله النظرة والمهلة إلى يوم القيامة ﴿ **قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦)** ﴾ [الحجر: ٣٦]، واقتضت حكمة الله إمهاله، ثم وسوس لآدم وحواء ﴿ **وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ** ﴾ [الأعراف: ٢١، ٢٢]، ثم نزل الجميع إلى الأرض ﴿ **قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٢٤)** ﴾ [الأعراف: ٢٤]، وكانت أول معصية تقع على الأرض بسبب الحسد؛ فقد قتل قابيل أخاه هابيل.

وإبليس في حربه لبني آدم يستخدم كل الحيل، ومع هذا فكيده ضعيف ﴿ **إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦)** ﴾ [النساء: ٧٦] وهو يحاول أن يستدرج العباد في عقبة من العقبات السبع إما الكفر أو البدعة أو الكبيرة أو الصغيرة أو

تقديم الأمور المفضولة على الأمور الفاضلة أو الإسراف في المباحات، فإن يُفلح استجلب الأذى على عباد الله؛ لإعاقتهم عن طاعة ربهم، وهو يتخذ لنفسه أعوانًا من الإنس والجن، مُحاولاً إبعاد العباد عن صراط الله المستقيم بإيقاعهم إما في أمراض الشهوات، وإما في أمراض الشبهات، وسالكًا بهم مسالك الإفراط والتفريط، ومن تأمل حالة البشرية وجد صراعًا ودفعًا بين أهل الحق وأهل الباطل، حدث ذلك بين إبراهيم عليه السلام والنمروذ، وبين موسى عليه السلام وفرعون، وبين رسول الله ﷺ وكفار قريش كأبي جهل وأبي لهب، والشيطان لا ينام في حربه للإسلام وأهله، وكذلك أعوانه من اليهود والنصارى والملاحدة ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف: ٢١].

عالم الجن والشياطين:

قال ابن عبد البر: الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان على مراتب:

[١] فإذا ذكروا الجن خالصًا قالوا: جني.

[٢] فإذا أرادوا أنه مما يسكن مع الناس قالوا: عامر، والجمع عمار.

[٣] فإن كان مما يعرض للصبيان قالوا: أرواح.

[٤] فإن خبث وتعرض قالوا: شيطان.

[٥] فإن زاد أمره على ذلك وقوى قالوا: عفريت.

والجن منه المسلم ومنه الكافر، وقد خُلقوا من النار وعندهم مقدرة على التلون والتشكل والتصنيع، ولديهم سرعات كبيرة، والجن والإنس يموتون، ولم تُسخَّر الجن لأحد إلاَّ لسليمان، وهم مكلفون بأصل الشريعة.

علماء السوء:

خطرهم كبير وضررهم عظيم؛ فهم بمثابة قُطّاع الطريق إلى الله تعالى، حرَّموا الحلال، وأحلّوا الحرام، وكتموا الحق مع حاجة الناس إياه، ودعوا الناس بأقوالهم

وصدوهم ، وكان الإمام أحمد – رحمه الله – يقول: «إذا تكلم العالم تقية والجاهل يجهل، متى يتبين الحق؟!» ؛ ولذلك لما قال له تلميذه أبو سعيد في محنته: يا إمام، قلها ؛ فإن لك عيالاً (يقصد بذلك يوافق الحاكم فيما يقول) فقال له الإمام: انظر . فنظر فإذا خلق كثير كلهم معه ورقة وقلم؛ ينتظر أن يكتب ما يقوله الإمام، ورجع تلميذه يصف له المشهد، فقال له: «والله ما يكون لي أن أنجو بنفسي وأضل هؤلاء» .

وكان ابن المبارك - رحمه الله - ينشد ويقول :

رأيت الذنوب تُميتُ القلوب ... وقدْ يورث الذلَّ إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب ... وخيرٌ لنفسك عصيانها
وهل أفسد الدين إلاَّ الملوك ... وأحبار سوء ورهبانها

فشبه علماء السوء من هذه الأمة بالأحبار والرهبان الذين باعوا دينهم بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين، وكانوا يقولون: من فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى، ومن فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ **مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ** ﴾ [آل عمران: ٧٩].

قال الإمام ابن كثير : « . . وفي حديث عدي قال: يا رسول الله، ما عبدوهم، قال: «**بلى إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال ؛ فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم**» ثم قال: «فالجهلة من الأحبار والرهبان ومشايخ الضلال يدخلون في هذا الذم والتوبيخ بخلاف الرسل وأتباعهم من العلماء العاملين فإنهم إنما يأمرون بما يأمر الله به وبلغتهم إياه رسله الكرام، وإنما ينهونهم عمَّا نهاهم الله عنه، وبلَّغتهم إياه رسله الكرام» . اهـ.

وقال أبو حازم : إن بني إسرائيل لما كانوا على الصواب كانت الأمراء تحتاج إلى

العلماء، وكانت العلماء تفر بدينها من الأمراء، فلما رأى ذلك قوم من أذلة الناس تعلموا ذلك العلم وأتوا به إلى الأمراء؛ فاستغنت به عن العلماء، واجتمع القوم على المعصية؛ فسقطوا وانتكسوا، ولو كان علماؤنا يصونون علمهم لم تزل الأمراء تهابهم.

ولما طلب منه سليمان بن عبد الملك النصيحة، قال أبو حازم: إنَّ أناسًا أخذوا هذا الأمر عنوة من غير مشاورة من المسلمين ولا اجتماع من رأيهم فسفكوا فيه الدماء على طلب الدنيا ثم ارتحلوا عنها، فليت شعري ما قالوا وما قيل لهم؟ فقال بعض جلسائه: بئس ما قلت يا شيخ. قال أبو حازم: كذبت، إن الله تعالى أخذ على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه، قال سليمان: اصحبنا يا أبا حازم تصب منا ونصب منك، قال: أعوذ بالله من ذلك. قال: ولمَ؟ قال: أخاف أن أركن إليكم شيئًا قليلاً، فيذيقني ضعف الحياة وضعف الممات. قال: فأشر عليَّ. قال: اتق الله أن يراك حيث نهاك، وأن يفتقدك حيث أمرك. اهـ.

كلمات من نور أحرى أن تُنقش على القلوب وتكون نبراسًا لهؤلاء الذين أعماهم الجاه والمناصب وزخرف الدنيا والشهرة فيها، فألقوا دينهم خلف أظهرهم وجعلوه مطية لبلوغ المآرب.

وقديما قالوا: إن هذا العلم شريف من أراد به الدنيا وجدها، ومن أراد به الآخرة وجدها.

ولما أُدخل الإمام أبو حنيفة السجن وضُرب بالسياط بين أيدي أبي جعفر المنصور أتته أمه تزوره، وفي يوم قالت له: يا نعمان، إن علمًا ما أفادك غير الضرب والحبس لحقيق بك أن تنفر عنه. فأجابها: يا أمه لو أردت الدنيا لوصلت إليها، ولكني أردت أن يعلم الله أني صنت العلم ولم أعرض نفسي فيه للهلكة.

فهؤلاء الأفاضل زهدوا في الدنيا؛ فجاءتهم الدنيا، وأعرضوا عنها، فأقبلت عليهم، وهابوا الله فهابهم الناس، فما أبعد علماء السوء عن مسلك سلف الأمة

الكرام الذين لم تأخذهم في الله لومة لائم، فقاموا لله بحقه وعلموا الحق ورحموا الخلق، وبهم قام الإسلام وبه قاموا.

قال أبو الأسود الدؤلي - رحمه الله -:

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلاَّ لنفسك كان ذا التعليمُ
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى ... كيما يصح به وأنت سقيمُ
وأراك تلقح بالرشاد عقولنا ... نصحًا وأنت من الرشاد عديمُ
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يُقبل ما تقول ويقتدي ... بالعلم منك وينفع التعليم
لا تنهَ عن خلق وتأتي مثله ... عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ

فاعرف الحق تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف من أتاه، واعلموا أن هذا الأمر دين؛ فانظروا ممن تأخذون دينكم، والإسلام حاكم، والناس محكوم عليهم، ولا عبرة بقول أو بفعل صدر من إنسان وإن كان مشهوراً فخالف به كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ، وكل ابن آدم خطَّاء وخير الخطائين التوابون، فهيا بنا نرجع لعلماء الأمة المعتبرين الذين سلكوا مسالك سلف الأمة في فهمهم لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ.

الشهرة بالمال

تهافتَ الناس على المال وتطلعهم إلى المشاهير من أصحاب الملايين والبلايين أصبح سمة من سمات هذا العصر المادي، بل البعض يرتحل ويُهاجر تاركًا وطنه ودينه سعيًا وراء المال، وقد استخدم اليهود وأشباههم سلاح المال في إفساد الأخلاق، وتلويث الأعراض، والتحكم في البلاد والعباد عن طريق الاقتصاد تارة وشراء العملاء والذمم الخربة تارة أخرى، وإضعاف الأمم والشعوب بترويج المخدرات وإحداث الفتن والقلاقل بتمويل السلاح، ومن هنا كانت خطورة المال.

والمال لا يذم لذاته، بل يقع الذم لمعنى من الآدمي، وذلك المعنى إما لشدة حرصه أو تناوله من غير حله أو حبسه عن حقه أو إخراجه في غير وجهه أو المفاخرة به؛ ولذا قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ [المنافقون: ٩]، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ** (١٥) ﴾ [التغابن: ١٥]، وقال سبحانه: ﴿ **كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ** (٦) **أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ** (٧) ﴾ [العلق: ٦، ٧].

وقد حكى لنا ربنا صوراً من الطغيان بالمال كطغيان قارون الذي قال: ﴿ **إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي** ﴾ [القصص: ٧٨]، ﴿ **وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ** ﴾ القصص: ٧٦]، وطغيان صاحب الجنتين الذي قال لأخيه المؤمن: ﴿ **أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا** (٣٤) ﴾ [الكهف: ٣٤]، وقال النبي ﷺ: «**تعسَ عبد الدينار، تعس عبد الدرهم تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش**»، وقال أيضًا: «**يقول ابن آدم مالي مالي، وهل لك من مالك إلاَّ ما أكلت فأفنيت أو لبستَ فأبليتَ أو تصدقت فأمضيت؟**» [رواه مسلم]، وقال ﷺ: «**هلك المكثرون إلاَّ من قال به في عباد الله هكذا وهكذا، وقليل ما هم**».

[رواه البخاري].

وعن يحيى بن معاذ قال : الدرهم عقرب، فإن لم تُحسن رقيته فلا تأخذه؛ فإنه إن لدغك قتلك سمه. وقيل: ما رقيته؟ قال: أخذه من حله ووضعه في حقه.

وعنه رحمه الله : مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته. قيل: وما هما؟ فقال: يُؤخذ منه كله، ويُسأل عنه كله.

والحرص على المال والرئاسة يستلزم الظلم والكذب والفواحش في غالب الأحيان، كما في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والشح؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالظلم فظلموا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا**»، وعن كعب عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**»، قال الترمذي: حديث حسن، فحرص الرجل على المال والشرف يوجب فساد الدين، وقال النبي ﷺ: «**من أصبح والدنيا أكبر همه شتت الله عليه شمله وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلاَّ ما كتب له، ومن أصبح والآخرة أكبر همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع عليه ضيعته وأتته الدنيا وهي راغمة**» وقال ﷺ: «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**» [رواه أحمد بسند صحيح].

وكان البعض يقول : متاع الغرور ما ألهى صاحبه عن طلب الآخرة، وما لم يلهك عن طلب الآخرة فليس بمتاع غرور، ولكن متاع بلاغ إلى ما هو أبلغ منه، وكان أحد العلماء يقول: كيف لا أُحب دنيا قدر لي فيها قوت أكتسب به حياة أدرك بها طاعة أنال بها الجنة.

وقالوا : نعمت الدار الدنيا كانت للمؤمن، وذلك أنه عمل قليلاً وأخذ زاده منها إلى الجنة، وبئست الدار كانت للكافر والمنافق؛ وذلك أنه ضيع لياليه وكان زاده منها النار.

ولا يُؤَمَّم مال العبد ولا يحجر عليه حتَّى وإن بلغ البلايين طالما أُخِذَ من حله ووُضِعَ في حقه.

الشهرة بالجاه والسلطان

الخلافة والإمارة لها بريقها ولمعانها، والناس عادة تبعًا لحكامهم، وهم على قدرنا ونحن على قدرهم، وكما قالوا: كيفما تكونوا يولى عليكم؛ ولذلك قال ابن القيم: نحن في زمان لا يصلح أن يولى علينا فيه مثل معاوية بن أبي سفيان وعمر بن عبد العزيز فضلاً عن الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وقد ضبط الإسلام أمر الحكم والرياسة كما ضبط سائر شئون الحياة؛ فالخلافة موضوعة لتطبيق الدين وسياسة الدنيا به، والعدل هو أساس الملك ولا يمكن أن يتحقق إلاَّ بالرجوع لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ، وقد ابتدأت الخلافة بآدم عليه السلام ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ [البقرة: ٣٠]، ثم تلاه بنوه، وكان بين آدم ونوح عشرة قرون كلها على التوحيد ثم دخل الشرك؛ فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، وكان من الأنبياء من هو نبي ملك كداود وسليمان، ومنهم من كان عبدًا رسولاً كرسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥)** ﴾ [الحديد: ٢٥].

والبينات هي المعجزات والحجج الباهرات والدلائل القاطعات، والكتاب هو النقل الصدق والميزان العدل، قاله مجاهد وغيره.

قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾: «أي وجعلنا الحديد رادعًا لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه؛ ولهذا أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية، وكلها جدال مع المشركين وبيان وإيضاح للتوحيد وبيّنات ودلالات، فلما قامت الحجة على من خالف شرع الله الهجرة وأمرهم بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب والهام لمن خالف

القرآن وكذب به وعانده، ثم ساق حديث النبي ﷺ: «**بُعثت بالسيف بين يدي الساعة؛ حتَّى يُعبد الله وحده لا شريك له وجُعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبَّه بقوم فهو منهم**» اهـ.

وقد تكلَّم العلماء في شروط الخلافة والإمارة وكيفية الوصول إلى الحكم، فلا يصح مثلاً للكافر أن يتولى إمرة المسلمين ﴿**وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا** (١٤١)﴾ [النساء: ١٤١]، وتقديم الأمثل فالأمثل أمر واجب ولابد من توافر القوة والأمانة بحسب الولاية ﴿**إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ** (٢٦)﴾ [القصص: ٢٦]، ولا يصح التزوير والكذب والخداع للوصول إلى هذه المناصب؛ فهي أمانة وتكليف، روى البخاري عن حذيفة أن النبي ﷺ قال لأهل نجران: «**لأبعثن إليكم رجلاً أمينًا حق أمين**» فاستشرف لها أصحاب النبي ﷺ، فبعث أبا عبيدة.

وقد رأي البعض الولايات مغنمًا؛ فانبهر بها وتطلع إليها ونافق في سبيل تحصيلها وهو عارٍ من أدواتها ومتطلباتها، وهذه من أعظم صور الخيانة؛ روى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنه ستأتي على الناس سنون خدَّاعة يصدق فيها الكاذب، ويُكذَّب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويُخوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة**» قيل: وما الرويبضة؟ قال: «**السفيه يتكلم في أمر العامة**» [قال ابن كثير جيد].

وفي حديث جبريل: «**وإذا كانت العراة الحفاة رؤوس الناس فذاك من أشراطها**». وعن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أشراط الساعة أن يغلب على الدنيا لكع ابن لكع؛ فخير الناس يومئذ مؤمن بين كريمين**» [الطبراني في الأوسط]، وفي الصحيح: «**إذا أُسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**من أشراط الساعة أن يعلو التحوت الوعول**»، أكذلك يا عبد الله بن مسعود، سمعته من حبي؟ قال: نعم، ورب الكعبة. قلنا: وما التحوت؟ قال: «**فسول الرجال وأهل البيوت الغامضة يُرفعون فوق صالحهم، والوعول أهل البيوت الصالحة**» [رجاله رجال الصحيح]، وعند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تذهب الدنيا حتى تصير للكع ابن لكع** (وهو العبد الأحمق اللئيم)» [صححه الألباني]، فيصير نعيمها وملاذها والوجاهة فيها له، وروى أحمد عن حذيفة: «**لا تقوم الساعة حتَّى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع**» [صححه الألباني]، وفي الصحيحين عن حذيفة فيما رواه عن النبي ﷺ في قبض الأمانة: «**حتى يقال للرجل ما أجلده ما أظرفه ما أعقله، وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان**».

فانظر كيف صارت المناصب العليا كقمم الجبال لا يصل إليها إلاَّ الهوام والحشرات، والولاية أمانة، وهي يوم القيامة خزي وندامة إلاَّ من أخذها بحقها وأدَّى حق الله فيها.

الشهرة بالجمال

فالجمال له أسواق ومسابقات تتبارى النساء فيها في إظهار محاسنهن ومفاتنهن، ويتم في هذه المسابقات انتخاب ملكة جمال القطر، ثم ملكة جمال العالم أو الكون، وهناك هيئات للتحكيم، ويتم الاختيار وفق شروط محددة، وعلى أساسها يتم ترتيب الجميلات في العالم، ولا يخفى على أحد مدى الفحش والتفحش والخلاعة والعري الذي يحدث في هذه المسابقات مما لا يستريب عاقل في حرمته؛ فالمرأة مأمورة بستر زينتها عن الرجال الأجانب، والأوامر الشرعية في حقها تحضها على الصيانة والتحفظ والتحجب والتباعد عن مواطن التهم والريب والشكوك، يقول تعالى: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ**﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقال سبحانه: ﴿**فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾**﴾ [الأحزاب: ٣٢]، وقال: ﴿**وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ**﴾ [النور: ٣١].

وتبرج الجاهلية هو أن المرأة كانت تبرز خصلة من خصلات شعرها أو أنها كانت تسير مسفحة بصدرها وسط الرجال، ولا شك أن ما يحدث عند الشواطئ وفي هذه المسابقات أفضح من تبرج الجاهلية الأولى.

قال تعالى: ﴿**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ**﴾ [النور: ٣١]، وهذه الآية يُستدل بها على وجوب تغطية الوجه؛ لأنه مكمن الفتنة ومنبع الخطر؛ ولذلك اتفق العلماء على مشروعية تغطية الوجه إذا كانت المرأة بحضرة الرجال الأجانب عنها، وقد ذهب بعض العلماء إلى استحباب ذلك، والصحيح القول بوجوبه، ومما يستدل به على ذلك أيضًا قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾**﴾ [الأحزاب: ٥٩].

والجلباب يُضرب من الرأس حتّى القدم وتبرز المرأة عينها اليسرى، قاله ابن مسعود وعبيدة وقتادة والحسن البصري وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وعطاء الخراساني وغير واحد، والجلباب أيضًا هو الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار.

قال ابن تيمية : « فإذا كنَّ مأمورات بالجلباب لئلاَّ يُعرفن وهو ستر الوجه أو ستر الوجه بالنقاب، كان حينئذ الوجه واليدان من الزينة التي أُمِرَتْ أن لا تظهرها للأجانب، فما بقى يحل للأجانب النظر إلاَّ للثياب الظاهرة . . . » .

وقال في موضع آخر: « . . . الوجه واليدان والقدمان ليس لها أن تُبدي ذلك للأجانب على أصح القولين، بل لا تُبدي إلاَّ الثياب » اهـ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما **قال :** أمر اللهُ نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يُغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويُبدين عينًا واحدة.

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : « لما نزلت هذه الآية ﴿ **يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ** ﴾ [الأحزاب : ٥٩] خرج نساء الأنصار كأن رؤوسهن الغربان من السكينة، وعليهن أكسية سود يلبسنها »، ولو لم يكن ستر الوجه موجودًا على عهد رسول الله ﷺ لما قال : « **المحرمة لا تنتقب ولا تلبس القفازين** » وبمفهوم المخالفة الغير محرمة تنتقب وتلبس القفازين، ولما استأذن المغيرة بن شعبة رسول الله ﷺ في أن يرى وجه مخطوبته، ولما كان السبب في إثارة الفتنة التي أدت إلى إجلاء بني قينقاع عن المدينة عندما كشف اليهودي عن وجه الأنصارية، ولما قالت عائشة رضي الله عنها : « سدلت إحدانا جلبابها على وجهها »، وذلك عندما يمر بهن الركبان، وفي قصة الإفك قالت : فخمرت (أي غطيت وجهي بجلبابي) وكان يعرفني قبل نزول آية الحجاب.

وحديث أسماء في كشف الوجه والكفين ضعيف، ولو صح لحُمل هو وغيره على الوضع قبل نزول آية الحجاب، ولما تخلَّف رجال يتحدثون في بيت رسول الله

ﷺ وكانت السيدة زينب أم المؤمنين مولية وجهها إلى الحائط، وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وروى أبو داود أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ يُقال لها أم خلاد وهي منتقبة تسأل عن ابنها وهو مقتول في الجهاد مع النبي ﷺ فقال لها بعض أصحاب النبي ﷺ: جئت تسألين عن ابنك وأنت منتقبة؟ فقالت: إنْ أرزأ ابني فلن أرزأ بحيائي.

وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**المرأة عورة**» ولم يستثنِ النَّبيُّ ﷺ الوجه والكفين، وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: «كنَّا نغطي وجوهنا من الرجال نمتشط قبل ذلك في الإحرام» [رواه أبو داود]، وفي الموطأ للإمام مالك عن فاطمة بنت المنذر قالت: كنَّا نخمر وجوهنا ونحن محرمات ونحن مع أسماء بنت أبي بكر الصديق فلا تنكره علينا. وقد ورد في فتح الباري عن عائشة رضي الله عنها: «تسدل المرأة جلبابها من فوق رأسها على وجهها».

فاتقي الله أيتها الأخت المسلمة واعلمي أن الدنيا لا تصلح عوضًا عن معنى من معاني الإيمان وأن الآخرة خير وأبقى، وما الحياة الدنيا إلاَّ متاع الغرور والموت آت لا ريب في ذلك وسعادة الدارين إنما تحدث بالاستقامة على شرع الله ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤]، واحذري من وساوس شياطين الإنس والجن الذين يزخرفون لك الباطل وكأنه الحرية والمساواة، واهتفي بنفسك قائلة: ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) ﴾ [الأنعام: ١٥].

وكلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته؛ فعلى الرجل أن يصون نساءه وأن يلزمهن طاعة الله والحجاب الشرعي ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦] فالنبي ﷺ ما ترك فتنة بعده أضر على الرجال من النساء، ولن تزول قدما ابن آدم من عند الله حتَّى يسأل كل راع عمَّا

استرعاه حفظ أم ضيع، وكفى بالمرء إثمًا أن يُضيع من يعول، والحفظ بدين الله أوكد من الإتيان بالطعام والشراب، ومهمة الرجل لا تقتصر على مجرد الإتيان بهذه الأشياء.

فاتقوا الله حق التقوى واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى واحذروا المعاصي، فأجسامكم على النار لا تقوى، واعلموا أنكم غداً بين يدي الله موقوفون وعلى تفريطكم نادمون وبأعمالكم مجزيون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

الشهرة بالرياضة

كان النبي ﷺ يقول لأصحابه: «**ارموا وأنا معكم**» [رواه البخاري]، وقال أيضًا: «**عليكم بالرمي؛ فإنه خير لكم**» [رواه الطبراني والبزار بإسناد جيد]، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾ [الأنفال: ٦٠] قال النبي ﷺ: «**ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي**».

[رواه مسلم].

وكان علي بن أبي طالب عداء (سريع الجري)، وكان سلمة بن الأكوع يُسابق الخيل فيسبقها، وكان النبي ﷺ أحيانًا يأمر الركب فينطلق، ثم يُسابق السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت أم المؤمنين: سابقني رسول الله ﷺ فسبقته، فلبثت حتَّى أرهقني اللحم سابقني فسبقني، فقال: «**هذه بتلك**». وذلك لأنها سبقته في المرة الأولى. [رواه أحمد وأبو داود] وقد صارع النبي ﷺ ركانة فصرعه ثلاث مرات، وكان ركانة من مشاهير العرب بالقوة، وكان النبي ﷺ يقول للحبشة، وهم يلعبون بالحراب في المسجد: «**دونكم بني أرفدة**»، وكان يقول للسيدة عائشة رضي الله عنها: «**تشتهين تنظرين**»، وتروي رضي الله عنها وتقول: «لقد رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتَّى أكون أنا الذي أسأمه، فأقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو» [متفق عليه].

وقال رسول الله ﷺ: «**الخيل معقود بنواصيها الخير**» [رواه أحمد]، وقال: «**ارموا واركبوا**» [رواه مسلم]، وقال: «**كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو، إلاَّ أربع خصال: مشي الرجل بين الغرضين** (للرمي) **وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، وتعليمه السباحة**» [رواه الطبراني بإسناد جيد]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما «أن النبي ﷺ سبق بين الخيل وأعطى السابق» [رواه أحمد]، وقيل لأنس: أكنتم تراهنون على عهد رسول الله ﷺ، أكان رسول الله ﷺ يراهن؟ قال: نعم،

والله لقد راهن على فرس يُقال له سبحة فسبق الناس فهش لذلك وأعجبه» [رواه أحمد]، وقال: «**الخيل ثلاثة، فرس للرحمن، وفرس للإنسان، وفرس للشيطان، فأما فرس الرحمن فالذي يرتبط في سبيل الله، فعلفه وروثه وبوله، وذكر ما شاء الله، وأما فرس الشيطان فالذي يقامر أو يراهن عليه، وأما فرس الإنسان فالذي يربطه الإنسان يلتمس بطنها فهي ستر من فقر**» [متفق عليه].

والرهان المباح هو الذي يبعد عن كل شبهة بأن يبذل من غير المتسابقين (كجمعية خيرية أو بعض المحسنين أو تنظمه الدولة) أو من أحدهما فقط، فأما إذا بذل كل منهما جعلاً (كما هو الحال الآن في أندية السباق) على أن من سبق منهما أخذ الجعلين معًا فهو القمار المنهي عنه، وهذه الفرس التي يقامر عليها هي فرس الشيطان، وثمنها وزرًا، وكذلك علفها وركوبها.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «علموا أولادكم السباحة والرماية ومروهم فليثبوا على ظهور الخيل وثبًا»، وأنت إذا تأملت هذه الرياضات وجدتها نافعة ومفيدة للفرد وللأمة، وهي أيضًا من معاني القوة التي أُمرنا بالأخذ بأسبابها ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾ [الأنفال: ٦٠]، والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي المقابل أشياء نهى عنها الشرع لخلوها من المنفعة الحقة والمصلحة الجائزة، ومن ذلك «أن النبي ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا» [متفق عليه]؛ وذلك لما فيه من تعذيب الحيوان وإتلاف نفسه وإضاعة المال، «ونهى النبي ﷺ عن التحريش بين البهائم» [رواه أبو داود والترمذي]، وقد كان العرب يأتون بكبشين أو ثورين يتناطحان حتَّى يهلكا أو يقاربا الهلاك، وفي هذا إهلاك للحيوان دون فائدة لمجرد العبث واللعب والضحك.

ولا تجوز المقامرة، وقد قال النبي ﷺ: «**لا سبق إلاَّ في خف أو حافر أو**

نصل» ؛ فالمراهنة وأخذ الرهن جائز بلا خلاف بين علماء المسلمين في سباق الخيل والإبل وفي الرماية وهي المناصلة، ومن الرياضات الجائزة: المصارعة والسباحة والجري على الأقدام أو الدراجات أو السيارات وحمل الأثقال وسباق الزوارق البحرية وحل المسائل العلمية، ومن الألعاب المحرمة: اللعب بالنرد أو الطاولة حتَّى وإن خلا من القمار؛ لقول النبي ﷺ: «**من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه**»[رواه مسلم]، وروى أبو موسى عن النبي ﷺ: «**من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله**»[رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه].

وكذلك لا يجوز اللعب بالشطرنج، وقد مرَّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه على قوم يلعبون بها فقال لهم: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون. وهي شر من النرد كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية، وهي لعبة محرمة حتَّى وإن خلت من القمار والعوض، وقال عليّ: هو من الميسر، وقال ابن عمر: هو شر من النرد، وكذلك لا تجوز ألعاب الورق (البلوت والكوتشينة).

وقد قال الشيخ ابن باز - رحمه الله - عن ألعاب الورق والشطرنج:

«لا تجوز هاتان اللعبتان وما أشبههما؛ لكونهما من آلات اللهو، ولما فيهما من الصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وإضاعة الأوقات في غير حق، ولما قد تُفضي إليه من الشحناء والعداوة، هذا إذا كانت هذه اللعبة ليس فيها عوض، أما إن كان فيها عوض مالي فإن التحريم يكون أشد؛ لأنها بذلك تكون من أنواع القمار الذي لا شك في تحريمه ولا خلاف فيه، والله ولي التوفيق» اهـ.

ولقد سُئلت لجنة الفتوى بالسعوديّة عن حكم هذه اللعبة التي ظهرت في الأسواق ويلعبها الأطفال والشبان وهي مركبة من منضدة فيها تماثيل لاعبي كرة القدم، ويُوضع فيها كرة صغيرة تحرك بالأيدي، فمن غلب يدفع أجرة اللعبة إلى صاحبها، والغالب لا يدفع شيئًا، فهل يجوز هذا وأمثاله في الشّريعة الإسلامية ؟.

والجواب:

إذا كان حال هذه اللعبة ما ذكرت من وجود تماثيل بالمنضدة التي يُلعب عليها، ودفع المغلوب أجرة استعمال اللعبة لصاحبها فهي محرمة لأمور:

أولاً: إن الاشتغال بهذه اللعبة من اللهو الذي يقطع على اللاعب بها فراغه ويُضيّع عليه الكثير من مصالح دينه ودنياه، وقد يصير اللعب بها عادة له وذريعة إلى ما هو أشد من ذلك من أنواع المقامرة، وكل ما كان كذلك فهو باطل محرّم شرعًا.

ثانيًا: صُنع التَّماثيل والصور واقتناؤها من كبائر الذنوب للأحاديث الصحيحة التي توعَّد الله تعالى، وتوعَّد رسوله ﷺ من فعل ذلك بالنار والعذاب الأليم.

ثالثًا: دفع المغلوب أجرة استعمال اللعبة مُحرَّم؛ لأنه إسراف وإضاعة للمال بإنفاقه في لعب ولهو، وإيجار اللعبة عقد باطل وكسب صاحبها منها سحت وأكل للمال بالباطل، فكان ذلك من الكبائر والقمار المحرم، وصلّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.اهـ.

وقد نهى النبي ﷺ عن ضرب الوجه (كما في الملاكمة) وقال: «**لا تضرب الوجه**»؛ وذلك لأنه مجمع الأعضاء الحساسة الدقيقة، وهناك ألعاب قد تُفضي إلى الموت كما في المصارعة الحرة وأشباهها حيث يعمد كل لاعب إلى ضرب خصمه في الأماكن القاتلة، وكل هذا لا يجوز شرعًا.

القرار الثالث
من قرارات مجلس المجمع الفقهي الإسلامي
الدورة العاشرة
بشأن موضوع الملاكمة، والمصارعة الحرّة ومصارعة الثيران وغيرها

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا ونبينا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد :

فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي في دورته العاشرة المنعقدة بمكّة المكرّمة في الفترة من يوم (السبت ٢٤ صفر ١٤٠٨هـ، الموافق ١٧ أكتوبر ١٩٨٧م) إلى يوم (الأربعاء ٢٨ صفر ١٤٠٨ هـ، الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٨٧م)، قد نظر في موضوع الملاكمة والمصارعة الحرة من حيث عدهما رياضة بدنيّة جائزة، وكذا في مصارعة الثيران المعتادة في بعض البلاد الأجنبية، هل تجوز في حكم الإسلام أو لا تجوز ؟ وبعد المداولة في هذا الشأن من مختلف جوانبه، والنتائج التي تُسفر عنها هذه الأنواع التي نُسبت إلى الرياضة وأصبحت تعرضها برامج البث التلفازي في البلاد الإسلاميّة وغيرها، وبعد الاطّلاع على الدراسات التي قُدّمت في هذا الشأن بتكليف من مجلس المجمع في دورته السابقة من قبل الأطباء ذوي الاختصاص، وبعد الاطّلاع على الإحصائيّات التي قدّمها بعضهم عمَّا حدث فعلاً في بلاد العالم نتيجة لممارسة الملاكمة وما يُشاهد في التلفزة من بعض مآسي المصارعة الحرة قرر مجلس المجمع ما يلي :

أولاً : الملاكمة :

يرى المجلس بالإجماع أنَّ الملاكمة المذكورة التي أصبحت تُمارس فعلاً في

حلبات الرياضة والمسابقة في بلادنا اليوم هي ممارسة محرّمة في الشريعة الإسلامية؛ لأنها تقوم على أساس استباحة إيذاء كل من المتغالبين للآخر إيذاءً بالغًا في جسمه قد يصل به إلى العمى أو التّلف الحاد أو المزمن في المخ، أو إلى الكسور البليغة، أو إلى الموت دون مسئوليّة على الضارب مع فرح الجمهور المؤيّد للمنتصر، والابتهاج بما حصل للآخر من الأذى، وهو عمل محرّم مرفوض كليّاً وجزئيّاً في حكم الإسلام؛ لقوله تعالى: ﴿ **وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ﴾ [البقرة: ١٩٥]؛ وقوله تعالى: ﴿ **وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩)** ﴾ [النساء: ٢٩]؛ وقوله ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**».

وعلى ذلك فقد نصَّ فقهاء الشريعة على أنَّ من أباح دمه لآخر، فقال له: اقتلني، أنه لا يجوز له قتله، ولو فعل كان مسئولاً ومستحقًا للعقاب.

وبناءً على ذلك يُقرر المجمع أن هذه الملاكمة لا يجوز أن تُسمَّى رياضة بدنيّة، ولا تجوز ممارستها؛ لأن مفهوم الرياضة يقوم على أساس التَّمرين دون إيذاء أو ضرر، ويجب أن تحذف من برامج الرياضة المحليّة ومن المشاركات فيها في المباريات العالميّة، كما يُقرر المجلس عدم جواز عرضها في البرامج التلفازيّة؛ كي لا تتعلم الناشئة هذا العمل السيئ وتُحاول تقليده.

ثانيًا: المصارعة الحرَّة:

وأما المصارعة الحرَّة التي يستبيح فيها كل من المتصارعين إيذاء الآخر والإضرار به، فإن المجلس يرى فيها عملاً مُشابهًا تمام المشابهة للملاكمة المذكورة، وإن اختلفت الصورة؛ لأن جميع المحاذير الشرعيّة التي أُشير إليها في الملاكمة موجودة في المصارعة الحرَّة التي تجري على طريقة المبارزة وتأخذ حكمها في التحريم.

وأما الأنواع الأخرى من المصارعة التي تُمارس لمحض الرياضة البدنيّة، ولا يُستباح فيها الإيذاء، فإنَّها جائزة شرعًا، ولا يرى المجلس مانعًا لها.

ثالثًا : مصارعة الثيران :

وأما مصارعة الثيران في بعض بلاد العالم، والتي تُؤدي إلى قتل الثور ببراعة استخدام الإنسان المدرب للسلاح، فهي أيضًا محرَّمة شرعًا في حكم الإسلام؛ لأنَّها تؤدي إلى قتل الحيوان تعذيبًا بما يُغرس في جسمه من سهام، وكثيرًا ما تُؤدي هذه المصارعة إلى أن يقتل الثور مُصارعه، وهذه المصارعة عمل وحشي يأباه الشرع الإسلامي الذي يقول رسوله المصطفى ﷺ في الحديث الصحيح: «**دخلت امرأة النار في هرّة حبستها، فلا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض**».

فإذا كان هذا الحبس للهرّة يوجب دخول النار يوم القيامة، فكيف بحال من يُعذّب الثور بالسلاح حتَّى الموت ؟ .

رابعًا التحريش بين الحيوانات :

ويُقرر المجمع أيضًا تحريم ما يقع في بعض البلاد من التحريش بين الحيوانات كالجمال والكباش والديكة وغيرها، حتَّى يقتل أو يُؤذي بعضها بعضًا .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين. اهـ.

وقد انتشرت في بلادنا لعبة كرة القدم، وتحرص أعداد كبيرة على مشاهدة مبارياتها، وهي رياضة لا تخلو من كشف للأفخاذ وإضاعة للصلوات في أوقاتها وفي جماعة وناهيك عن البغضاء والشحناء والعصبية التي هي أشبه بعصبية الجاهلية الأولى، وهي لعبة تضيع على البلاد والعباد كثيرًا من مصالح الدين والدنيا وفيها أيضًا إسراف ووضع للمال الكثير على مجرد النظر إلى المباراة، وبالجملة فهي رياضة غير مفيدة، بل أين هي من السباحة والرماية والجري وغير ذلك من ألعاب القوى، ومن عجيب الأمر مشاركة النساء أيضًا في ألعاب كثيرة

كالتنس وكرة السلة والسباحة والجري، الأمر الذي يدعو المرأة إلى التكشف والاختلاط بالرجال وإثارة الفتن، الأمر الذي يقطع بحرمته.

وكما ترى فهي ألعاب كثيرة، وكل لعبة لها مشاهيرها والشهرة كما تتم بالحلال تتم أيضًا بالحرام والورع من الدين كما قال العلماء فلا أقل من ترك الحرام الواضح البيّن تعظيمًا لحرمات الله تعالى والوقوف عند حدود ما أنزله سبحانه.

فتوى اللجنة في كرة القدم:

سُئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلميّة والإفتاء برئاسة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله -:

ما هو الحكم في رؤية مباريات الكرة التي تُلعب على كأس أو منصب من المناصب، كاللعب على دوري أو كأس مثلاً، فقد سمعت من بعض الأخوة أنه لا يجوز رؤية هذه المباريات على حكم أنها تُشبه عمليّة المراهنات والقمار؟.

فأجابت:

مباريات كرة القدم حرام، وكونها على ما ذُكر من كأس أو منصب، أو غير ذلك منكر آخر، إذا كانت الجوائز من اللاعبين أو بعضهم؛ لكون ذلك قمارًا، وإذا كانت الجوائز من غيرهم، فهي حرام؛ لكونها مكافأة على فعل محرّم، وعلى هذا فحضور هذه المباريات حرام. أ. هـ.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الشهرة بالأدب

فما من يوم يمر إلاَّ ومئات الكتب تُدفع إلى الأسواق تُخاطب الكبار والصغار والرجال والنساء شعراً ونثراً، وعالم الأدب مليء بالكتُّاب والمفكرين والأدباء والشعراء، وقد انتشر في الآونة الأخيرة ما يُسمى بأدب الجنس والأدب الغريزي أو الأدب المكشوف، ولا شك أن كل كلمة لها حكمها، وهذا الحكم يُرجع فيه لكتاب الله ولسُنَّة رسول الله ﷺ، وليس للجَانِ التحكيم المشبوهة، والتي لا ميزان عندها إلاَّ إشاعة الفسق والكفر والفجور في البلاد والعباد، ولعلَّ من أوضح الأمثلة على ذلك هذه الجائزة التي نالها الكاتب نجيب محفوظ والتي تُسمَّى بجائزة نوبل، وذلك على كتابه «أولاد حارتنا» والتي انهال فيها تنقصاً وتجريحاً ليس فقط لأنبياء الله ورسله، وإنما أيضاً لرب العزة جلَّ وعلا، تعالى الله عمَّا يقوله الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

ثم بعد ذلك بفترة وجيزة نال الخبيث سلمان رشدي أعلى جائزة في بريطانيا على كتاب يتشابه مع قصة نجيب محفوظ في موضوعه وهو كتاب «آيات شيطانية» ومن الخطأ الكبير أن نطلق على هذه الكتابات اسم الأدب فهي في الحقيقة قلَّة أدب أو سوء أدب، وقد أُمرنا أن نُسمي الأشياء بأسمائها.

والجهات المشبوهة تستثمر أمثال هؤلاء الخبثاء بإبراز أعمالهم وإعطائهم أمثال هذه الجوائز، ولا يخفى علينا هذه الحرب الضروس التي يشنها أعداء الإسلام من يهود ونصارى وملاحدة على هذه الأمة مُستخدمين في ذلك كل الأسلحة، ومن أشدها الغزو الفكري، ولم يعدموا وجود بعض منحرفي الفكر والعقيدة ممن ينتسبون لهذه الأمة ليروجوا لهم مخططاتهم التي تهدف لإضعاف هذه الأمة بإبعادها عن دينها الذي هو سبب قوتها ومصدر عزها وسعادتها.

وما من يوم يمر إلاَّ وتجد سيلاً منهمراً من الكتب منها ما يدعو لنظريات

وفلسفات كفرية كالوجودية والإباحية وغيرها، ومنها ما يدعو لأخذ ما عليه الغرب حتَّى من تحلل وضياع، ومنها ما يدعو لتحرر المرأة وانفلاتها بلا رقابة من دين أو خلق، ومنها ما ينشر الخزعبلات والخرافات والأساطير في نفوس أطفال المسلمين، ومنها أيضًا ما يشيع الفحش والتفحش والجريمة في جسد الأمة، وكل ذلك يفعلونه تحت اسم الحرية الشخصية، وحرية الرأي، وحرية الفكر والتعبير، وما يدور في الغرب والشرق يدور مثله في بلدان المسلمين التي تُؤمن بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً.

بل ولم تسلم الكتب الدراسية في مختلف المراحل التعليمية من هذا الدس والتشويه، وكان الواجب أن تتم مراجعة دقيقة لكل ما يقال ويُكتب ويُنشر في أوساط المسلمين؛ حتَّى لا يُسمح لشيء يخالف كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ أن ينتشر، ولا وسع الله على من لم يسعه ما وسع سلف الأمة رضوان الله عليهم؛ فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لكاتبه، وقد كتب هذا ما أرى الله أمير المؤمنين: امحه واكتب هذا ما رأى عمر بن الخطاب. وكان وهو محدث هذه الأمة بشهادة رسول الله ﷺ إذا عرضت عليه المسألة يقول: أقول فيها فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان والله منه بريء.

وكان الصِّدِّيق قبله رضي الله عنه يقول: أيّ سماء تظلني وأيّ أرض تقلني إن أنا قلت في القرآن برأيي، ثم يأتي العلماء من بعدهم وكلهم يرجع لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ علمًا وعملاً واعتقادًا، فما وافق الكتاب والسنة قُبل وما خالفهما رد على صاحبه كائنًا من كان؛ وذلك لأن كل إنسان يُؤخذ من قوله ويُترك إلاَّ رسول الله ﷺ، بل حرَّم الإمام أبو حنيفة أن يفتي أحد بقوله إلاَّ إذا علم دليله حيث يقول: «حرام على من لم يعرف دليلي أن يفتي بقولي؛ فإنما أنا بشر أقول القول اليوم وأرجع عنه غدًا».

وهكذا كان تعظيمهم لشرع الله وخوفهم من مخالفة الكتاب والسنة، ونحن

إذا حكَّمنا هذا الضابط سنجد أن قصص القرآن كله حق، وكله صدق يشيع الإيمان والطهر والعفاف ويدعو إلى كل خير ويزجر عن كل شر ﴿ **وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاه وَبِالْحَقِّ نَزَلَ** ﴾ [الإسراء: ١٠٥] ففيه كفاية بإذن الله، وسيرة النبي ﷺ والصحابة الكرام وعلماء الأمة وصالحيها تُغني عن سير من سواهم.

والشعر حسنه حسن وقبيحه قبيح، وقد كان حسان بن ثابت رضي الله عنه يُنشد بالمسجد بحضرة رسول الله ﷺ، والكتابة بصف عامة يجب أن تهدف لإعلاء كلمة الله في الأرض أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر وجهاد الكلمة صورة محمودة ومشروعة من صور الجهاد، والنبي ﷺ يقول: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم**»، والنبي ﷺ جاهد الكفار بالسيف والسنان، وجاهد المنافقين بالحجة والبيان، وإذا كانت الكلمة المكتوبة أشد تأثيراً وأوسع انتشاراً من الكلمة المسموعة فعلينا بتقوى الله فيما نقول ونكتب؛ فقد قال ﷺ: «**من كان يُؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت**» [رواه البخاري ومسلم]، وقال: «**من يتكفل لي ما بين لحييه ورجليه أتكفل له الجنة**» [رواه البخاري].

وقال معاذ بن جبل: قلت يا رسول الله، أنؤاخذ بما نقول؟ فقال: «**يا ابن جبل، وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلاَّ حصائد ألسنتهم**».

[رواه ابن ماجه والترمذي والحاكم وصححه على شرط البخاري ومسلم].

وكان ابن مسعود رضي الله عنه **يقول**: يا لسان قل خيراً تغنم، واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم.

وقال الأوزاعي: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز: أما بعد فإن مَنْ أكْثَرَ مِنْ ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير، ومن عدَّ كلامه من عمله قلَّ كلامه إلاَّ فيما يعنيه.

وقال يونس بن عبد الله: ما من الناس يكون منه لسانه على بال إلاَّ رأيت صلاح ذلك في سائر عمله.

وقال أبو بكر بن عياش :اجتمع أربعة ملوك: ملك الهند، وملك الصين، وكسرى، وقيصر، فقال أحدهم: أنا أندم على ما قلت ولا أندم على ما لم أقل. وقال الآخر: إني إذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم أملكها وإذا لم أتكلم بها ملكتها ولم تملكني. وقال الثالث: عجبت للمتكلم إن رجعت عليه كلمة ضرته، وإن لم ترجع لم تنفعه. وقال الرابع: أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت .

قال الله عز وجل: ﴿ **لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ** ﴾ [النساء: ١١٤].

قال عطاء : إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تعالى وسنَّة رسول الله ﷺ أو أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر أو أن تنطق لحاجتك في معيشتك التي لابد لك منها، أتُنكرون أن عليكم حافظين كرامًا كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلاَّ لديه رقيب عتيد؟!، أما يستحي أحدكم إذا نُشرت صحيفته التي أملاها صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه؟ .

وقال ابن عمر رضي الله عنهما : إن أحق ما طهَّر الرجل لسانه.

القرار الثاني

بيان من الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي بشأن الرواية التي كتبها المدعو سلمان رشدي، وما تضمنته من إساءات واعتداءات على عقائد وشخصيات إسلامية معظمة.

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد صلَّى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فإن الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي وقد آلمها كما آلم سائر المسلمين ما اشتمل عليه كتاب المدعو سلمان رشدي من التشويه المتعمد للدين الإسلامي والإساءات الشنيعة للشخصيات الإسلامية، تُعلن ما قرره مجلس المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي في دورته الحادية عشرة المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة من يوم (الأحد ١٣ رجب ١٤٠٩هـ الموافق ١٩ فبراير ١٩٨٩م) إلى يوم (الأحد ٢٠ رجب ١٤٠٩هـ الموافق ٢٦ فبراير ١٩٨٩م) حول الرواية المذكورة، وجاء في القرار ما يلي:

إن الرواية التي كتبها وأصدرها المدعو سلمان رشدي الهندي الأصل من أسرة مسلمة والبريطاني الجنسية... تلك الرواية التي نُشرت باللغة الإنكليزية في كتاب بعنوان «آيات شيطانية» نقلت الصحف العالمية العربية والإسلامية والأجنبية فقرات منها.. وقد نشرت الكتاب دار بنجوين للنشر في بريطانيا، وفايكنج في الولايات المتحدة الأمريكية... وأعقبت الرواية المذكورة ضجة استنكار في الأوساط الإسلامية وغيرها بسبب ما جاء فيها من ألفاظ نابية وافتراءات على الإسلام ومقدساته، وقد نظر المجلس في بعض الفقرات والفصول التي تضمنتها الرواية المذكورة، فرأي مجلس المجمع الفقهي فيها أبشع وأقذر صورة للافتراءات والأوصاف التي يصف فيها ذلك الكاتب نبي الإسلام سيدنا

محمداً رسول الله ﷺ وزوجاته أمهات المؤمنين، وغير ذلك من المستنكرات حتَّى أنه يتهجم على خليل الله سيدنا إبراهيم بكلمات لا تليق بحرمة الأنبياء، ويصف أمهات المؤمنين زوجات رسول الله ﷺ بكلمات من سافل الكلام الذي يخرج عن نطاق الكلام التاريخي أو العلمي أو الأدبي، ويدخل في نطاق التعدي على المقدسات الاعتقادية الإسلامية بصورة تجرمها وتُعاقب عليها قوانين جميع البلاد المتمدنة التي يحكمها نظام ودستور وقوانين تحفظ الحقوق والكرامات؛ لأن ما جاء في تلك الرواية يتجاوز نطاق حرية الآراء، ويدخل في نطاق العدوان والإيذاء بالكلام السافل الذي يمس الكرامات المحترمة المصونة.

وقد تداول مجلس المجمع الفقهي في هذا الموضوع الخطير، وما يجب سلوكه تجاه هذا العدوان السافل على الحرمات الإسلامية المقدسة، وانتهى المجلس إلى القرار التالي:

[١] يرى المجلس أنَّ ما ورد في هذا الكتاب المسمى بـ«آيات شيطانية» من المفتريات المشار إليها لا يستحق أن يواجه بردود علمية؛ لأنه من قبيل الشتائم والأوصاف البذيئة، وليس آراء علمية أو تاريخية تستوجب الرد العلمي.

[٢] يقرر المجلس استنكار هذا العمل الصادر عن هذا المجرم ويُعلن المجلس أن هذا الرجل بعمله هذا يُعتبر مرتدا عن الإسلام الذي نشأ في ظله، وأنه يستحق أن يُطبق عليه ما تنص عليه الشريعة الإسلامية.

[٣] يُعلن المجلس أنه يجب ملاحقة هذا الشخص بدعوى قضائية جزائية تُقام عليه وعلى دار النشر التي نشرت له هذه الرواية في المحاكم المختصة في بريطانيا، وأن تتولى رفع هذه الدعوى عليه منظمة المؤتمر الإسلامي التي تُمثل الدول الإسلامية، وأن تُوكل في هذه الدعوى أقوى المحامين المتمرسين في القضايا الجنائية أمام محاكم الجزاء البريطانية ممن يوثق بأمانتهم المسلكية.

[٤] يُعلن المجلس أنه يجب أن تُقام أيضًا على هذا الكاتب السافل دعوى جزائية في بلد إسلامي من قِبل النيابة العامة فيه، يُحاكم فيها غيابيًا ويُحكم عليه بما توجبه الشريعة الإسلامية في أمثاله حتى ولو لم يكن لهذا الحكم مجال تنفيذي فوري، ويُعلن ذلك إعلاميًا؛ وذلك للتعبير عن سخط المسلمين في العالم على هذا الأسلوب من العدوان السافل.

[٥] يُقرر المجلس أن الاعتذار الذي قدمه هذا الكاتب إلى المراجع البريطانية ونشرته الصحف، وقال فيه: إنه يأسف لأنه أساء إلى مشاعر المسلمين، هو اعتذار فارغ لا محصل له ولا يُغير شيئًا من افتراءاته الشنيعة؛ لأن الاعتذار في مثل هذه الحالة يجب أن يتضمن الإقرار والاعتراف بأن ما ذكره في كتابه إنما هو محض كذب وافتراء، وإنه غير صحيح، وأن يُنشر ذلك في وسائل الإعلام الموازية لتلك التي نشر فيها أكاذيبه.

[٦] يدعو المجلس الحكومات والشعوب والأفراد في البلدان الإسلامية وغيرها إلى مقاطعة دور النشر التي نشرت هذا الكتاب المسمى «آيات شيطانية» أو ساعدت على نشره أو دفعت مكافأة لمؤلفه أو قدمت جائزة له مقاطعة تامة في الكتب التي تنشرها تلك الدور أيًا كانت صفتها، وألاَّ تتعامل معها بأية صورة، وإن الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي إذْ تنشر قرار المجمع الفقهي الإسلامي بعد أن حذَّرت العالم الإسلامي من خطورة الكتاب وضرورة مقاطعة دور النشر التي تولت تمويل الكتاب ونشره، تُهيب بكل مسلم على وجه الأرض وبخاصة في بريطانيا وأمريكا حيث نُشر الكتاب أن يكشف زيف هذا الكتاب وأن يحث إخوانه المسلمين والأشخاص المحبين للصدق والإنصاف على مقاطعة دار النشر التي أصدرته والدور الأخرى المتعاونة معها على توزيعه وتسويقه.

والله الموفق.. اهـ.

الشهرة بالفن

والفنون كثيرة ومتنوعة ؛ فمنها الرسم والتصوير والنحت والموسيقى والغناء والتمثيل والرقص، وكل فن من هذه الفنون له صور كثيرة متعددة مثل الفن التشكيلي، والفن السريالي والموسيقى الخفيفة والتصويرية والتميل المسرحي والسينمائي والرقص الشعبي والباليه، وكل فن من هذه الفنون له مشاهيره، وقد تنوعت مواهب الناس وتوزعت هواياتهم، وللإسلام حكمه في كل صورة من هذه الصور، كما أن له حكمه في كل حركة وسكنة وقول وفعل والواجب على العباد جميعًا أن يستقيموا على شرع الله فيحلون الحلال ويُحرمون الحرام، فلا عبرة بكثرة انحرفت عن كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ ﴿ **وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ [الأنعام : ١١٦]، ﴿ **وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ** ﴾ [يوسف : ١٠٣]، ﴿ **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ (١٠٦)** ﴾ .

[يوسف : ١٠٦]

وكما قالوا : اسلك طريق الهدى، ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغترَّ بكثرة الهالكين، وقالوا أيضًا : لا تعرف الحق بالرجال، ولكن اعرف الحق تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف من أتاه، وليس لنا أن نُقلد أحداً خالف دين الله كائنًا من كان؛ ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه : « لا يقلدن أحدكم دينه رجلاً إن آمن آمن وإن كفر كفر » .

والباطل مردود على صاحبه وإن كان مشهوراً، ولا يكونن أحدكم إمَّعة إن أحسن الناس أحسنتم وإن أساءوا أسأتم، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تُحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم؛ فانتشار الأمر وظهوره وكثرة من يعمل به لا يعطيه صفة المشروعية إن خالف الحق.

والهواية والموهبة والمشاعر والأحاسيس لابد من إخضاعها لهذا الميزان الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هذا ولما كانت البلية كبيرة والفتنة عظيمة بهذه الفنون كان لابد من كلمة تفصيلية عن هذه الصور التي عمَّت بها البلوى وطمت.

حكم الرسم والتصوير والنحت

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تدخل الملائكة بيتًا فيه تماثيل أو تصاوير**» [رواه مسلم]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**من صوَّر صورة عُذب وكُلف أن ينفخ فيها (يعني الروح) وليس بنافخ**» [رواه أحمد والبخاري والترمذي]، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما جواز تصوير الشجر ونحوه مما لا روح فيه، فعند مسلم قال: جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقال: إني رجل أصور هذه الصور فأفتني فيها فقال له: ادن مني، فدنا منه، ثم قال: ادن مني، فدنا حتَّى وضع يده على رأسه، وقال: أنبئك بما سمعت من رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس فتعذبه في جهنم**»، وقال: «إن كنت لابد فاعلاً فاصنع الشجر وما لا نفس له».

ومن ذلك أيضًا قول النبي ﷺ: «**إن أشد الناس عذابًا عند الله يوم القيامة المصورون**» [رواه أحمد والشيخان]، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أشد الناس عذابًا يوم القيامة رجل قتله نبي أو قتل نبيًا، وإمام ضلالة، وممثل من الممثلين**» [رواه أحمد].

قال الخطابي: إنما عظمت عقوبة المصور؛ لأن الصور كانت تُعبد من دون الله؛ ولأن النظر إليها يفتن، وبعض النفوس إليها تميل. وقال: والمراد بالصور هنا التماثيل. اهـ.

وعن أبي جحيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ: «لعن المصورين» [رواه أحمد والبخاري]، وفي رواية لمسلم: «**إن من أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يشبهون بخلق الله**» وفي رواية عائشة رضي الله عنها: «**أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله**» [متفق عليه]، وعن عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم

سلمة ﵄ ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**» [متفق عليه]، وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تُبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول: إني وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهًا آخر، وبالمصورين**» .

[رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح غريب] .

وعن ابن عمر ﵄ قال: وعد النبي ﷺ جبريل فراث (أبطأ) عليه حتَّى اشتد على النبي ﷺ فخرج النبي ﷺ فلقيه فشكا إليه ما وجد فقال له: «**إنَّا لا ندخل بيتًا فيه صورة ولا كلب**» [رواه البخاري]، وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاني جبريل فقال: إني كنت أتيتك البارحة فلم يمنعني أن أكون دخلت عليك البيت الذي كنت فيه إلاَّ أنه كان في باب البيت تمثال الرجال، وكان في البيت قرام ستر فيه تماثيل، وكان في البيت كلب؛ فأمر برأس التمثال الذي بالباب فليقطع فيصير كهيئة الشجرة، وأمر بالستر فليقطع ويُجعل منه وسادتين منتبذتين توطآن، وأمر بالكلب فيخرج**» ففعل رسول الله ﷺ، وكان ذلك الكلب جرواً للحسين أو للحسن تحت نضد له فأمر به فأخرج. [رواه أحمد وأهل السنن إلاَّ ابن ماجه]، وعن أبي طلحة صاحب رسول الله ﷺ أنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة**» .

قال بشر: « ثم اشتكى زيد بعد فعدناه فإذا على بابه ستر فيه صورة، فقلت لعبيد الله الخولاني ربيب ميمونة زوج النبي ﷺ: ألم يخبرنا زيد عن الصور يوم الأول، فقال عبيد الله: ألم تسمعه حين قال: إلاَّ رقمًا في ثوب » .

[رواه أحمد والشيخان] .

الخلاصة :

يحرم تصوير ذوات الأرواح أو رسمها أو نحتها سواء كانت لإنسان أو حيوان، وسواء كانت للذكرى أو لغيرها بالكاميرا أو باليد، في ثوب أو في ورقة، لها ظل أو ليس لها ظل، وعلة المضاهاة في الصور الفوتوغرافية أوكد منها من المرسومة باليد؛ ولذلك فهي تُستخدم في تعقب المجرمين، ويجب طمس الصور عند الاستطاعة مع التأدب بآداب الإنكار حتَّى لا تستجلب مضرة تغلب المصلحة، وتُطمس صورة المرأة كلها، وبالنسبة للرجل يُطمس الوجه، والسلع والأشياء المباحة التي تشتمل على تصاوير كعلب الحلوى يحل الانتفاع بها وبيعها وشراؤها مع طمس التصاوير التي بها، ويُستثنى من هذه التصاوير ما خلا من الروح كالشجر والسماء والبحر على قول ابن عباس رضي الله عنهما، وتُباح التصاوير للحاجة أو الضرورة كالتصوير للبطاقات الشخصية وجواز السفر، وتعقب المجرمين والتصوير للطب والجغرافيا، ويقتصر في ذلك على قدر الحاجة أو الضرورة طالما في الأمر فائدة متحققة، ولا تتيسر هذه الفائدة بطريق أصله مباح.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تلعب بالبنات، فكان النبي ﷺ يأتي لي بصواحبي يلعبن معي. [أخرجه البخاري ومسلم]، وكان لها فرسًا له جناحان من رقاع.

قال الحافظ : «واستدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ صور البنات واللعب، من أجل لعب البنات بهن، وخص ذلك من عموم النهي عن اتخاذ الصور، وبه جزم عياض، ونقله عن الجمهور، وأنهم أجازوا بيع اللعب للبنات لتدريبهن من صغرهن على أمر بيوتهن وأولادهن» .

أيضًا عن الربيع بنت معوذ قالت: أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأمصار: «**من أصبح مُفطرًا فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائمًا فليصم**» قالت: فكنا نصوم بعد، ونُصوم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى

أحدهم على الطعام أعطيناهم اللعبة تلهيهم حتَّى يتموا صومهم» .

[رواه البخاري] .

ووجود الصورة لا يُبطل ولا يُفسد الصلاة، وليس من شرط صحتها عدم وجود التصاوير بالمكان، ولكن لابد من العمل على إزالتها متى وجدت الاستطاعة، وإذا لم تزل المنكر فزل متى استطعت ذلك، والنظر إلى الصورة لا يغني عن النظر إلى المخطوبة ولا مصلحة فيه، وقد مر بنا كيف أن قوم نوح صوروا التصاوير للصالحين لتذكرهم، ثم عبدوا هذه التصاوير ﴿ **وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا** (٢٣) ﴾ [نوح:٢٣] .

وقول البعض بإباحة التصاوير لأن الشرك قد انتهى هو قول من أفسد الفساد وأبطل الباطل،والواقع يرد عليه، وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ «**أنه لن تقوم الساعة حتَّى تضطرب إليات نساء دوس حول ذي الخلصة**» وذو الخلصة صنم كانت تعبده دوس بتبالة، كان قد هُدم إلاَّ أن الناس يعبدونه مرة ثانية، ولن تقوم الساعة حتَّى تطوف به النساء على النحو المبيّن ، وقد عمت البلوى بإقامة التماثيل في الميادين العامة، وهنا وهناك للزعماء والقادة والعظماء، مما لا فائدة فيه، بل فيه التشبه بالكفار عبدة الأصنام، ثم فتنة الرسامين والناس بالتصاوير وخصوصًا إذا كانت دقيقة، أمرها لا يكاد يخفى على أحد .

قال النووي (وهو من علماء الشافعية) : «قال أصحابنا وغيرهم من العلماء: تصوير صورة الحيوان حرام شديد التحريم وهو من الكبائر؛ لأنه متوعد عليه بهذا الوعيد الشديد المذكور في الأحاديث، وسواء صنعه بما يمتهن أو بغيره فصنعته حرام بكل حال؛ لأن فيه مضاهاة لخلق الله وسواء ما كان في ثوب أو بساط أو درهم أو دينار أو فلس أو إناء أو حائط أو غيرها . قال: ولا فرق في هذا كله بين ما له ظل وما لا ظل له، هذا تلخيص مذهبنا في المسألة، وبمعناه قال جماهير العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وهو مذهب الثوري ومالك وأبي حنيفة وغيرهم» . اهـ.

فتاوى مهمة تتعلق بالتصوير

سُئلت لجنة الفتوى بالسعودية: «ورد لعن المصورين - بالكسر - فهل يشمل المصوَرين - بالفتح - وهل ورد فيهم دليل خاص» ؟

الجواب: كما أن الأدلة وردت في لعن المصورين وتوعدهم بالنار في الدار الآخرة، فكذلك الذي يقدم نفسه من أجل أخذ صورة له داخل في ذلك قال تعالى: ﴿ **وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ** ﴾ [النساء: ١٤٠]، وقال تعالى في قصة ثمود: ﴿ **كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥)** ﴾ [الشمس: ١١ - ١٥].

قال عبد الواحد بن زيد: «قلت للحسن: يا أبا سعيد، أخبرني عن رجل لم يشهد فتنة ابن المهلب إلاَّ أنه رضى بقلبه قال: يا ابن أخي هكذا عقرت الناقة، قال: فَعَلَتْ يد واحدة، قال: أليس قد هلك القوم جميعًا برضاهم وتساهلهم، رواه الإمام أحمد في الزهد، فهاتان الآيتان تدلان على أن الراضي بالفعل كالفاعل، ولا يدخل في ذلك من اقتضت الضرورة أن يأخذ صورة له» اهـ.

[س] هل يجوز التصوير بالكاميرا «آلة التصوير» وهل يجوز التصوير بالتليفزيون، وهل يجوز مشاهدة التليفزيون وخاصة في الأخبار؟

الجواب: لا يجوز تصوير ذوات الأرواح بالكاميرا أو غيرها من آلات التصوير، ولا اقتناء صور ذوات الأرواح، ولا الإبقاء عليها إلاَّ لضرورة كالصور التي تكون بالتابعية أو جواز السفر، فيجوز تصويرها والإبقاء عليها للضرورة إليها وأما التلفزيون فآلة لا يتعلق بها في نفسها حكم، وإنما يتعلق الحكم باستعمالها فإن استعملت في مُحرم كالغناء الماجن وإظهار صور فاتنة وتهريج

وكذب وافتراء وإلحاد وقلب للحقائق وإثارة الفتن إلى أمثال ذلك، فذلك حرام، وإن استعمل في الخير كقراءة القرآن وإبانة الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أمثال ذلك، فذلك جائز وإن استعمل فيهما (أي في الحلال والحرام) فالحكم التحريم إن تساوى الأمران أو غلب جانب الشرِّ فيه. اهـ.

وسُئل الشيخ ابن باز - رحمه الله - عن التصوير الفوتوغرافي الشمسي، وشراء المجلات والجرائد المليئة بالصور والنظر إلى التلفاز.

فأجاب:

أولاً: التصوير الفوتوغرافي الشمسي من أنواع التصوير المحرم فهو والتصوير عن طريق النسيج والصبغ بالألوان والصور المجسمة سواء في الحكم والاختلاف في وسيلة التصوير وآلته لا يقتضي اختلافًا في الحكم وكذا لا أثر للاختلاف فيما يبذل من جهد في التصوير صعوبة وسهولة في الحكم أيضًا، وإنما المعتبر الصورة فهي محرمة وإن اختلفت وسيلتها وما بذل فيها من جهد.

ثانيًا: ظهور صورتي في مجلتي المجتمع والاعتصام مع فتواي في أحكام الصيام في شهر رمضان ليس دليلاً على إجازتي التصوير ولا على رضاي به، فإني لم أعلم بتصويرهم إياي.

ثالثًا: المجلات والجرائد التي بها أخبار مهمة ومسائل علمية نافعة وبها صور لذوات الأرواح يجوز شراؤها والانتفاع بما فيها من علم مفيد وأخبار مهمة؛ لأن المقصود منها ما فيها من العلم والأخبار، والصور تابعة والحكم يتبع الأصل المقصود إليها دون التابع ويجوز وضعها في المصلى مع إخفاء ما فيها من الصور بأي شكل لينتفع بما فيها من مقالات، أو طمس رؤوس الصور بما يذهب معالمها.

رابعًا: لا يجوز وضع التلفاز في المصلى لما فيه من اللهو الباطل ولا يجوز النظر إلى ما فيه من الصور العارية أو الخليعة، وقد صدرت فتوى في حكم التلفاز وما يتعلق به من سماع ونظر إلى ما فيه، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. اهـ.

حكم الموسيقى والغناء

يحرم الغناء إذا اشتمل على محرم أو دعا إليه كتشبيب بمعين وهجاء وتشبه بالنساء وتهييج لفاحشة ولحوق بأهل الخلاعة والمجون وصرف الوقت إليه فضاعت بسبب ذلك المصالح والواجبات، وكذلك يحرم إذا اشتمل على المعازف؛ فعند البخاري عن أبي مالك الأشعري أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر** (أي الزنى) **والحرير والخمر والمعازف، ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم** - يعني الفقير - **فيقولون: ارجع إلينا غداً فيبهتهم الله، ويضع العلم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة**»، وقد أورده البخاري في كتاب الأشربة «باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويُسميه بغير اسمه».

وقد استدل العلماء من الصحابة فمن بعدهم على حرمة الغناء بعدة أدلة منها قوله تعالى: ﴿**وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ**﴾ [الإسراء: ٦٤]، وصوته كما قال المفسرون هو الغناء والباطل، ﴿**أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنتُمْ سَامِدُونَ (٦١)**﴾ [النجم: ٥٩ - ٦٢] قال ابن عباس وعكرمة: السمود هو الغناء، وذلك في لغة حمير، يُقال إسمد لنا أي غني لنا. أيضًا قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا**﴾ [لقمان: ٦] ولهو الحديث هو الغناء كما قال ابن مسعود وغيره.

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه **:** الغناء والمعازف مزمار الشيطان.

وقال الإمام مالك : الغناء إنما يفعله الفساق عندنا.

وقال الإمام أحمد : الغناء يُنبت النفاق في القلب فلا يعجبني.

وقال أصحاب الإمام أبي حنيفة: استماع الأغاني فسق.

وكان العلماء يردون الجارية المغنية بالعيب، ووصفوا المغنين بوصف المخانيث، وأجاز الإمام أبو يوسف دخول الدار التي ينبعث منها الغناء لإنكار المنكر الذي فيها ودون استئذان، وقد كان العلماء يُفسقون المغني ويردون شهادته، وكانوا يُطلقون عليهم وصف مخانيث، بل وكان القانون المصري لا يقبل شهادته هو والممثل، وذلك حتَّى سنة (١٩٣٨م) ثم ألغيت هذه المادة من القانون.

وقد شاع الغناء شيوعًا يُنذر بالخطر؛ فعن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «**سيكون في آخر الزمان خسف وقذف ومسخ**» قيل: ومتى ذلك يا رسول الله؟ قال: «**إذا ظهرت المعازف والقينات**» (والقينات: المغنون والمغنيات)، وأعظم من ذلك استحلال المعازف، وهي آلات الطرب واللهو؛ فالموسيقى التي تشبب النفوس وتدعو لمواقعة الفواحش حرام باتفاق العلماء، وجملتها محرمة على قول جمهور العلماء.

شبهات:

ومن الشبهات الواهية التي استند إليها البعض في ترويج الغناء والموسيقى، حدوث طرب للنفس وراحة للقلب، ومعلوم أن العبرة بما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وإلاَّ فالنفوس المريضة قد تستلذ بالزنا والقلوب العمياء قد تطرب لشرب الخمر، فهل نُبيح الزنا والخمر لأجل ذلك، قال تعالى: ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)**﴾ [النساء: ٦٥]، بل لا يصح رد الحكم لعرف أو واقع أو معتاد أو رأي أو هوى ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا (٣٦)**﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال البعض: الموسيقى الخفيفة يستخدمها الأطباء في العلاج. ولو تدبرنا لوجدنا أن الله لم يجعل شفاء الأمة فيما حرم عليها، وقال النبي ﷺ: «**تداووا**

عباد الله، ولا تداووا بحرام» ولما سُئل عن الخمر تُصنع للدواء قال: «**إنها داء وليست بدواء**» ومسلك الأطباء هذا شبيه بمسلكهم في نصح المرضى النفسانيين بمشاهدة برامج التلفزيون الخليعة ومصاحبة الفتيات بزعم الترويح عن النفس، بل البعض لا يُبالي إن كان الدواء عبارة عن خمر أم لا، وفريق كبير يتعاطى الدخان مما يكون أسوة سيئة لبقية الناس، والحاصل من ذلك أن الشرع حكمٌ على العباد جميعًا؛ فلا عبرة بقول طبيب لم يعرف من الدنيا إلاَّ ما جاء في كتب الطب، حتَّى وإن كانت كُتبت بأيدي أُناس لا خلاق لهم علينا بأخذ النافع منها، وترك كل ما هو ضار وفاسد وضابطنا في ذلك هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ومن أوهى الشبه الرائجة: والتي يُذيعها علماء السوء من هذه الأمة غناء الجاريتين للسيدة عائشة رضي الله عنها ولا ندري وجه الشبه والعلاقة بين غناء جاريتين صغيرتين بحرب بعاث وهي الحرب التي دارت بين الأوس والخزرج وما فيها من شجاعة ومروءة، وكان ذلك في يوم عيد، بغناء ينبعث من أشباه الرجال ونساء متهتكات وبكلام فاسد لا يخفى على أحد، وبمصاحبة الموسيقى، وبمناسبة وغير مناسبة، وفي حفلات مختلطة ماجنة؛ فالغناء الموجود الآن وعلى هذا النحو لا يختلف على حرمته اثنان، ولا يصح قياسه على غناء الجاريتين، ولا يجوز التهافت على الأقوال الساقطة في هذه المسألة كقول ابن حزم فقد ردَّ عليه غير واحد من العلماء كابن القيم وابن الصلاح، وقديمًا قالوا: وما كل خلاف جاء معتبرًا، وقالوا: لكل جواد كبوة ولكل عالم زلة، وأحاديث النهي صحيحة، والأمة مهددة بالعقوبات إذا ظهرت الملاهي وارتُكبت المعاصي.

صور مباحة من الغناء:

قال السفاريني في «غذاء الألباب» (ص٤٥): «قلت المذهب الإباحة من غير كراهة لما تظافرت به الأخبار وتظاهرت به الآثار من إنشاد الأشعار والحداء في الأسفار، وقد ذكر بعض العلماء الإجماع على إباحة الحداء، قال الحافظ ابن حجر

في شرح البخاري: نقل ابن عبد البر الاتفاق على إباحة الحداء، قال: وفي كلام بعض الحنابلة إشعار بنقل خلاف فيه ومانعه محجوج بالأحاديث الصحيحة، وقال: ويلتحق بالحداء غناء الحجاج المشتمل على التشوق إلى الحج بذكر الكعبة وغيرها من المشاهد، ونظيره ما يحرض أهل الجهاد على القتال، ومنه غناء المرأة لتسكين الولد في المهد» اهـ.

وقد ثبت عن أنس رضي الله عنه أن النَّبي ﷺ كان يحدي له في السفر، وأن أنجشة كان يحدو بالنساء، والبراء بن مالك يحدو بالرجال، فقال رسول الله ﷺ: «**يا أنجشة كيف سوقك بالقوارير**»، وفي مسند الإمام أحمد: حدَّثنا حماد عن يزيد بن سلمة يعني ابن الأكوع رضي الله عنه قال: كان عامر رجلاً شاعراً، فنزل يحدو يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما اقتفينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا
وألقينَّ سكينة علينا ... إنَّا إذا صيح بنا أتينا
وبالصياح عولوا علينا

فقال رسول الله ﷺ: «**من هذا الحادي**» قالوا: ابن الأكوع. قال: «**يرحمه الله**»، قال: فقال رجل: وجبت يا رسول الله لولا امتنعنا به فأصيب [الحديث رواه البخاري].

قال العلماء: «والإبل تزيد في نشاطها وقوتها بالحداء، فترفع آذانها، وتلتفت يمناها ويسراها وتنتحب في مشيها» اهـ.

وقال الألباني في «آداب الزفاف» (ص٩٣): «ويجوز له أن يسمح للنساء في العرس بإعلان النكاح بالضرب على الدف، وبالغناء المباح الذي ليس فيه وصف الجمال، وذكر الفجور، وفي ذلك أحاديث:

الأول : عن الربيع بنت معوذ قالت: جاء النبي ﷺ يدخل حين بنى عليَّ فجلس على فراشي مجلسك مني (الخطاب للراوي عنها) فجعلت جويرات لنا يضربن بالدف (وهو الذي لا جلاجل فيه) ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر إذ قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال: «**دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين**» [رواه البخاري والبيهقي والمحاملي وغيرهم].

الثاني : عن عائشة رضي الله عنها أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار، فقال نبي الله ﷺ: «**يا عائشة ما كان معكم لهو، فإن الأنصار يُعجبهم اللهو**» وفي رواية بلفظ : فقال: «**فهل بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغني؟**» قلت: تقول ماذا؟ قال: «**تقول**:

أتيناكم أتيناكم ... فحيونا نحييكم
لولا الذهب الأحمر ... ما حلت بواديكم
لولا الحنطة السمراء ... ما سمنت عذاريكم»

[رواه الطبراني وسكت عليه في الفتح، وفيه ضعف، وله طريق يتقوى بها]

الثالث: عنها أيضًا: «أن النبي ﷺ سمع ناسًا يُغنون في عرس، وهم يقولون:

وأهدي لها أكبش ... يبحبحن في المربد
وحبك في النادي ... ويعلم ما في غد

وفي رواية

وزوجك في النادي ... ويعلم ما في غد

قالت: فقال رسول الله ﷺ: «**لا يعلم ما في غد إلاَّ الله سبحانه**» [أخرجه الطبراني والبيهقي، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي].

الرابع : عن عامر بن سعد البجلي قال: دخلت على قرظة بن كعب وأبي

مسعود، وذكر ثالثًا – ذهب عليٌّ – وجواري يضربن بالدف ويُغنين، فقلت: تُقرون على هذا وأنتم أصحاب محمد ﷺ؟، قالوا: إنه قد رخص لنا في العرسات والنياحة عند المصيبة، وفي رواية وفي البكاء على الميت في غير نياحة. [أخرجه الحاكم والبيهقي والسياق والرواية الأخرى له والنسائي والطيالسي].

الخامس : عن أبي بلج يحيى بن سليم قال: قلت لمحمد بن حاطب تزوجت امرأتين ما كان في واحدة منهما صوت (يعني دفًا)، فقال محمد رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**فصل ما بين الحلال والحرام الصوت بالدف**» [حسنه الألباني]» اهـ.بتصرف.

ولا يخفى عليك ما في سماع آيات القرآن من فضل وصلاح بعكس ما تحدثه الأبيات الملحنة من شر وفساد ﴿ **مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ** ﴾.

[الأحزاب: ٢٤].

فتاوى مهمة تتعلق بالموسيقى والغناء

سُئلت لجنة الفتوى بالسعودية عن حكم الأغاني الدينية والوطنية وأغاني الأطفال وأعياد الميلاد ؟

فأجابت : العزف حرام مطلقًا، والأغاني الدينية والوطنية وأغاني الأطفال إذا كانت مصحوبة بالعزف فهي محرمة، وأما أعياد الميلاد فهي بدعة ويحرم حضورها والمشاركة فيها، ومن الأدلة على تحريم الأغاني والأناشيد المشتملة على العزف قول النبي ﷺ : «**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف**» [رواه البخاري في صحيحه] مع أحاديث أخرى وردت في هذا الباب . اهـ.

وسُئل الشيخ ابن باز - رحمه الله - عن حكم الطبول مع الأناشيد ؟

فأجاب : لا نعلم شيئًا يُبيح استعمال الطبول، بل ظاهر الأحاديث الصحيحة يدل على تحريم استعمالها كسائر آلات الملاهي من العود والكمان وغيرهما، ومن ذلك ما ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف**» ولفظ المعازف يشمل الأغاني وجميع آلات اللهو . اهـ.

وسُئلت اللجنة عن حكم الاستماع إلى الأغاني ؟

فأجابت : الاستماع إلى الأغاني المشتملة على شيء من أنواع الطرب محرم على كل من أصغى إليها رجلاً كان أم امرأة في بيته، أو في غير بيته كالسيارات والمجالس العامة والخاصة؛ لما له في ذلك من الاختيار والميل إلى المشاركة فيما حرمته الشريعة ، قال الله تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ** ﴿٦﴾ ﴾ [لقمان : ٦]، وما ذكر السائل من الغناء هو من لهو الحديث؛ فإنه فتنة للقلب يستهويه إلى الشر ويصرفه عن الخير، ويضيع على الإنسان وقته دون جدوى، فيدخل في عموم لهو

الحديث، ويدخل من غنَّى ومن استمع إلى تلك الأغاني في عموم من اشترى لهو الحديث؛ ليصرف نفسه أو غيره عن سبيل الله، وقد ذمَّ الله ذلك، وتوعد من فعله بالعذاب المهين.

وكما دلَّ القرآن بعمومه على تحريم الغناء والاستماع إليه، كما دلَّت السُنَّة عليه، من ذلك قوله ﷺ: «**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف، ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة يأتيهم - يعني الفقير - لحاجة، فيقولون: ارجع إلينا غداً؛ فيبهتهم الله ويضع العلم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة**» [رواه البخاري وغيره من أئمة الحديث]، والمعازف: اللهو وآلاته، ومن ذلك الغناء والاستماع إليه؛ فذم رسول الله ﷺ من يستحلون الزنا، ولبس الرجال للحرير، وشرب الخمور، وآلات اللهو والاستماع لها، وقرن المعازف بما قبلها من الكبائر، وتوعَّد في نهاية الحديث من فعل ذلك بالعذاب؛ فدلَّ على تحريم العزف وآلات اللهو والاستماع إليها.

أمَّا السماع دون قصد ولا إصغاء كسماع من يمشي في الطريق غناء آلات اللهو في الدكاكين أو ما يمر به من السيارات، ومن يأتيه وهو في بيته صوت الغناء من بيوت جيرانه دون أن يستهويه ذلك، فهذا مغلوب على أمره لا إثم عليه، وعليه أن ينصح وينهى عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، ويسعى في التخلص مما يمكنه التخلص منه وسعه وفي حدود طاقته؛ فإن الله لا يُكلف نفساً إلاَّ وسعها. اهـ.

وسُئل الشيخ ابن باز - رحمه الله - عن حكم استماع بعض البرامج المفيدة كأقوال الصحف، ونحوها التي تتخللها الموسيقى؟

فأجاب: لا حرج في استماعها والاستفادة منها مع قفل المذياع عند بدء الموسيقى حتَّى تنتهي؛ لأن الموسيقى من جملة آلات اللهو، يسَّر الله تركها والعافية من شرها. اهـ.

وفي مختصر فتاوى دار الإفتاء المصرية أكثر من فتوى تتعلق بتحريم المعازف، ومن الفتاوى المهمة الواردة بالكتاب للشيخ حسن مأمون (١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م) والفتوى تتعلق بحكم تلحين القرآن تلحيناً موسيقياً وتصويره تصويراً فنياً؟ والمبادئ التي قامت عليها الفتوى هي:

[١] المعلوم على القطع والبينات أن قراءة القرآن تلقيناً بلا تلحين ولا تطريب ولا ترجيع ولا غناء متواترة عن كافة المشايخ جيلاً فجيلاً إلى العصر الكريم إلى رسول الله ﷺ.

[٢] عدول المسلمين بعد القرن الأول الهجري عن القراءة على هذا النحو يُعتبر بدعة من أخطر البدع.

[٣] رأي العلماء في قراءة القرآن على صورة التلحين والغناء والتطريب المنع، وهذا يقتضي التحريم أيضًا بالأولى إخضاع القرآن للنغمات الموسيقية، وقراءته قراءة مصحوبة بالآلات الموسيقية والتغني به ووقوع ذلك يعتبر تحريفًا للقرآن.

[٤] كتابة المصحف توقيفية لا يجوز إحداث تغيير فيها.

[٥] رسم الكتابة في المصحف تلقَّاه العلماء وحافظوا عليه ولم يرتضوا مخالفته وحرموا مخالفة خط مصحف عثمان.

[٦] مخالفة خط عثمان ليوافق قواعد الهجاء حرام؛ فمن باب أولى تحريم كتابة المصحف وفيه صور تُبين القصص الواردة فيه وتوضيحها.

[٧] تصوير قصص القرآن وإخراجها فنيًا حرام باتفاق العلماء.

[٨] لايجوز بحال طبع المصحف وفيه أي تغيير في رسمه أو إضافة أي صورة إليه.

وقد ختم فضيلته الفتوى، والتي ابتدأت (ص٢٤٧) حتَّى (ص٢٥٦)

بقوله: «فإن إباحة تصوير المصحف تنجم عنه مفاسد يجب منعها؛ فإن تصوير قصة يوسف مثلاً معناه أن يُصورَ بعض الأنبياء صوراً لا تليق بمقام النبوة وهو مقام له قداسته وحرمته، والاجتراء على مقام الأنبياء حرام باتفاق العماء، وكذلك تصوير قصة آدم وحواء وخروجهما من الجنة وهبوطهما إلى الأرض وكشف سوأتهما مما لا يليق ولا يصح.

وبعد فأية فائدة يُمكن أن يحصل عليها المسلمون من الاجتراء على كلام رب العالمين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فليتقِ الله كل من يفكر في إباحة تصوير المصحف؛ فإن المسلمين بخيرٍ ما حافظوا على كتاب الله، وهم على شرِ حالٍ إذا ما تهاونوا في المحافظة عليه، ولذلك كله نرى أنه لا يجوز بحال أن يُطبع المصحف وفيه أي تغيير في رسمه أو إضافة أي صورة إليه، والله سبحانه وتعالى أعلم» اهـ.

حكم الرقص

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٥) ﴾ [الأنفال: ٣٥]، قال ابن عباس: كانت قريش تطوف بالبيت عراة يُصفقون ويصفرون، فكان ذلك عبادة في ظنهم، والمكاء الصفير، والتصدية التصفيق، قاله مجاهد والسدي وابن عمر ﷺ وقال قتادة: المكاء ضرب بالأيدي، والتصدية صياح.

قال القرطبي: «وعلى التفسيرين ففيه رد على الجهال من الصوفية الذين يرقصون ويُصفقون، وذلك كله منكر يتنزه عن مثله العقلاء، ويتشبه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت» اهـ.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً (٣٧) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨) ﴾ [الإسراء: ٣٧، ٣٨].

قال القرطبي: «استدل العلماء بهذه الآية على ذم الرقص وتعاطيه، قال الإمام أبو الوفا ابن عقيل: قد نصَّ القرآن على النهي عن الرقص، فقال: ﴿ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا ﴾ وذم المختال، والرقص أشد من المرح والبطر، أوَلسنا الذين قسنا النبيذ على الخمر لاتفاقهما في الإطراب والسُّكْر، فما بالنا لا نقيس القضيب وتلحين الشعر معه على الطنبور والمزمار والطبل لاجتماعهما، فما أقبح من ذي لحية وكيف إذا كان ذي شيبة يرقص ويُصفق على إيقاع الألحان والقضبان، وخصوصًا إن كانت أصوات لنسوان ومردان، وهل يحسن لمن بين يديه الموت والسؤال والحشر والصراط، ثم هو إلى إحدى الدارين يشمس (أي يشرد ويجمع) بالرقص شمس البهائم، ويُصفق تصفيق النسوان، ولقد رأيت مشايخ في عمري ما بان لهم سن من التبسم، فضلاً عن الضحك مع إدمان مخالطتي لهم. وقال أبو الفرج ابن الجوزي - رحمه الله -: ولقد حدَّثني بعض المشايخ عن

الإمام الغزالي – رحمه الله – أنه قال: الرقص حماقة بين الكتفين لا تزول إلاَّ باللعب». اهـ.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾** ﴾ [الكهف: ١٤].

قال ابن عطية: تعلقت الصوفية في القيام والقول بقوله: ﴿ **إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾.

قال القرطبي: قلت: وهذا تعلق غير صحيح؛ هؤلاء قاموا فذكروا الله على هدايته وشكروا لما أولاهم من نعمه ونعمته، ثم هاموا على وجوههم منقطعين إلى ربهم خائفين من قومهم، وهذه سنة الله في الرسل والأنبياء والفضلاء الأولياء، أين هذا من ضرب الأرض بالأقدام والرقص بالأكمام وخاصة في هذه الأزمان عند سماع الأصوات الحسان من المرد والنسوان؟! هيهات بينهما والله ما بين الأرض والسماء، ثم هذا حرام عند جماعة العلماء.

ونقل ما قاله الإمام أبو بكر الطرسوسي وسئل عن مذهب الصوفية فقال: وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون؛ فهو دين الكفار وعباد العجل. اهـ.

وبينما الحسن جالس إذ مرَّ عليه ابن الأهتم يريد المنصور، وعليه جلباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه، وانفرج عنها قباؤه، وهو يمشي ويتبختر إذ نظر إليه الحسن نظرة، فقال: أف أف شامخ بأنفه ثاني عطفه، مصغر خده، ينظر في عطفيه، أي حميق ينظر في عطفه في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير المأخوذ بأمر الله فيها ولا المؤدى حق الله منها، والله أن يمشي أحدهم بطبيعته يتلجلج تلجلج المجنون في كل عضو منه نعمة وللشيطان به لعنة، فسمعه ابن الأهتم؛ فرجع يعتذر إليه، فقال: لا تعتذر إليَّ وتبْ إلى ربك، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾** ﴾ [الإسراء: ٣٧].

ورأى ابن عمر رجلاً يخطر في مشيته، فقال: إن للشياطين إخوانًا.

وخلاصة القول:

عدم جواز الرقص للرجال؛ فهو منهم خنوثة وميوعة تتنافى مع الرجولة الحقة وهو من النساء دعوة صريحة لمواقعة الفواحش، وهو أفضح من تبرج الجاهلية الذي عابه رب العزة جل وعلا فقال: ﴿**وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ**﴾ [الأحزاب: ٣٣]، قيل: كانت المرأة تسير مسفحة بصدرها وسط الرجال، أو أنها كانت تُظهر خصلة من خصلات شعرها، وقال تعالى: ﴿**وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ**﴾ [النور: ٣١] والرقص أشد من ذلك بكثير؛ ففيه تتكشف المرأة وتُبرز مفاتنها، وتأتي من الحركات ما تستثير به قلوب الرجال، قال تعالى: ﴿**فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ**﴾ [الأحزاب: ٣٢]، فمجرد إمالة صوتها ولينه قد يدعو للطمع فيها ممن في قلبه مرض شهوة، فكيف بالرقص؟!.

والأوامر الشرعية في حق النساء تحض على الصيانة والتحجب والتستر والبعد عن مواطن الرجال وأماكن الريب والشر والفساد؛ ولذلك فهي إذا طافت بالكعبة لا ترمل كما يصنع الرجل إذا طاف بالكعبة، ولا تهرول إذا سعت بين الصفا والمروة بين الميلين الأخضرين؛ وكل ذلك لئلاَّ تتكشف، فهل يجوز لها بعد ذلك أن ترقص سواء أُطلق عليه اسم الرقص الشعبي أو الباليه أو غير ذلك، فكل هذا حرام حتَّى وإن أطلق فريق من الناس على بعض صوره اسم الفن الراقي، وقد أجاز الشيخ ابن باز رقص المرأة لزوجها؛ وذلك لأن تكشُّف المرأة لزوجها واستثارتها له أمر لا بأس به.

حكم التمثيل

يقول العلماء الحكم على الشيء فرع عن تصوره، والعارف بالتمثيل وما يدور فيه ولا ينفك عنه لابد وأن يقطع بحرمته، وقد مرَّ بنا أن القانون المصري حتَّى عام (١٩٣٨م) كان يفسق المغني والممثل ويرد شهادة كليهما، والعبرة عندنا بما جاء في كتاب الله وفي سُنَّة رسول الله ﷺ، والناظر إلى التمثيل يجده من جملة البدع المحدثة، ومعلوم أن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، وقد استخدمه الملاحدة وأعداء الإسلام لإشعال وإلهاء هذه الأمة عن دينها وعن مهمتها، وفيه نوع من التشبه بالكفار في صنيعهم، وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لتركبن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، وباعاً بباع، حتَّى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه، وحتَّى لو أن أحدهم جامع أمه لفعلتم**» وقال أيضًا: «**ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من أهل الكتاب حذو القذة بالقذة**» [رواه أحمد والطبراني]، وفي الحديث: «**من تشبه بقوم فهو منهم**» [رواه أحمد وأبو داود].

وهو نوع من قلة المروءة، والإخلال بالمروءة دلالة على السَّفَه، وقلة العقل؛ فتارة يجعل الممثل نفسه حماراً يمشي على أربع وينهق نهيق الحمير، وتارة يجعل نفسه كلبًا يعوي، وأخرى مجنونًا أو امرأة أو سكرانًا، ومن عجيب الأمر أن البعض يُطلق على أمثال هؤلاء إسم الأستاذ الكبير والمربي القدير، ومعلوم أن الحياء والإيمان مقرونان لا يفترقان إلاَّ جميعًا، وإذا رفع أحدهما رفع الآخر، ومما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: «**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»، وفي التمثيل إضاعة للأموال والأوقات في غير مصلحة أو منفعة شرعية، وعادة لا يتم إلاَّ بالليل وذلك بعد العشاء، وفي الصحيح من حديث أبي برزة أنه ﷺ «**كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها**» فليس هو من السمر المأذون فيه.

ومن مستلزمات التمثيل وصل الشعر في الرأس تارة وفي الوجه تارة أخرى، وفي الحديث: «**لعن الله الواصلة والمستوصلة**» [متفق عليه] فإذا كانت المرأة التي تستعمل الباروكة لزوجها للتزين له ملعونة، فكيف بالرجل الذي يستعمله لمجرد اللهو واللعب، ولا ينفك أيضًا عن نتف شعر الوجه وتحسينه وتلميعه؛ فعن ابن مسعود ﷺ قال: «**لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله**» فقالت له امرأة في ذلك، فقال: «ومالي لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ، وهو في كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾ [الحشر: ٧]» [متفق عليه].

والوشم عبارة عن دق الصور على الوجه ونحوه، والنمص عبارة عن إزالة شعر الحواجب أو الأخذ منه، والمتفلجات أي اللاتي يصنعن فلجة بين الأسنان؛ إظهاراً للحسن وللصغر، وهذه صور من صور التغيير لخلق الله؛ قال تعالى حكاية عن إبليس أنه قال: ﴿**وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ**﴾ [النساء: ١٠٩].

والتمثيل عبارة عن غيبة محرمة، فقد روى أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح من حديث عائشة ﷺ قالت: وحكيت له - تعني النبي ﷺ - إنساناً فقال: «**ما أحب أن حكيت لي إنسانًا وأن لي كذا وكذا**» فنهاها النبي ﷺ عن حكاية إنسان، وذكر لها أنه لا يُحب ذلك منها، وأن له كذا وكذا؛ إشارة إلى عظم الأمر وشدة حرمته، وعن عائشة ﷺ قالت: قلت للنبي ﷺ: «حسبك (أي كافيك) من صفية كذا وكذا» - قال بعض الرواة: تعني أنها قصيرة - فقال: «**لقد قلت كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته**» [صححه الألباني]، وروى مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما الغيبة؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**»، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته**»، وفي رواية أخرى قال النبي ﷺ: «**الغيبة ذكرك أخاك بما يكره**»

ومن هنا نعلم حد الغيبة المحرمة، وهي ذكرك أخاك بما فيه من خلقه وبما يكره، وما التمثيل إلاَّ حكاية أقوال وأفعال الآخرين، يُقلدون المشي والأكل وأسلوب التكلم؛ تفكهًا وسخرية واستهزاءً، وأدهى من ذلك وأَمَرّ ما هو شائع هذه الأيام مما يُسمى بـ« الأفلام الكوميدية » فإن الممثل فيها يوظف كلماته وأفعاله لتقليد الآخرين مما يُدخل السرور بالباطل في نفوس الناس غير مبالين بالعاقبة الوخيمة التي تجرها هذه المعاصي، منها: تربية الأبناء تربية غير لائقة وتخريج الأجيال المستهترة المستهزئة والتي لا تحمل هموم الأمة ولا تسأل عن شؤونها، وهذه الأفلام – وللأسف – منتشرة انتشاراً واسعًا، سواء كان ذلك مما يسمى بـ« دور السينما » والتلفزيون أو الفيديو أو المسرح.

ولا يخفى عليك أن المستمع للغيبة والمغتاب سواء؛ فبعد أن رُجم ماعز الأسلمي سمع رسول الله ﷺ رجلين من الأنصار يقول أحدهما لصاحبه: انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه، لم يدع نفسه حتَّى رُجم رجم الكلب. قال: فسكت رسول الله ﷺ، ثم سار ساعة فمر بجيفة حمار شائل برجله، فقال: أين فلان وفلان؟ قالوا: نحن ذا يا رسول الله، فقال لهما: « **كُلا من جيفة هذا الحمار** » فقالا: يا رسول الله، غفر الله لك من يأكل من هذا؟ فقال رسول الله ﷺ: « **ما نلتما من عرض هذا الرجل آنفًا أشد من أكل هذه الجيفة، والذي نفسي بيده إنه الآن في أنهار الجنة ينغمس فيها** » فالقائل شخص واحد والثاني استمع له، ثم ماذا كانت النتيجة، قال رسول الله ﷺ: « **كلا من جيفة هذا الحمار** » ثم قال لهما: « **ما نلتما من عرض هذا الرجل آنفًا أشد من أكل هذه الجيفة** ».

وقال سبحانه في حق عباده المؤمنين: ﴿ **وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ** ﴾ [القصص: ٥٥]، ولما قال رجل من بني سلمة عن كعب بن مالك، وكان قد تخلَّف عن الخروج في غزوة تبوك: حبسه برداه والنظر في عطفيه. فقال معاذ ابن جبل رضي الله عنه: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلاَّ خيراً. فسكت رسول الله ﷺ.

فالتمثيل عبارة عن احتقار وسخرية واستهزاء بالمسلمين؛ ولذلك تراهم لا يمثلون من يجلونه أو يخافون سطوته من الملوك الأحياء؛ لأن القانون يمنعهم من ذلك، وإنما يمثلون من الأحياء من يريدون إهانته أو الملوك الأقدمين الذين لا يمنعهم القانون من تمثيلهم كملوك بني أمية وبني العباس، وكل هذا حرام؛ قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ ﴾ [الحجرات: ١١]، وقال رسول الله ﷺ: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله**» [رواه مسلم]، «**والكبر هو بطر الحق وغمط الناس**» [رواه مسلم] أي احتقارهم، وهو أيضًا من إذاية المسلمين وتتبع عوراتهم، ونشرها بين الجمهور، قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا** (٥٨) ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

ولا يشفع للممثل أن يعتذر بأنه ذكر الحقيقة وما هو موجود؛ فإنه لما قيل للنبي ﷺ: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته**» [رواه مسلم]، وفي الحديث: «**لا يؤمن أحدكم حتَّى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» [متفق عليه]، وقالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا الأموات فإنهم أفضوا إلى ما قدموا**» وهو مخرج في الصحيح، هذا في مجرد الأموات فكيف بأموات السلف الصالح لاسيما العلماء والصالحون منهم الذين أُمرنا بتعظيمهم واحترامهم والدعاء لهم على أسبقيتهم للإيمان وخدمتهم للدين؟!.

التمثيل الديني

وقبل أن نذكر حكمه طبقًا للأمور التي لا ينفك عنها نُشير إلى خطورة إضافة الدين لمعانٍ ساقطة حرص أعداء الإسلام على الترويج لها كالإشتراكية والديمقراطية والفن، فسمعنا من يقول بالإشتراكية الإسلامية والفن الإسلامي والتمثيل الديني، وقد أمرنا ربنا جل وعلا أن نسمي الأشياء بأسمائها؛ فالاشتراكية نظام كفري وضعه الملاحدة، وإضافته لدين الله نوع من التلبيس والتزوير والترويج للباطل بشعارات الحق، وفيه تمويه على العامة، وكذلك الأمر بالنسبة للتمثيل، فله حكمه في شرع الله تعالى، وإضافة الدين له يُضفي عليه نوعًا من الهيبة والاحترام والترويج، وكل هذا أيضًا ما هو إلاَّ تزوير وتدليس؛ فتراهم يمثلون علماء الإسلام ويلصقون بوجوههم اللحى المصطنعة في حالة تدل على الاحتقار والإهانة مما يترتب عليه إهانة العلم والدين، وقد حكم الإمام أحمد بكفر من قال لعمامة العالم عميمة بقصد الإهانة والاستخفاف، وما ينجر بسبب ذلك من استخفاف بالعلم الشرعي الذي يحمله، وقد قال رسول الله ﷺ: «**ليس منَّا من لم يُجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه**»، وقد ورد من طرق متعددة.

ويقول الشافعي - رحمه الله -: إذا لم يكن العلماء بأولياء الله فليس لله ولي. وفي الحديث القدسي: «**من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب**» [رواه البخاري].

بل قد جرهم التمثيل والجرأة على الله تعالى إلى تمثيل أنبياء الله تعالى ورسله كموسى وعيسى ويوسف عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام، بل لم تقف بهم الجرأة عند حد عندما مثلوا الله جل وعلا وتقدَّس وتنزه عن المثيل ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

وكذلك يدعوهم التمثيل إلى الكفر بالله جهارًا؛ فترى الممثل يتقمص شخصية يهودي أو نصراني أو مجوسي أو ملك كافر أو فرعون من الفراعنة أو

شيطان من الشياطين ؛ فينطق بكلمات الكفر، ومعلوم أن الرضى بالكفر كفر، والقرآن عندما حكى لنا أقوال الكفرة كان على سبيل دحضها والرد عليها، وروى ابن ماجه من حديث أنس رضي الله عنه قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقول: أنا يهودي، فقال رسول الله ﷺ: «**وجبت**».

والتمثيل مع كل هذا كذب وزور وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**آية المنافق ثلاث إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان**»، وروى أبو داود وغيره من حديث عبد الله بن عامر قال: دعتني أمي يومًا ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعالى أعطيك، فقال لها رسول الله ﷺ: «**أما إنك لو لم تُعطه شيئًا كُتبت عليك كذبة**»، وفي الحديث: «**أنا زعيم بيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا**»[رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه]، وبيّن النبي ﷺ أن من علامات الساعة كثرة الكذب، ثم هم يحلفون بالله على ذلك الكذب في الدور الواحد مراراً، وهذا ما يطلق عليه اسم اليمين الغموس أي الذي يغمس صاحبه في الإثم وهو من جملة الكبائر.

وكذلك فالتمثيل يكثر فيه الكلام فيما لا يعني وفي الحديث: «**لا تُكثروا الكلام بغير ذكر الله؛ فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي**»[رواه الترمذي وحسنه]، وإذا لم تحضر فيه النساء تشبه بهن بعض الممثلين في اللباس والكلام والحركات والتخنث حتَّى كأنه امرأة وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال» [رواه البخاري] وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل» [رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم].

ووجود النساء الممثلات مع الرجال فيه من الشر والفساد ما لا يخفى على أحد، بل هو كذلك يوقع الممثلين والمتفرجين في كبيرة النظر، وقد قال جابر بن عبد الله: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة فقال: «**اصرف بصرك**»[رواه

مسلم]، وقال لعلي: «**لا تتبع النظرة النظرة؛ فإنما لك الأولى وليست لك الثانية**» [رواه أبو داود والترمذي].

وقد تنضاف الموسيقى والغناء فيزاد الطين بلة، والمتفرج شريك الممثل في الإثم والذنب لإقراره بالغيبة، ولإنفاق المال في الباطل والحرام، ولهذا الاختلاط المريب الذي يحدث بين النساء والرجال، ولإطلاق البصر فيما يُغضب الله تعالى، وهكذا أصبح التمثيل أداة لنشر الفسق والفجور وإشاعة للفحش والتفحش، وتربية للأجيال على معاني الأسوة السيئة المتمثلة في الممثلين والممثلات الذين يقودون الأمة إلى حتفها وهلاكها، ويحلو للبعض أن يبرر هذا الضياع بتبريرات سمجة مثل قولهم: التمثيل وسيلة من وسائل الدعوة، ولا يخفى عليك أنها وسيلة محرمة لما مرَّ بك من أدلة وبراهين، ثم وكأن هؤلاء عدموا الوسائل المشروعة للدعوة من كتابة وخطابة ودروس، وإعطاء للقدوة الحسنة والمثل الطيب بالفعل قبل القول والوصول بالدعوة إلى الأفراد والجماعات في كل حقل ومجال وبذل الوسع في ذلك كما كان الحال على عهد خير القرون، بل استدل البعض ظلمًا وزورًا على الترويج لهذا المنكر بقصة إبراهيم عليه السلام مع قومه وما شابه ذلك من قصص لا علاقة لها من قريب أو بعيد بما يحدث في التمثيل الديني أو غيره، ومعلوم أن قصص القرآن كله حق وصدق لا كذب فيه ولا فحش ولا تزوير معه.

وقد راج هذا التمثيل على قطاعات كبيرة من الناس لما يرونه من نهاية مؤلمة للباطل في زعمهم ويكونون قبل رؤية هذه النهاية قد شاهدوا صور العرى والخلاعة وكلمات الكفر والضلال دون نكير، وهم في أحسن أحوالهم يتشربون السُّمَّ في العسلِ كحالة من يذهب للعرافين والكهان؛ لأنهم صدقوا يوم كذا ويتناسى أنهم كذبوا مئة مرة معها وإذا كان درأ المفاسد مُقدمٌ على جلب المصالح؛ فالواجب علينا الانتهاء عن التمثيل الديني وغيره، والانتهاء كذلك عن مشاهدة هذا الفساد والترويج له.

قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي
المنعقد بمكة المكرمة
بشأن تصوير (تمثيل) النبي ﷺ
وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

القرار السادس (ص١٦٧) : «إن مقام النبي ﷺ مقام عظيم عند الله تعالى، وعند المسلمين، وإن مكانته السامية، ومنزلته الرفيعة معلومة من الدين بالضرورة، فقد بعثه الله تعالى رحمة للعالمين، وأرسله إلى خلقه بشيراً ونذيراً وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيراً، وقد رفع ذكره وأعلى قدره، وصلَّى عليه وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه؛ فهو سيد ولد آدم وصاحب المقام المحمود ﷺ.

وإن الواجب على المسلمين احترامه وتقديره وتعظيمه التعظيم اللائق بمقامه ومنزلته عليه الصلاة والسلام؛ فإن أي امتهان له أو تنقص من قدره يُعتبر كفراً وردة عن الإسلام والعياذ بالله تعالى وإن تخييل شخصه الشريف بالصور سواء كانت مرسومة متحركة أو ثابتة، وسواء كانت ذات جرم وظل أو ليس لها ظل وجرم، كل ذلك حرام لا يحل ولا يجوز شرعًا؛ فلا يجوز عمله وإقراره لأي غرض من الأغراض أو مقصد من المقاصد أو غاية من الغايات، وإن قصد به الامتهان كان كفراً؛ لأن في ذلك من المفاسد الكبيرة والمحاذير الخطيرة شيئًا كثيراً وكبيراً، وأنه يجب على ولاة الأمور والمسئولين ووزارات الإعلام، وأصحاب وسائل النشر منع تصوير النبي ﷺ صوراً مجسمة وغير مجسمة في القصص والروايات والمسرحيات وكتب الأطفال والأفلام والتلفاز والسينما، وغير ذلك من وسائل النشر، ويجب إنكاره وإتلاف ما يوجد من ذلك.

وكذلك يمنع ذلك في حق الصحابة رضي الله عنهم فإن لهم من شرف الصحبة والجهاد

مع رسول الله ﷺ والدفاع عن الدين والنصح لله ورسوله ودينه، وحمل هذا الدين والعلم إلينا ما يوجب تعظيم قدرهم واحترامهم وإجلالهم، ومثل النبي ﷺ سائر الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ فيحرم في حقهم ما يحرم في حق النبي ﷺ؛ لذا فإن المجلس يُقرر بأن تصوير أي واحد من هؤلاء حرام، ولا يجوز شرعاً ويجب منعه، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين». اهـ.

وبعد:

فقد تعرضنا لبعض صور الفنون وذكرنا حكم كل صورة من هذه الصور، ولسنا من هواة تحريم الحلال على الناس، ونعوذ بالله أن نكون ممن يحل الحرام للخلق، وفي الحلال مندوحة وسعة عن الحرام، والإسلام هو دين المثالية والواقعية في وقت واحد وبلا تعارض أو تناقض، فمن رحمة الله بعباده أنه لم يتعامل مع خلقه على أنهم ملائكة أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع، بل هم بشر يُصيبون ويُخطئون، يأكلون ويشربون، يصلون ويصومون، وفي ذات الوقت يفرحون ويمرحون، وينزلون في ذلك كله على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ؛ فقد روى الإمام مسلم عن حنظلة الأسيدي رضي الله عنه قال: «لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة!! قال: سبحان الله، ما تقول؟! قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يُذكرنا بالنار والجنة، حتَّى كأنه رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا (لاعبنا) الأزواج والأولاد وعالجنا الضيعات؛ فنسينا كثيراً، قال أبو بكر: فوالله، إنَّا لنلقى مثل هذا. قال حنظلة: فانطلقت أنا وأبو بكر حتَّى دخلنا على رسول الله ﷺ، قلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**وما ذاك؟**»قلت: يا رسول الله، نكون عندك تُذكرنا بالنار والجنة حتَّى كأنَّا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ونسينا كثيراً، فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، إنكم لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على**

فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة» وكرر هذه الكلمة «**ساعة وساعة**» ثلاث مرات.

وكان ﷺ يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الهمِّ والحزن**» [رواه أبو داود]، وكان ﷺ ألين الناس ضحاكًا بسامًا يمزح ولا يقول إلاَّ حقًا، ومما رُوِيَ في مزاحه أن امرأة عجوزًا جاءته تقول له: يا رسول الله، ادع الله لي أن يُدخلني الجنة، فقال لها: «**يا أم فلان، إن الجنة لا يدخلها عجوز**» فبكت المرأة، فبيّن النبي ﷺ لها أن العجوز لن تدخل الجنة عجوزًا، بل ينشئها الله خلقًا آخر، فتدخلها شابة بكرًا وتلا عليها قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧)**﴾ [الواقعة: ٣٥ – ٣٧].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إن القلوب تمل كما تمل الأبدان، فاطلبوا لها طرائف الحكمة»، وقال: «روحوا القلوب ساعة بعد ساعة؛ فإن القلب إذا أكره عمي».

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: «إني لأستجم نفسي بالشيء من الباطل ليكون أعون لها على الحق»، والمقصود بذلك شيء من اللهو المباح الحلال يكون بمثابة الملح للطعام، وهو أليق بالنساء والصغار وحديثي العهد بمعرفة الإسلام، وقد ذكرنا صورًا من الرياضات النافعة التي يحرص عليها المسلم؛ لتحصيل أسباب القوة، ولكل مقام مقال والواجبات كثيرة؛ فاحرص على الجمع بين المصالح.

حكم الأماكن المشهورة

لم تقتصر الشهرة على الأشخاص والعلوم والفنون، بل تعدت ذلك كله إلى البقاع والجبال والآثار والقبور والمشاهد، ونحو ذلك مما يحرص الناس على ارتياده وزيارته وشد الرحال إليه، بل وكثير من الأماكن المشهورة له قدسية خاصة عند كثير من الشعوب، وكل ذلك له حكمه في دين الله، ونحن نذكر بإذن الله تعالى بعض المسائل والصور التي تتعلق بهذه القضية المهمة.

إدراك السنن الربانية :

فلله تعالى سنن في خلقه أرشدنا إليها، وطلب منَّا التعامل معها قال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، وقال سبحانه: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً (٤٣) ﴾ [فاطر: ٤٣]، وقال جل وعلا: ﴿ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥) ﴾ [غافر: ٨٥]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ (١٠٩) حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠) لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١) ﴾ [يوسف: ١٠٩- ١١١]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ (٤٢) ﴾ [الروم: ٤٢]، وقال سبحانه: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (١٠) ﴾ [محمد: ١٠].

والآيات في هذا المعنى كثيرة وكلها تؤيد أن الحوادث متشابهة والمواقف

متماثلة، والتاريخ هو الذي يكشف عن هذه السنن التي هي غاية في الدقة والعدل والثبات، وهذه الفائدة من أهم ثمرات دراسة التاريخ، والسَيْر في الأرض لأخذ العظة والعبرة أمر شرعي دلَّت عليه هذه النصوص التي ذكرنا وغيرها.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً** ﴾ [النساء: ١٠٠] ذكر القرطبي نقلاً عن ابن العربي أن العلماء قسّموا الهجرة إلى قسمين: هجرة هروب، وهجرة طلب، **وأن هجرة الهروب ستة أقسام:**

[١] الهجرة من دار الحرب إلى دار السلام، وكانت فرضًا أيام النبي ﷺ وهي باقية مفروضة إلى يوم القيامة، والتي انقطعت بالفتح هي القصد إلى النبي ﷺ حيث كان، فإن بقي في دار الحرب عصى ويختلف فيه.

[٢] الخروج من أرض البدعة، قال ابن القاسم: سمعت مالكًا يقول: لا يحل لأحد أن يُقيم بأرض يسب فيها السلف. قال ابن العربي: وهذا صحيح؛ فإن المنكر إذا لم تقدر أن تغيره فزل عنه، قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ** ﴾.

[الأنعام: ٦٨].

[٣] الخروج من أرض غلب عليها الحرام؛ فإنَّ طلب الحلال فرض على كل مسلم.

[٤] الفرار من الإصابة في البدن؛ وذلك فضل من الله أُرخص فيه، فإذا خشى على نفسه فقد أذن الله في الخروج عنه، والفرار بنفسه ليخلصها من ذلك المحذور، وأول من فعله إبراهيم عليه السلام لما خاف من قومه ﴿ **وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾** ﴾ [الصافات: ٩٩]، وقال: ﴿ **إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي** ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، وقال الله تعالى مُخبرًا عن موسى عليه السلام: ﴿ **فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ** ﴾ [القصص: ٢١].

[٥]الخروج خوف المرض في البلاد الوخمة إلى الأرض النزهة، وقد أذن النبي ﷺ للرعاة حين استوخموا المدينة أن يخرجوا إلى المسرح فيكونوا فيه حتى يصحوا، وقد استثنى من ذلك الخروج من الطاعون، فمنع الله منه بالحديث الصحيح عن نبيه ﷺ غير أن العلماء قالوا: إنه مكروه (أي الخروج من الأرض التي نزل بها الطاعون) .

[٦]الفرار خوف الأذية في المال؛ فإن حرمة مال المسلم كحرمة دمه، والأهل مثله وأوكد .

ثم تحدَّث عن هجرة الطلب وقسمها قسمين: طلب دين، وطلب دنيا ، والأول يتعدد بتعدد أنواعه إلى تسعة أقسام:

[١] **سفر العبرة** :قال تعالى: ﴿ **أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ** ﴾[فاطر: ٤٤] وهو كثير.

[٢] **سفر الحج** :وهو فرض، أما سفر العبرة فهو ندب .

[٣] **سفر الجهاد** :وله أحكامه .

[٤] **سفر المعاش** :فقد يتعذر على الرجل معاشه مع الإقامة فيخرج في طلبه لا يزيد عليه بصيد أو احتطاب أو غيرهما فهو فرض عليه .

[٥] **سفر التجارة** :والكسب الزائد عن القوت والحاجة، وذلك جائز بفضل الله، كما قال سبحانه: ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ** ﴾ [البقرة ١٩٨]، وهي نعمة منَّ الله بها في سفر الحج، فكيف إذا انفردت .

[٦] **سفر في طلب العلم** :وهو مشهور .

[٧] **سفر لقصد الثغور والمرابطة فيها** :من أجل الجهاد .

[٩] **سفر لزيارة الإخوان في الله** :كما في الحديث الذي يدل على « أن ملكًا أرصده الله في طريق رجل، ليزور أخاه في الله وبشره بالجنة » [رواه مسلم] »اهـ. مختصراً .

دخول ديار الهلكى المعذبين
(زيارة الآثار)

أصبحت الآثار من جملة المزارات التي يحرص الناس على ارتيادها، مثل ديار عاد وثمود، والأهرامات وغيرها من آثار الفراعنة، وقد اشتدت حركة البحث والتنقيب عن الآثار هنا وهناك لأغراض كثيرة، بل وقد أُنشأت أقسام للآثار في الجامعات، ثم هم يُقسّمون الآثار بعد ذلك بحسب العصر الذي وُجدت فيه فيقولون هذه آثار فرعونية أو قبطية أو إسلامية، والذي يعنينا هنا هو التنبيه على الآداب التي ينبغي أن تُراعى، ومن أهمها: أن يكون المقصد هو العظة والاعتبار من هذا الكشف أو من هذه الزيارة لا الانشغال بتفاهات وتفصيلات مثل أشكال الأواني، ونحو ذلك مما يُنسينا الهدف والغاية، والتي كان الواجب أن نركز عليها، اللهم إلاَّ أن يكون البحث في التفصيلات له مقصد شرعي.

وهذا المعنى نستفيده من قوله تعالى: ﴿ **سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا** ﴾ [الكهف: ٢٢]، وهكذا فأنت ترى أن الخلاف حول عدد أصحاب الكهف يستخلص منه أن الناس دائمًا يتعلقون بالأمور الجانبية التي لا فائدة تُرجى من وراء معرفتها، ويختلفون في ذلك ثم يخوضون بالجدل فيه بغير علم ويتركون المقاصد والأمور المهمة، وهو أخذ العبرة من وراء سياق القصة، وإنه ليستوي في أخذ العبرة أن يكون عددهم ثلاثة أو خمسة أو أقل أو أكثر؛ فالعبرة في أمرهم حاصلة بالعدد القليل والكثير، ولكن إذا وجد علم صحيح بعددهم فإنه لا مانع من الأخذ به وإثباته كحادثة تاريخية.

أيضًا لا يصح أن نصف ما كان عليه الفراعنة أو قوم هود أو قوم صالح

بوصف الحضارة حتَّى وإن أقاموا الأهرامات وأبا الهول والمسلات، وأنشأوا المصانع والسدود ونحو ذلك؛ فالحضارة عند المسلمين معناها التطور أو التقدم أو الأخذ بأسباب القوة وفق منهج العبودية وإقامة الحياة على أساس دين الله جل وعلا، أما هؤلاء الذين ذكرناهم فقد غلب عليهم الكفر ولذلك أخذهم ربنا أخذ عزيز مقتدر.

ونحن لا نفخر بالانتساب لفرعون الذي قال لقومه: ﴿ **مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي** ﴾[القصص: ٣٨]، وقال: ﴿ **أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ (٢٤)** ﴾[النازعات: ٢٤]، وقال: ﴿ **أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي** ﴾[الزخرف: ٥١]، وقال أيضًا: ﴿ **مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩)** ﴾[غافر: ٢٩]، فإذا اكتشفنا جثمانه فلا ينبغي أن نغفل قوله تعالى: ﴿ **فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً** ﴾[يونس: ٩٢].

وقد أُمرنا إذا مررنا بقبور المشركين أن نُبشرهم بالعذاب، وأن نُسرع الانصراف والرحيل من ديار الهلكى المعذبين، بل ومن الأماكن التي نزل العذاب بساحتهم فيها، مثل وادي محسر الذي أهلك ربُنا جل وعلا فيه أصحاب الفيل الذين قصدوا مكة لهدم الكعبة المشرفة، وجاء في كتب الحديث والمغازي أن الرسول ﷺ وهو بالحجر قال: «**لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين**- يعني قوم صالح - **إلاَّ أن تكونوا باكين أن يُصيبكم مثل ما أصابهم**»وفي رواية أنه ﷺ قال وهو بالحجر: «**لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يُصيبكم ما أصابهم، إلاَّ أن تكونوا باكين**» ثم قنع رأسه (أي غطاه كي لا يرى) وأسرع السير حتى أجاز الوادي [رواه البخاري].

وفي مغازي الواقدي: قال رسول الله ﷺ: «**لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلاَّ أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم؛ فيصيبكم ما أصابهم**»، وقال أبو سعيد الخدري: رأيت رجلاً جاء إلى النبي ﷺ بخاتم وجده

في الحجر في بيوت المعذبين، قال: فأعرض عنه، واستتر بيده أن ينظر إليه، وقال: «**القه**» فألقاه فما أدري أين وقع حتى الساعة، وكان ابن عمر يقول: إن رسول الله ﷺ قال لأصحابه حين حاذاهم (أي المعذبين): «**إن هذا وادي النفر**»، فجعلوا يوضعون فيه ركابهم (أي يحثونها لتُسرع في المشي) حتَّى خرجوا منه. وكان أبو هريرة يُحدث يقول: لما مررنا بالحجر (اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام) استقى الناس من بئرها وعجنوا، فنادى منادي النبي ﷺ: «**لا تشربوا من مائها ولا تتوضأوا للصلاة، وما كان من عجين فأعلفوه الإبل**» قال سهل بن سعد: كنت أصغر أصحابي، وكنت مقريهم في تبوك، فلما نزلنا (أي الحجر من ديار ثمود) عجنت لهم، ثم تحينت العجين، وقد ذهبت أطلب حطبًا، فإذا منادي النبي ﷺ يُنادي: إن رسول الله ﷺ يأمركم ألاَّ تشربوا من ماء بئرهم، فجعل الناس يهرقون ما في أسقيتهم، قالوا: يا رسول الله قد عجنَّا، قال: «**أعلفوه الإبل**»، قال سهل: فأخذت ما عجنت فعلفت نضوين، فهما كانا أضعف ركابنا. [راجع سيرة ابن هشام – السيرة الحلبية – البداية والنهاية – مغازي الواقدي].

لعنة الفراعنة

لقد تغير الحال وتبدل، ودخل البعض ديار هؤلاء الهلكى المعذبين على وجه الضحك واللعب، وكل همه أن تُلتقط له صورة، وقد رأينا كيف أن الصحابة يوم رجوعهم من تبوك عندما مروا بديار ثمود قال لهم النبي ﷺ: «**لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين، إلاَّ أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم ما أصابهم** (أي من الهلاك)» فالدخول على هؤلاء على غير الوجه المشروع سبب من أسباب الهلاك.

وقد حاول البعض التصوير بأن لعنة الفراعنة هذه كانت منهم على وجه التهديد والإنذار، فقد نقل أحد علماء الآثار المصرية قول امنحتب بن حابو الوزير الذي عاش في عصر امنوفيس الثالث (١٣٥٠ق.م) حين هدد بالآتي: «أجسادهم سوف تلعن وسوف ينتقم منهم الإله آمون، الذي سوف يقذف بهم إلى جهنم وبئس المصير، وسوف تقذف الأفاعي النار في وجوههم، وتلتهم الثعابين أجسادهم، وسوف يغرقون في قاع البحر حيث تتوارى جثثهم، وسوف لا تقام لهم الطقوس الدينية عند موتهم، وسوف يوارون التراب دون احتفال، وسوف يتضوون جوعًا وعطشًا في الآخرة فلا خبز ولا ماء لهم» نقلاً عن مجلة أكتوبر العدد (٥٩٣).

وقد حكى الدكتور صاحب المقال كيفية موت اللورد كارنارفون (أحد ممولي عمليات الآثار) صريعًا وهو في حالة يُرثى لها من الذعر والخوف، وكذلك موت كارتر مكتشف مقبرة توت عنخ آمون، ثم عقَّب بقوله: وهذا يُشبه إلى حد ما النبوءة التي أشار إليها الإسكندر الأكبر عندما زار واحة سيوة، وأخبره بها آمون، ومات دون أن يعلم أحد بحقيقتها؛ فقد أرسل الإسكندر الأكبر إلى أمه خطابًا صغيرًا قال لها فيه إنه سوف يبلغها بما جرى بينه وبين الإله آمون من حديث عند عودته إليها، ولكنه مات ومعه السر الذي لم يبح به إلى أي إنسان. اهـ.

ولنا على كلام الدكتور عدة تعليقات :

أولاً : لكي نحكم على لعنة الفراعنة وغيرها، وهل هي خرافة أو حقيقة أو أسطورة فلابد من الرجوع لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ، وحينئذ يزول الإشكال وتنتهي الحيرة بإذن الله، وقد أوردنا قول الصادق المصدوق فيما يتعلق بالدخول على ديار ثمود، وهو يشمل كل من أهلكهم ربنا بالعذاب لكفرهم.

ثانيـا : أورد الدكتور كلمات كثيرة وكأنها من المسلمات مثل نبوءة الإسكندر والإله آمون والسحر وإخناتون صاحب مذهب التوحيد، ومعلوم أن الإسكندر الأكبر كان مُشركًا ممن يعبد الكواكب، والغيب لا يعلمه إلاَّ الله ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧] فليس ذلك للإسكندر ولا لغيره، والسحر كفر والساحر كافر ﴿ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٠٢]، ونسبة الألوهية لآمون كفر برب العزة جل وعلا؛ فإذا نقل الإنسان مثل هذا الكلام فليكن على سبيل إبطاله ودحضه لا كما صنع الدكتور عالم الآثار، ثم هو يقول إخناتون صاحب مذهب التوحيد.. أي جهل هذا!! ألم يقرأ مرة وهو المسلم في كتاب الله أو في سنة رسول الله ﷺ، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة: ٥]، وما من نبي إلاَّ وقال لقومه: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف: ٥٩]، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥) ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقد ابتدأت البشرية بنبي مكلم هو آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

ثالثاً : إذا كانت هذه حالة الأستاذ فكيف تكون حالة الطلبة؛ فالمشتكى لله وحده من غربة الإسلام وسط بنيه، فعلى مثل هذه المناهج الخربة وعلى أيدي أمثال هؤلاء يتربى أبناء المسلمين الذين يؤمنون بالله ربًا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولا.

الزيارة الشرعية والزيارة البدعية

سئل شيخ الإسلام - رحمه الله - عن زيارة القدس وقبر الخليل عليه السلام .

فأجاب: الحمد لله، أما السفر إلى بيت المقدس للصلاة والاعتكاف أو القراءة أو الذكر أو الدعاء فمشروع مستحب باتفاق علماء المسلمين، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما أنه قال: «**لا تشد الرحال إلاَّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا**» والمسجد الحرام ومسجد رسول الله ﷺ أفضل منه، وفي الصحيحين عنه أنه قال: «**صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلاَّ المسجد الحرام**» .

وأما السفر إليه لمجرد زيارة قبر الخليل عليه السلام أو غيره من مقابر الأنبياء والصالحين ومشاهدهم وآثارهم فلم يستحبه أحد من أئمة المسلمين لا الأربعة ولا غيرهم، بل لو نذر ذلك ناذر لم يجب عليه الوفاء بهذا النذر عند الأئمة الأربعة وغيرهم، بخلاف المساجد الثلاثة؛ فإنه إذا نذر السفر إلى المسجد الحرام لحج أو عمرة لزمه ذلك باتفاق الأئمة، وإذا نذر السفر إلى المسجدين الآخرين لزمه السفر عند أكثرهم كمالك وأحمد والشافعي في أظهر قوليه؛ لقول النبي ﷺ: «**من نذر أن يُطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**» [رواه البخاري] ، وإنما يجب الوفاء بنذر كل ما كان طاعة مثل: من نذر صلاة أو صومًا أو اعتكافًا أو صدقة لله أو حجًا.

ولهذا لا يجب بالنذر السفر إلى غير المساجد الثلاثة؛ لأنه ليس بطاعة؛ لقول النبي ﷺ: «**لا تُشدُّ الرحال إلاَّ إلى ثلاثة مساجد**» فمنع من السفر إلى مسجد غير المساجد الثلاثة، فغير المساجد أولى بالمنع؛ لأن العبادة في المساجد أفضل منها في غير المساجد وغير البيوت بلا ريب؛ ولأنه قد ثبت في الصحيح عنه ﷺ

أنه قال: «**أحب البقاع إلى الله المساجد**» مع أن قوله: «**لا تشد الرحال إلاَّ إلى ثلاثة مساجد**» يتناول المنع من السفر إلى كل بقعة مقصودة بخلاف السفر للتجارة وطلب العلم، ونحو ذلك؛ فإن السفر لطلب تلك الحاجة حيث كانت وكذلك السفر لزيارة الأخ في الله؛ فإنه هو المقصود حيث كان.

وقد ذكر بعض المتأخرين من العلماء: أنه لا بأس بالسفر إلى المشاهد، واحتجوا «بأن النبي ﷺ كان يأتي قباء كل سبت راكبًا وماشيًا» [أخرجاه في الصحيحين] ولا حجة لهم فيه؛ لأن قباء ليس مشهداً بل مسجد، وهي منهي عن السفر إليها باتفاق الأئمة؛ لأن ذلك ليس بسفر مشروع، بل لو سافر إلى قباء فهذا يُستحب كما يُستحب زيارة قبور أهل البقيع وشهداء أحد . اهـ.

والمرابطة بالثغور أفضل من المجاورة في المساجد الثلاثة،وهذا متفق عليه بين السلف حتَّى قال أبو هريرة رضي الله عنه: «لأن أُرابط ليلة في سبيل الله أحب إليَّ من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود»، وقد قال تعالى: ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ [التوبة: ١٩ – ٢٢].

وثبت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان في بعض الأسفار فرأى قومًا يتناوبون مكانًا يصلون فيه، فقال: ما هذا؟ قالوا: مكان صلَّى فيه رسول الله ﷺ، فقال: ومكانٌ صلَّى فيه رسول الله ﷺ أتريدون أن تتخذوا أثر الأنبياء لكم مساجد؟! إنما هلك من كان قبلكم بهذا، من أدركته الصلاة فليصلِ وإلاَّ فليمضِ؛ وهذا لأن الله لم يشرع للمسلمين مكانًا يتناوبونه للعبادة إلاَّ المساجد خاصة، فما ليس بمسجد لم يشرع قصده للعبادة، وإن كان مكان نبي أو قبر نبيّ.

ومن تتبع هدي الصحابة رضوان الله عليهم وجد أنهم لم يكونوا يستحبون السفر لشيء من زيارات البقاع: لا آثار الأنبياء ولا قبورهم ولا مساجدهم، إلاَّ المساجد الثلاثة، بل إذا فعل بعض الناس شيئًا من ذلك أنكر عليه غيره، كما أنكروا على من زار الطور الذي كلَّم الله عليه موسى عليه السلام، حتَّى إن غار حراء الذي كان النبي ﷺ يتعبد فيه قبل المبعث لم يزره هو بعد المبعث، ولا أحد من أصحابه.

هذا وينبغي الحذر من التبرك بالأحجار والأشجار؛ فعن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يُقال لها ذات أنواط، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر، إنها السنن، قلتم - والذي نفسي بيده - كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، لتركبن سنن من كان قبلكم**» [رواه الترمذي وصححه]، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول عن الحجر الأسود: «والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يُقبّلك ما قبلتك».

ومكة المكرمة هي أحب بلاد الله إلى الله لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال لمكة وهو واقف بالحزورة: «**والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما خرجت**» [قال الترمذي: حديث صحيح] وأما الحديث الذي يُروى «أخرجتني من أحب البقاع إليَّ فأسكني أحب البقاع إليك» فهذا حديث موضوع كذب لم يروه أحد من أهل العلم، والنبي ﷺ حرَّم المدينة كما حرم إبراهيم عليه السلام مكة.

وقد دلَّ القرآن على بركة الشام في خمس آيات، وقال النبي ﷺ: «**الإيمان يمان، والحكمة يمانية**» والمكان الذي يكون الإنسان فيه أطوع لله ولرسوله هو الأفضل بالنسبة له؛ فقد كتب أبو الدرداء إلى سلمان الفارسي رضي الله عنهما يقول له:

«هلم إلى الأرض المقدسة»، فكتب إليه سلمان: «إن الأرض لا تقدس أحداً، وإنما يقدس الرجل عمله»، وهو كما قال سلمان الفارسي فإن مكة - حرسها الله تعالى- أشرف البقاع وقد كانت في غربة الإسلام دار كفر وحرب، يحرم المقام بها، وحرم بعد الهجرة أن يرجع إليها المهاجرون فيقيموا بها، وقد كانت الشام في زمن موسى عليه السلام قبل خروجه ببني إسرائيل دار الصابئة المشركين الجبابرة الفاسقين، وفيها قال الله تعالى لبني إسرائيل: ﴿ **سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

وليكن معلومًا أن الفضيلة الدائمة في كل وقت ومكان في الإيمان والعمل الصالح.

يقول ابن تيمية: «وهذه الأوقات يظهر فيها من النقص في خراب (المساجد الثلاثة) علمًا وإيمانًا ما يتبين به فضل كثير ممن بأقصى المغرب على أكثرهم فلا ينبغي للرجل أن يلتفت إلى فضل البقعة في فضل أهلها مطلقًا، بل يعطي كل ذي حق حقه، ولكن العبرة بفضل الإنسان في إيمانه وعمله الصالح والكلم الطيب، ثم قد يكون بعض البقاع أعون على بعض الأعمال، كإعانة مكة حرسها الله تعالى على الطواف والصلاة المضاعفة، ونحو ذلك.

وقد يحصل في الأفضل معارض راجح يجعله مفضولاً مثل من يجاور بمكة مع السؤال والاستشراف والبطالة عن كثير من الأعمال الصالحة، وكذلك من يطلب الإقامة بالشام؛ لأجل حفظ ماله وحرمة نفسه لا لأجل عمل صالح؛ فالأعمال بالنيات، وهذا الحديث الشريف إنما قاله النبي ﷺ بسبب الهجرة فقال: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يُصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**» قال ذلك بسبب أن رجلاً كان قد هاجر ليتزوج امرأة يُقال لها: أم قيس، وكان يُقال: مهاجر أم قيس، وإذا فضلت

جملة على جملة لم يستلزم ذلك تفضيل الأفراد على الأفراد كتفضيل القرن الثاني على الثالث، وتفضيل العرب على من سواهم، وتفضيل قريش على من سواهم، فهذا وهذا، والله أعلم» اهـ.

فالواجب على الإنسان أن يعيش طاعة الوقت، فمن داهم العدو بلدهم كأهل أفغانستان تعيَّن عليهم الجهاد، ولا يحل لهم ترك بلدهم للاعتكاف بالمسجد الحرام، ومن سمع النداء وجب عليه أن يحرص على صلاة الجماعة في المسجد - هذا بالنسبة للرجال - حتّى وإن كان يقرأ القرآن، وقس على ذلك، فلكل مقام مقال.

التحذير من اتخاذ القبور مساجد

وهذا التحذير يشمل حرمة بناء المسجد على قبر وحرمة الصلاة إلى قبر، وحرمة الصلاة على قبر، وقد ذهب العلماء إلى ذلك؛ استناداً لنصوص كثيرة، منها ما ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» قالت: «فلولا ذاك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يُتخذ مسجداً» [متفق عليه]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قاتل الله اليهود اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» وعن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ لما حضرته الوفاة جعل يلقي على وجهه طرف خميصة له، فإذا اغتمَّ كشفها عن وجهه وهو يقول: «**لعنة الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» تقول عائشة: «يحذر مثل الذي صنعوا» [متفق عليه].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما كان مرض النبي ﷺ تذاكر بعض نسائه كنيسة بأرض الحبشة يُقال لها: مارية، وقد كانت أم سلمة وأم حبيبة قد أتتا أرض الحبشة فذكرن من حسنها وتصاويرها قالت: فرفع النبي ﷺ رأسه، فقال: «**أولئك شرار الخلق عند الله**» [متفق عليه]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللهم لا تجعل قبري وثناً، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» [رواه أحمد وغيره بسند صحيح]، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء، ومن يتخذ القبور مساجد**» [قال ابن تيمية: إسناده جيد وصححه الألباني].

وقد عظمت الفتنة والبلية بالمقبورين في المساجد حيث صرفت لهم العبادة من دون الله فترى من يستغيث بأبي العباس، ويذبح للسيد البدوي، ويلتمس المدد من الحسين رضي الله عنه، ويدعو السيدة زينب، وينذر لإبراهيم الدسوقي،

فأصبحت المقابر داخل المسجد ذريعة لكل شرك وكفر؛ قال تعالى: ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن: ١٨] فلا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر، والمفاسد إنما تحدث عند القبور المزورة لا المندرسة، ولو كانت حقيقية، وقبر الحسين رضي الله عنه هو من جملة القبور المزوّرة البارزة، ومعلوم بالاتفاق أنه لم يدفن هنا في مصر، وبالرغم من هذا، فكل مظاهر الشرك تحدث في المسجد المنشئ على هذا القبر الوهمي.

وقد قال البخاري «باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور»: ولا يخفى على أحد أن الكراهة هنا للتحريم لورود اللعن ووصف المخالفين بأنهم شرار الخلق. ولذلك فالمذاهب الأربعة على حرمة اتخاذ المساجد على القبور.

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية الاتفاق على التحريم وقال: «لا يصلى في مثل هذا المسجد فرضًا ولا نفلاً»، بل مثل هذا المسجد أضر من مسجد الضرار.

وفي كتاب تحذير الساجد قال الحافظ العراقي: «فلو بنى مسجداً يقصد أن يدفن في بعضه دخل في اللعنة، بل يحرم الدفن في المسجد، وإن شرط أن يدفن فيه لم يصح الشرط لمخالفة وقفه مسجداً».

وقد سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية: هل تصح الصلاة في المسجد إذا كان فيه قبر، والناس تجتمع فيه لصلاتي الجماعة والجمعة أم لا؟ وهل يمهد القبر أو يعمل عليه حاجزاً أو حائطًا؟

فأجاب: الحمد لله، اتفق الأئمة أنه لا يبنى مسجد على قبر؛ لأن النبي ﷺ قال: «**إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد؛ ألا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك**»، وأنه لا يجوز دفن ميت في مسجد؛ فإن كان المسجد قبل الدفن غُير إما بتسوية القبر، وإما بنبشه إن كان جديداً، وإن كان المسجد بنيَ بعد القبر فإما أن يزال المسجد وإما تزال صورة القبر؛ فالمسجد الذي على القبر لا يُصلي فيه فرض ولا نفل؛ فإنه منهي عنه» اهـ.

وقد كان عثمان بن عفان رضي الله عنه يأمر بتسوية القبور، وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : لأبي الهياج الأسدي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ : «**ألاَّ تدع قبراً مُشرفًا إلاَّ سويته، ولا صورة إلاَّ طمستها**».

وقد وصَّى أبو موسى الأشعري عند موته، فقال: ولا تجعلوا على قبري بناءً. ولما رأى ابن عمر فسطاطًا على قبر عبد الرحمن قال: «انزعه يا غلام؛ فإنما يظله عمله»، وكان سعيد ابن المسيب يقول: «إذا أنا متُّ فلا تضربوا على قبري فسطاطًا».

وقد تذرَّع القبوريون بعض الشبهات الضعيفة التي لا تقوم بها حجة في مواجهة هذه النصوص الصريحة وهذه الأقوال الواضحة، فمن جملة شبهاتهم الاستدلال بقوله تعالى: ﴿**قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا** (٢١)﴾ [الكهف: ٢١] والذين قالوا هذا القول إما أن يكونوا من أهل القهر والغلبة أو هم من المسلمين والصحيح المتقرر من أقوال العلماء أن شريعة من قبلنا ليست شريعة لنا وقول المسلم إذا صادم به كتابًا أو سُنَّة علم أم جهل لا يعمل به، ولا يعول عليه، إذْ مَرَدّ الحكم لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ ﴿**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾ [النساء: ٥٩].

وكل إنسان يُؤخذ من قوله ويُترك إلاَّ رسول الله ﷺ، وقد حكى القرآن كثيراً من أقوال أهل الكفر مُبطلاً لها كقول فرعون وقارون، وشبيه بهذا قولهم بأن أبا جندل بنى مسجداً على قبر أبي بصير، وهذا القول ليس له إسناد تقوم به الحجة، ولم يقره النبي ﷺ على ذلك إن ثبت، ولو علم لكان ذلك قبل التحريم، وقالوا أيضًا: قُبر في مسجد الخيف سبعون نبيًا، بل حتَّى لو صح الأمر فالقبور ليست ظاهرة بل مندرسة، وبالتالي فلا محظور، وقالوا: بأن إسماعيل دُفن في الحجر، وهذا لم يرد في كتب السنة، ثم أين قبره عليه السلام، ومعلوم أن الأرض مقبرة الأحياء، قال تعالى: ﴿**أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (٢٦)**﴾ [المرسلات: ٢٥، ٢٦].

قال الشعبي: بطنها لأمواتكم، وظهرها لأحيائكم.

أيضًا كثيرًا ما يحتجون بأن قبر النبي ﷺ داخل المسجد، ومعلوم أن النبي ﷺ مات في حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها، وكانت الحجرة ملتحقة بالمسجد، وسواء أدخلوا الحجرة برمتها داخل المسجد كما نقل الشيخ الألباني، واحتاطوا ببناء جدار من وراء جدار، أو مازالت الحجرة خارج المسجد بحيث لا يستطيع أحد استقبال القبر، فعلى كلا القولين يُصلى في مسجد النبي ﷺ، بلا حرج؛ لأنه ليس كبقية المساجد والصلاة فيه بألف صلاة فيما سواه، وهذه خصوصية للمسجد النبوي الشريف، والقاعدة تقول: «ما مُنِعَ سد للذريعة أُبِيحَ للمصلحة الراجحة»، وبالتالي فلا يُقاس المسجد النبوي على غيره من المساجد كمسجد أبي العباس المرسي أو السيد البدوي، فليس لهما مثل هذه الخصوصية فضلاً عن أن تكون الحجرة خارج المسجد كما تقول لجنة الفتوى بالسعودية.

وأحيانًا نجد البعض يقول: لو كان بناء المساجد على القبور حرامًا، فلماذا يجيز ذلك من ينتسب للعلم الشرعي؟ والإجابة على ذلك يسيرة بإذن الله تعالى، فلا يلتفت لقول من صادم الكتاب والسنة، واتفاق من قبله من علماء الأمة، وقد كان الواجب عليه قبل أن يتكلم أو يُفتي أن يتعلم مواطن الاتفاق والاختلاف بين علماء الأمة، ثم الواجب علينا أن نحذر علماء السوء الذين هم أشرّ من قُطّاع الطريق.

فتوى مهمة في كتاب مختصر الفتاوى المصرية
الدفن في المسجد غير جائز

والمفتي هو فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم سنة (١٣٥٩هـ) الموافق سنة (١٩٤٠م) وكان قد سُئل لبيان الحكم الشرعي فيما طلبه رئيس خدم مسجد عز الدين أيبك من دفنه في أحد القبرين اللذين بهذا المسجد.

فأجاب: «ونفيد: أنه قد أفتى شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه لا يجوز أن يُدفن في المسجد ميت، لا صغير ولا كبير ولا جليل ولا غيره؛ فإن المساجد لا يجوز تشبيهها بالمقابر.

وقال في فتوى أخرى: إنه لا يجوز دفن ميت في مسجد فإن كان المسجد قبل الدفن غُيّر إما بتسوية القبر وإما بنبشه إن كان جديداً .إلخ. وذلك لأن في الدفن في المسجد إخراجًا لجزء من المسجد عمَّا جعل له من صلاة المكتوبات وتوابعها من النفل والذكر وتدريس العلم، وذلك غير جائز شرعًا؛ ولأن اتخاذ قبر في المسجد على هذا الوجه الوارد في السؤال يُؤدي إلى الصلاة إلى هذا القبر أو عنده.

وقد وردت أحاديث كثيرة دالة على حظر ذلك. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص١٥٨) ما نصه: «إن النصوص عن النبي ﷺ تواترت بالنهي عن الصلاة عند القبور مُطلقًا واتخاذها مساجد أو بناء المساجد عليها» اهـ.

ومن الأحاديث ما رواه مسلم عن أبي مرثد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تجلسوا على القبور ولا تُصلّوا إليها**»

وقال ابن القيم: «نص الإمام أحمد وغيره على أنه: إذا دفن الميت في المسجد نبش، وقال – أي ابن تيمية –: لا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر، بل

أيهما طرأ على الآخر منع منه، وكان الحكم للسابق» إلى آخر ما قاله في كتابه «زاد المعاد».

وقال الإمام النووي في «شرح المهذب» (ص٣١٦) ما نصه : «اتفقت نصوص الشافعي والأصحاب على كراهة بناء مسجد على القبر، سواء كان الميت مشهوراً بالصلاح أو غيره، قال الحافظ أبو موسى: قال الإمام الزعفراني – رحمه الله –: ولا يصلى إلى قبر ولا عنده تبركًا به ولا إعظامًا له للأحاديث» اهـ.

وتشتد الحرمة كلما كان القبر معظمًا وفي مقدمة المصلين، ومن صلى جاهلاً وجود القبر، فلا إعادة عليه، وفي مغازي ابن إسحاق من زيادات يونس بن بكير عن أبي خلدة: خالد بن دينار حدثنا أبو العالية قال: لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصحف، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر؛ فدعا له كعبًا فنسخه بالعربية؛ فأنا أول رجل قرأه من العرب قرأته مثل ما أقرأ القرآن؛ فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟ قال: سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم، وما هو كائن بعد، قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا له بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة، فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس لا ينبشونه قلت: وما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون، فقلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجل يُقال له دانيال، فقلت: منذ كم وجدتموه مات؟ قال: منذ ثلاثمائة سنة، قلت: ما كان تغير منه شيء؟ قال: لا، إلاَّ شعيرات من قفاه، إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض.

قال ابن القيم : ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار من تعمية قبره لئلاَّ يفتتن به، ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به، ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف ولعبدوه من دون الله.

وقال شيخ الإسلام : وهو إنكار منهم لذلك، فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها، ولم يستحب الشارع قصدها فهو من المنكرات، وبعضه أشد من بعض، سواء قصدها ليُصلي عندها أو ليدعو عندها أو ليقرأ عندها أو ليذكر الله عندها أو ليسكن عندها بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيصها به لا نوعًا ولا عينًا. اهـ.

وذكرهم بأيام الله

قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ** ﴿٥﴾ ﴾ [إبراهيم: ٥] أي قل لهم قولاً يتذكرون به أيام الله تعالى، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: بنعم الله عليهم، وقاله أُبي بن كعب ورواه مرفوعًا أي بما أنعم الله عليهم من النجاة من فرعون، ومن التيه إلى سائر النعم، وقد تسمّى النعم بالأيام، وعن ابن عباس أيضًا ومقاتل: بوقائع الله في الأمم السابقة، وقال ابن زيد: يعني الأيام التي انتقم فيها من الأمم الخالية، وقال الطبري: وعظم بما سلف في الأيام الماضية لهم أي بما كان في أيام الله من النعمة والمحنة، وقد كانوا عبيدًا مستذلين، واكتفى بذكر الأيام عنه؛ لأنها كانت معلومة عندهم، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أُبي بن كعب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بينا موسى عليه السلام في قومه يُذكرهم بأيام الله، وأيام الله بلاؤه ونعماؤه**» وذكر حديث الخضر.. ودلَّ هذا على جواز الوعظ المرقق للقلوب المقوي لليقين الخالي من كل بدعة والمنزه عن كل ضلالة وشبهة.

ومن الأيام المشهورة يوم الجمعة وهو يوم عيد لهذه الأمة، قال رسول الله ﷺ: «**نحن الآخرون الأولون، بَيْد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه؛ فهدانا الله له؛ فاليهود غدًا والنصارى بعد غد**» [رواه البخاري]، وفي هذا اليوم خلق آدم، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة إجابة يتحراها المسلم بالدعاء والعمل الصلاح.

ومن الأيام الفاضلة يوم عرفة وعشر ذي الحجة ويوم عاشوراء؛ فعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صوم يوم عرفة يُكفر سنتين ماضية ومُستقبلة وصوم يوم عاشوراء يُكفر سنة ماضية**» [رواه الجماعة إلاَّ البخاري والترمذي]،

وعن حفصة قالت: «أربع لم يكن يدعهن رسول الله ﷺ: صيام عاشوراء، والعشر (أي من ذي الحجة) وثلاثة أيام من كل شهر، والركعتين قبل الغداة» [رواه أحمد والنسائي].

وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا - أهل الإسلام - وهي أيام أكل وشرب**» [رواه الخمسة إلاَّ ابن ماجه وصححه الترمذي]، وقد نهى النبي ﷺ عن صوم يوم عرفة لمن وقف بعرفات، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم عاشوراء فقال: «**ما هذا؟**» قالوا: يوم صالح نجَّى اللهُ فيه موسى وبني إسرائيل من عدوهم؛ فصامه موسى. فقال ﷺ: «**أنا أحق بموسى منكم**» فصامه وأمر بصيامه [متفق عليه].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان يوم عاشوراء تعظمه اليهود وتتخذه عيداً، فقال رسول الله ﷺ: «**صوموا أنتم**» [متفق عليه]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لمَّا صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا: يا رسول الله، إنه يوم تُعظمه اليهود والنصارى، فقال: «**إذا كان العام المقبل - إن شاء الله- صُمنا اليوم التاسع**» قال: فلم يأتِ العام المقبل حتَّى توفي رسول الله ﷺ. [رواه مسلم وأبو داود].

وأفضل الليالي ليلة القدر؛ لقوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾**﴾ [القدر: ١ - ٣] أي العمل فيها من الصلاة والتلاوة والذكر خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وهي تنتقل في ليالي الوتر من العشر الأواخر، وأرجى الوتر ليلة السابع والعشرين من رمضان؛ روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غُفر له ما تقدم من ذنبه**»، وروى أحمد وابن ماجه والترمذي - وصححه - عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول

الله، أرأيت إن علمت أيُّ ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: «**قولي اللهم إنك عفو تُحب العفو فاعفُ عني**».

والأعياد من أعظم شعائر الدين وعيد الأضحى هو أشرف العيدين؛ فعن أنس رضي الله عنه قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال ما هذان اليومان؟ قالوا: كنَّا نلعب فيهما في الجاهلية فقال ﷺ: «**أبدلكم الله بهما خيراً منهما يوم الأضحى ويوم الفطر**» [رواه أبو داود وهو صحيح].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يغدو إلى المصلى في يوم عيد» [رواه البخاري ومسلم] ويندب إحياء ليلتي العيدين بالذكر والتكبير والدعاء والاستغفار والعطاء للبائسين، قال تعالى: ﴿**وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال سبحانه: ﴿**وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ**﴾ [البقرة: ٢٠٣]، قال البخاري: قال ابن عباس: هي أيام التشريق، وهي: اليوم الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر من ذي الحجة، وروى عقبة بن عامر عن النبي ﷺ أنه قال: «**يوم عرفة ويوم النحر وأيام منى: عيدنا أهل الإسلام وهي أيام أكل وشرب**» [رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح] وقال ﷺ: «**يا أبا بكر إنَّ لكل قوم عيداً وهذا عيدنا**»، وفي الصحيحين أيضًا أنه قال: «**دعهما يا أبا بكر؛ فإنهما أيام عيد وتلك الأيام أيام منى**»

مخالفة أصحاب الجحيم في أعيادهم:

فموافقة أهل الكتاب في أعيادهم لا تجوز؛ لأن هذا ليس من ديننا ولا عادة سلفنا، وفي موافقتهم مفسدة أي مفسدة، وقد قال رسول الله ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**» وفي تفسير قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا** ﴿٧٢﴾﴾ [الفرقان: ٧٢]، قال ابن سيرين: هو الشعانين، وقال مجاهد: هو أعياد المشركين، وكذلك عن الضحاك، وقال عمر: «إياكم ورطانة

الأعاجم، وأن تدخلوا على المشركين يوم عيدهم في كنائسهم»، وأعياد المشركين جمعت الشبهة والشهوة والباطل، ولا منفعة فيها في الدين، وما فيها من اللذة العاجلة فعاقبتها إلى ألم؛ فصارت زوراً وحضورها شهودها.

والعيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائد، إما بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر أو نحو ذلك، وفي شروط عمر رضي الله عنه التي اتفق عليها الصحابة وسائر الفقهاء بعدهم: أن أهل الذمة من أهل الكتاب لا يظهرون أعيادهم في دار الإسلام، وسموا الشعانين والباعوث، فإذا كان المسلمون قد اتفقوا على منعهم من إظهارها، فكيف يسوغ للمسلمين فعلها؟ أوَليس فعل المسلم لها أشد من فعل الكافر لها مظهراً؟، وعن عبد الله بن عمرو، قال: «من بنى ببلاد الأعاجم، وصنع نيروزهم ومهرجانهم، وتشبَّه بهم حتَّى يموت وهو كذلك حُشر معهم يوم القيامة».

وقد كره علي رضي الله عنه موافقتهم في اسم يوم العيد الذي ينفردون به فكيف بموافقتهم في العمل؟ وما يفعلونه في أعيادهم معصية لله؛ لأنه إما محدث وإما منسوخ، وأحسن أحواله - ولا حسن فيه - أن يكون بمنزلة صلاة المسلم إلى بيت المقدس ومعلوم أن استقبال الكعبة ركن من أركان الصلاة ... نعم هؤلاء اليهود والنصارى يُقرون على دينهم المبتدع والمنسوخ بشرط أن يكونوا مستسرين به والمسلم لا يقر على دين مبتدع ولا منسوخ لا سراً ولا علانية، وأما مشابهة الكفار فكمشابهة أهل البدع وأشد.

ومشابهتهم في بعض أعيادهم كعيد الميلاد توجب سرور قلوبهم بما هم عليه في أعيادهم، فلا يصح إجابة الدعوة لأعياد الكفار ولا تقبل هداياهم، بل لا يبيعهم المسلم ما يستعينون به على عيدهم، ولا يجوز معاونتهم في أعيادهم، فلا ينخدع كثير من المسلمين بحيل الكفار، فتراهم في عيد الميلاد وشم النسيم ونحوها يظهرون الفرحة والسرور، ويخرجون إلى المتنزهات ويُعلقون الأنوار

والزينات ويملأون المحال التجارية والفنادق بشجرة عيد الميلاد وبابا نويل، وكل هذا تشبه بأهل الكتاب، ثم هم يستنكفون عن لبس الجديد وإظهار الفرحة والبهجة بحجة كبر السن، وهكذا كما قال العلماء ما دخلت بدعة إلاَّ خرجت في المقابل سُنَّة، والمشتكى إلى الله من غربة الإسلام وسط بنيه، ولكنها غمة توشك أن تزول بإذن الله .

بدعة عيد مولد النبي ﷺ :

والبدع لم تقف بالناس عند حد؛ فقد اخترع الناس مواسم وأعياداً مثل عيد الأم وعيد الربيع وعيد الطفل ... وبدعة عيد خم والاحتفال بليلة النصف من شعبان، وبأول خميس من رجب، والاحتفال بليلة الإسراء والمعراج، وكل هذه بدع، وكلها أيضًا ضلالات؛ لأن الأعياد أمور توقيفية تُؤخذ دون زيادة ودون نقصان ويرجع في معرفتها لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ لا لاختراعات البشر، قال تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [المائدة: ٣] .

ومن هذه البدع ما يحدثه الناس إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام، وإما محبة للنبي ﷺ وتعظيماً له، والمحبة الحقيقية هي التي توجب الاتباع لسنته ﷺ ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال تعالى: ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)** ﴾ [النساء: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١)** ﴾ [النور: ٥١].

واتخاذ مولد النبي ﷺ عيداً مع اختلاف الناس في مولده أمر لم يفعله السلف مع قيام المقتضى له وعدم المانع منه ولو كان هذا خيراً محضًا أو راجحًا لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منَّا؛ فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيمًا

له منًّا، وهم على الخير أحرص، وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته، واتباع أمره وإحياء سنته باطنًا وظاهرًا، ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان؛ فإن هذه هي طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان .

وهؤلاء الذين يحرصون على أمثال هذه البدع فتورهم واضح تجاه كثير من السُّنن، وهم بمنزلة من يحمل المصحف ولا يقرأ فيه ولا يتبعه؛ فاحرص رحمك الله على التمسك بالسُّنَّة ظاهرًا وباطنًا في خاصتك وخاصة من يطيعك، واعرف المعروف وأنكر المنكر، وادعو الناس إلى الاستمساك بسُنَّة النبي ﷺ فهو سبيل النجاة . [راجع كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية] .

كيف نجهل شهر ذي القعدة وذي الحجة ونعرف مارس وإبريل؟

يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ**﴾ [التوبة: ٣٦]، فبيَّن سبحانه أنه وضع هذه الشهور وسماها بأسمائها على ما رتَّبها عليه يوم خلق السماوات والأرض، وأنزل ذلك على أنبيائه في كتبه المُنزَّلة وحكمها باقٍ على ما كانت عليه لم يزلها عن ترتيبها تغيير المشركين لأسمائها، والمقصود من ذلك اتباع أمر الله فيها، ورفض ما كان عليه أهل الجاهلية من تأخير أسماء الشهور وتقديمها، وتعلق الأحكام على الأسماء التي رتبوها عليه، ولذلك قال ﷺ في خطبته في حجة الوداع: «**أيها الناس إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السماوات والأرض**».

وأن الذي فعل أهل الجاهلية من جعل المحرم صفرًا، وصفر مُحرمًا ليس يتغير به ما وصفه الله تعالى، والأشهر الحرم الأربعة المذكورة في هذه الآية: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب الذي بين جمادى الآخرة وشعبان، وهو رجب مضر، وقيل له : رجب مضر؛ لأن ربيعة بن نزار كانوا يحرمون شهر رمضان، ويسمونه رجبًا، وكانت مضر تحرم رجبًا نفسه.

وروى البخاري عن أبي رجاء العطاردي قال : كنَّا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجرًا هو خير منه ألقيناه وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجرًا جمعنا حثوة من تراب، ثم جئنا بالشاه فحلبنا عليه ثم طفنا به، فإذا دخل شهر رجب، قلنا: منصل الأسنة، فلم ندع رمحًا فيه حديدة ولا سهمًا فيه حديدة إلاَّ نزعناها فألقيناه.

﴿ **فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ** ﴾ أي بارتكاب الذنوب؛ لأن الله سبحانه إذا عظَّم شيئًا من جهة واحدة، صارت حرمته متعددة، ومن أطاع الله في الشهر الحرام في البلد الحرام، ليس ثوابه ثواب من أطاعه في الشهر الحلال في البلد الحرام، وقد خصَّ الله تعالى الأربعة الأشهر الحرم بالذكر ونهى عن الظلم فيها تشريفًا لها، وإن كان منهيًا عنه في كل الزمان، كما قال: ﴿ **فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ** ﴾ فالطاعة في هذه الأشهر ليست كالطاعة في بقية العام، وكذلك المعصية في هذه الأشهر ليست كالمعصية في غيرها من الأشهر.

قال القرطبي : « هذه الآية تدل على أن الواجب تعليق الأحكام من العبادات وغيرها، إنما يكون بالشهور والسنين التي تعرفها العرب دون الشهور التي تعتبرها العجم والروم والقبط، وإن لم تزد على اثنى عشر شهرًا؛ لأنها مختلفة الأعداد منها ما يزيد على ثلاثين، ومنها ما ينقص، وشهور العرب لا تزيد على ثلاثين، وإن كان منها ما ينقص، والذي ينقص ليس يتعين له شهر، وإنما تفاوتها في النقصان والتمام على حسب اختلاف سير القمر في البروج » . اهـ.

فكيف يتعبد الإنسان لربه إذا جهل الأشهر العربية، وما ارتبط بها من أحكام؟ يقول تعالى: ﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ** ﴾ [البقرة: ١٩٧] وهي شهر شوال وذي القعدة وذي الحجة، وقال سبحانه: ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال جلَّ شأنه:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٨٩]، وقال: ﴿ وَالْفَجْرِ ① وَلَيَالٍ عَشْرٍ ② وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ③ ﴾ [الفجر: ١-٣].

وسواء كانت العشر هي عشر ذي الحجة أو عشر رمضان الأخيرة أو غير ذلك، فكل هذا يتعلق بالأشهر العربية، وهي أيام مباركات، أقسم بها رب العزة جلَّ وعلا.

وقال: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقال: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وقال: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [البقرة: ٢٣٤]، ويقول النبي ﷺ: «**من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال، فكأنما صام الدهر**» [رواه الجماعة إلاَّ البخاري والنسائي]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله ﷺ: أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة؟ قال: «**الصلاة في جوف الليل**» قيل: ثم أي الصيام أفضل بعد رمضان؟ قال: «**شهر الله الذي تدعونه المحرم**» [رواه أحمد ومسلم].

وقالت عائشة رضي الله عنها: «ما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلاَّ شهر رمضان، وما رأيته في شهر أكثر منه صياماً في شعبان» [رواه البخاري ومسلم]، وعن أسامة بن زيد قال: قلت: يا رسول الله، لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال: «**ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يُرفع عملي وأنا صائم**» [رواه أبو داود وصححه ابن خزيمة] وعن رجل من باهلة: أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أنا الرجل الذي جئتك عام الأول، فقال: «**فما غيَّرك، وقد كنت حسن الهيئة؟**» قال: ما أكلت طعاماً إلاَّ بليل منذ فارقتك، فقال رسول الله ﷺ: «**لمَ عذبت نفسك؟**» ثم قال: «**صم شهر الصبر ويوما من كل شهر**» قال: زدني؛ فإن بي قوة. قال: «**صم يومين**» قال: زدني، قال:

«**صم من الحرم واترك صم من الحرم واترك صم من الحرم واترك**» وقال بأصابعه الثلاثة فضمها ثم أرسلها، [رواه أحمد وأبو داود والبيهقي، بسند جيد].

وقال عمر رضي الله عنه: «إن رسول الله ﷺ نهى عن صيام هذين اليومين، أما يوم الفطر ففطركم من صومكم، وأما يوم الأضحى فكلوا من نسككم» [رواه أحمد والأربعة]، وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن حذافة يطوف في منى «**أن لا تصوموا هذه الأيام؛ فإنها أيام أكل وشرب وذكرٌ لله عز وجل**» [رواه أحمد بإسناد جيد]، وقال عمَّار بن ياسر رضي الله عنه: «من صام اليوم الذي شك فيه فقد عصى أبا القاسم ﷺ» [رواه أصحاب السنن].

وهذا الذي ذكرناه وغيره كثير يدل دلالة واضحة على أهمية التعرف على الأشهر العربية، ومعرفة الأحكام التي ارتبطت بها، فمن العيب الكبير أن نستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، فنتعرف على يناير وفبراير، وأن هذا الشهر فيه كذبة أبريل، وهذا يشتمل على شم النسيم أو عيد الميلاد، أو غير ذلك من الأمور التي لا تضر ولا تنفع، والعلم بها غالبًا هو من جملة العلم الذي لا ينفع، وعلينا أن نَعود بأنفسنا وأبناءنا وإخواننا مرة ثانية للتعرف على الأشهر العربية وإشاعتها وسط الناس، ودعوة الناس جميعًا لتقديم ما قدم الله ورسوله، وتأخير ما أخره الكتاب والسُّنَّة.

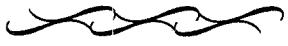

آدم أول من تكلم باللغات كلها

قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) ﴾ [البقرة: ٣١]، قال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد وابن جبير: علَّمه أسماء جميع الأشياء كلها جليلها وحقيرها، ولما ذكروا اسم الآنية، واسم السوط عند ابن عباس قال: وعلم آدم الأسماء كلها.

وفي البخاري من حديث أنس عن النبي ﷺ قال: «**ويجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته وعلَّمك أسماء كل شيء..**».

قال ابن منداد: في هذه الآية دليل على أن اللغة مأخوذة توقيفاً، وأن الله تعالى علمها آدم عليه السلام جملة وتفصيلاً، كذلك قال ابن عباس: علمه أسماء كل شيء حتَّى الجفنة والمحلب، وعن قتادة قال: علم آدم من الآسماء أسماء خلقه ما لم يعلم الملائكة، وسمى كل شيء بإسمه، وأنحى منفعة كل شيء إلى جنسه.

قال النحاس: وهذا أحسن ما رويَ في هذا، والمعنى علمه أسماء الأجناس، وعرفه منافعها هذا كذا وهو يصلح لكذا.

وقال الطبري: علمه أسماء الملائكة وذريته، واختار هذا ورجحه بقوله: ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائِكَةِ ﴾، وقال ابن زيد: علمه أسماء ذريته كلهم، وقيل: أسماء الأجناس والأنواع. والقول الأول أصح.

ورويَ عن كعب الأحبار أن أول من وضع الكتاب العربي والسرياني، والكتب كلها، وتكلم بالألسنة كلها آدم عليه السلام، وقاله غير كعب الأحبار، فإن قيل قد رويَ عن كعب الأحبار من وجه حسن، قال: أول من تكلم بالعربية جبريل عليه السلام وهو الذي ألقاها على لسان نوح عليه السلام، وألقاها نوح على لسان ابنه سام، ورويَ عن النبي ﷺ أنه قال: «**أول من فتق لسانه بالعربية المبينة**

إسماعيل وهو ابن عشر سنين»، وقد رويَ أيضًا: أن أول من تكلم بالعربية يعرب بن قحطان، وقد رويَ غير ذلك.

قال القرطبي في تفسيره: «الصحيح أن أول من تكلم باللغات كلها من البشر آدم عليه السلام، والقرآن يشهد له، قال الله تعالى: ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا** ﴾، واللغات كلها أسماء؛ فهي داخلة تحته، وبهذا جاءت السنَّة قال ﷺ: «**وعلَّم آدم الأسماء كلها حتَّى القصعة والقصيعة**».

وما ذكروه يحتمل أن يكون المراد به أول من تكلم بالعربية من ولد إبراهيم عليه السلام إسماعيل عليه السلام، وكذلك إن صحَّ ما سواه فإنه يكون محمولاً على أن المذكور أول من تكلم من قبيلته بالعربية بدليل ما ذكرنا والله أعلم، وكذلك جبريل أول من تكلم بها من الملائكة، وألقاها على لسان نوح عليه السلام بعد أن علمها الله آدم أو جبريل على ما تقدم، والله أعلم» اهـ.

وقد جعل سبحانه اختلاف الألسنة آية من آياته فقال سبحانه: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ** ﴾ [الروم ٢٢] فاختلاف اللغات تبعًا لاختلاف الألسنة من عربية وعجمية وتركية ورومية واختلاف الألوان في الصور: من البياض والسواد والحمرة، فلا تكاد ترى أحدًا إلاَّ وأنت تُفرق بينه وبين الآخر، وليست هذه الأشياء من فعل النطفة، ولا من فعل الأبوين، فلابد من فاعل؛ فاعلم أن الفاعل هو الله تعالى؛ فهذا من أدل الدلائل على المدبر البارئ ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ** ﴾ أي للبر والفاجر، والناس كلهم لآدم، وآدم من تراب، ولا فضل لعربي على أعجمي إلاَّ بالتقوى.

العامية دعوة تغريبية
ومعرفة العربية فرض واجب

وذلك لأن فهم الكتاب فرض، ولا يتم إلاَّ بفهم العربية، وما لا يتم الواجب إلاَّ به فهو واجب، وقد كتب عمر لأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما : أما بعد فتفقهوا في السُّنَّة وتفقهوا في العربية، وأعربوا القرآن؛ فإنه عربي. ويقول: تعلموا العربية؛ فإنها من دينكم، وتعلموا الفرائض؛ فإنها من دينكم.

وقد عوّد المسلمون أهل مصر وغيرها العربية، وكانت لغة أهلها رومية، ولما هُجرت العربية بخراسان غلبت عليها الفارسية، وهذا مكروه وينبغي تلقين اللغة العربية للصغار؛ حتَّى يظهر شعار الإسلام وأهله، ويكون أسهل على أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب والسُّنَّة، وقد كره الإمام أحمد أشد الكراهة تسمية الشهور بالفارسية، وبأسماء لا تُعرف؛ خشية كونه محرمًا فلا ينطق المسلم بما لا يعرف معناه، وكراهة أن يتعود الرجل النطق بغير العربية؛ فاللسان العربي شعار الإسلام وأهله، وقد كره الفقهاء الأدعية التي في الصلاة والذكر بغير العربية.

أما الخطاب بالفارسية ونحوها من اللغات من غير حاجة في أسماء الناس والشهور كالتواريخ ونحو ذلك فهو منهي عنه مع الجهل بالمعنى بلا ريب، وأما مع العلم به فكلام أحمد بيّن في كراهته أيضًا؛ فإنه كره أذرماه ومعناه ليس محرمًا، وكره الدعاء في الصلاة بالفارسية، وقال: لسان سوء، واستدل بنهي عمر رضي الله عنه عن الرطانة مطلقًا، ومنع الشافعي من التكلم بغير العربية؛ فينبغي لكل أحد يقدر على تعلم العربية أن يتعلمها؛ لأنها اللسان الأَوْلَى بأن يكون مرغوبًا فيه من غير أن يحرم على أحد أن ينطق بالعجمية، ومعلوم أن الواجبات تسقط بالعذر والعجز وعدم الاستطاعة، ولكن لابد من بذل الوسع في الأخذ بالأسباب.

وقد كره العلماء أن يتكلم الرجل بالعربية خالطًا لها بالعجمية ، قال عمر

رضي الله عنه : «ما تعلم الرجل الفارسية إلاَّ خبَّ، ولا خبَّ رجل إلاَّ نقصت مروءته» ولما سمع محمد بن سعد بن أبي وقاص قومًا يتكلمون بالفارسية قال: ما بال الفارسية بعد الحنيفية. وقال رسول الله ﷺ: «**من يُحسن أن يتكلم بالعربية، فلا يتكلم بالعجمية؛ فإنه يورث النفاق**».

ونُقل عن طائفة منهم أنهم كانوا يتكلمون بالكلمة بعد الكلمة من العجمية، ولعل لكون المخاطب بها أعجميًا أو قد اعتاد العجمية يُريدون بذلك تقريب الأفهام عليه، كقول النبي ﷺ لأم خالد وكانت صغيرة وولدت بأرض الحبشة فكساها قميصًا وقال: «**يا أم خالد، هذا سنا**» والسنا بلغة الحبشة الحسن، وقال أبو هريرة رضي الله عنه لمن أوجعه بطنه: أشكم بدرد.

أما بالنسبة لمخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم ولغتهم فليس بمكروه إذا احتيج إلى ذلك، وكانت المعاني صحيحة، كمخاطبة العجم من الروم بلغتهم وترجمتها إلى العربية أمر لا بأس به كما أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت رضي الله عنه أن يتعلم كتاب اليهود؛ ليقرأ له ذلك، حيث لم يأتمن اليهود عليه.

وقد كثرت اللهجات في اللغة الواحدة، حتَّى حالت دون سهولة الاتصال، فترى المصري لا يفهم لهجة المغربي أو الجزائري مثلاً، ولو تكلم الجميع باللغة العربية لغة القرآن لسهُل التفاهم وتحققت منافع كثيرة وتأكدت الروابط بين أبناء الأمة؛ فاللغات من أعظم شعائر الأمم؛ ولذلك فإحلال العامية محل اللغة العربية ما هي إلاَّ مُحاولات لقطع الصلات بين العالم الإسلامي، ومقاومة لغة القرآن؛ لإبعاد المسلمين عن دينهم، وهذه المخططات تخرج بعناوين برَّاقة، مثل قول البعض: نحن نملك اللغة كما كان القدماء يملكونها، ولنا أن نُضيف إليها ما نحتاج إليه من ألفاظ لم تكن مستعملة من قبل، والدعوة لإسقاط القافية ونظرية الحداثة... ويُساعد في الترويج لهذه الدعوة أُدباء وكتّاب وشعراء مستخدمين في ذلك كل وسائل التوجيه من جرائد ومجلات وإذاعة ومدارس أجنبية ولغات.

ونحن نعيش هذه الصحوة المباركة لابد من حماية اللغة من اقتحام ألفاظ اللغات الأجنبية، والحذر من خطر الدعوة إلى إسقاط حركات الإعراب؛ وذلك لأن اعتياد اللغة يُؤثر في العقل والدين والأخلاق.

ومن عجيب الأمر أن ينتبه الغرب والشرق لأهمية اللغة ونُفرط نحن في لغتنا بهذه البساطة؛ ففي فرنسا يقولون: إن اللغة هي الجنسية، وفي ألمانيا اللغة مادة المواد والمادة العليا، وفي أفريقيا حيث التبشير يوجه للغة أكبر قدر من الحرب من أجل معارضة نمو الإسلام، وقد كانت له السيادة في أفريقيا قبل إحلال اللغة العربية باللغات الأجنبية واللهجات الأفريقية، وفي حرب الجزائر التي استمرت مئة عام تم فيها القضاء على اللغة وتحويل اللسان الجزائري إلى لسان فرنسي، ومراكز تعليم اللغة العربية في جامعات فرنسا وبريطانيا وبرلين تُنفر أبناء المسلمين غير العرب من تعلم العربية، وتردد قول المستشرقين بأنها لا تصلح للحياة إلاَّ لمجتمع بدوي، وأنها لا تساير الحياة الحضارية، فهل يليق بنا بعد ذلك أن نتشرب هذا السم وهذه المؤامرات فنستبدل الأسماء العربية بأسماء أجنبية، ويحدث ذلك في المحلات وفي تسمية الأبناء.

فانتبهوا رحمكم الله لما يُراد بكم؛ فالغزو الثقافي على اللغة، بالغ الدقة حيث أنها مفتاح الحرب نحو العقيدة والقرآن نفسه، والاحتلال البريطاني عندما بدأ هنا قام بوضع خطة لتحطيم اللغة، وكان من جملة ما صنعوه أن مدرس اللغة العربية كان يتقاضى أربعة جنيهات، في الوقت الذي كان يتقاضى فيه مدرسو اللغة الإنجليزية اثنى عشر جنيهًا شهريًا، ولك أن تتخيل ما يترتب على ذلك من استهانة باللغة العربية، وكل ما يمت لها بصلة؛ فلابد من العودة للإسلام ولتعلم لغة القرآن إذا كنَّا نطلب الرفعة والسيادة.

أسباب الشهرة وصناعة المشاهير

ذكرنا أن الشهرة قد تكون بالحق وقد تحدث بالباطل، وأسبابها قد تكون مباحة ومشروعة، وقد توصف بالتحريم، ثم بالنظر إلى موضوع الشهرة، فقد يكون خلقيًا جبليًا، وقد يكون مكتسبًا، وبالجملة فالفضل كله بيديه سبحانه، والشر ليس إليه، وقد كان من دعاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه : «رب احملني على فضلك ولا تحملني على عدلك»؛ وذلك لأن الإنسان لو وكل لنفسه لهلك: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣]، والعبد يحتاج لهداية ربه وتوفيقه وتسديده أكثر من احتياجه للماء والهواء؛ ولذلك لا عجب أن يدعو ربه كل يوم في صلاته ويقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ .

والناس على اختلاف أصنافهم وأشكالهم يتقلبون بين الفضل والعدل في الدنيا والآخرة؛ ففي الحديث القدسي الذي رواه مسلم : «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا**» وفي نهايته يقول رب العزة جل وعلا: «**يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها؛ فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلاَّ نفسه**» فمن تمام رحمته سبحانه ورأفته بالخلق أنه ركَّب بالعباد عقولاً وأودع فيهم فِطَرًا، وأنزل لهم الكتب وأرسل لهم الرسل؛ ليحيى من حيَّ عن بيّنة ويهلك من هلك أيضًا عن بيّنة، ولن يهلك على الله إلاَّ هالك؛ فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والله يُضاعف لمن يشاء والله واسع عليم.

والفعل لكي يتم لابد من علم وقدرة وإرادة، فمثلاً قيام الليل لا يتم إذا لم يعلم العبد فضيلته أو مشروعيته أو افتقد القدرة على القيام بأن كان عاجزًا أو لم تنبعث نيته ولم تتحرك همته تجاه هذه الطاعة، ثم العبد قد يكون جاهلاً فيعذر بجهله، والواجب عليه أن يأخذ بأسباب العلم لرفع الجهالة عن نفسه،

﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾[البقرة: ٢٨٦]، والواجبات تسقط بالعذر والعجز وعدم الاستطاعة، والعبد مع حرصه على إخلاص العبودية لله جل وعلا قد يشتهر أمره ويرتفع ذكره وخبره، بل وردت أدلة تفيد استحباب اكتساب ما يورث الذكر الجميل، ونحن نتكلم بإذن الله على بعض هذه المعاني.

﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ (٨٤) ﴾[الشعراء: ٨٤]

وهذا من جملة الدعاء الذي توجَّه به إبراهيم عليه السلام لربه تبارك وتعالى بعد ثنائه عليه، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو اجتماع الأمم عليه، وقال مجاهد: هو الثناء الحسن. قال ابن عطية: هو الثناء وخلد المكانة بإجماع المفسرين، وكذلك أجاب الله دعوته وكل أمة تتمسك به وتعظمه وهو على الحنيفية التي جاء بها محمد ﷺ. وقال ليث بن أبي سليم: كل ملة تحبه وتتولاه، وكذا قال عكرمة، وقال مكي: وقيل: معناه سؤاله أن يكون من ذريته في آخر الزمان من يقوم بالحق فأجيبت الدعوة في محمد ﷺ، قال ابن عطية: وهذا معنى حسن إلاَّ أن لفظ الآية لا يعطيه إلا بتحكم على اللفظ.

وقال القشيري: أراد الدعاء الحسن إلى قيام الساعة، فإن زيادة الثواب مطلوبة في حق كل أحد، وقد استجاب ربنا جل وعلا دعاء إبراهيم، فليس أحد يُصلي على النبي ﷺ إلاَّ وهو يصلي على إبراهيم وخاصة في الصلوات وعلى المنابر التي هي أفضل الحالات وأفضل الدرجات، والصلاة دعاء بالرحمة.

وروى أشهب عن مالك قال: قال الله عز وجل: ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ﴾ لا بأس أن يحب الرجل أن يثنى عليه صالحًا، ويرى في عمل الصالحين إذا قصد به وجه الله تعالى، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ [طه: ٣٩] وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ [مريم: ٩٦] أي حبًا في قلوب عباده وثناء حسنًا فنبه تعالى بقوله: ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ﴾[الشعراء: ٨٤] على استحباب اكتساب ما يورث

الذكر الجميل، قال الليث بن سليمان: إذْ هي الحياة الثانية، قيل: قد مات قوم وهم في الناس أحياء.

قال ابن العربي: قال المحققون من شيوخ الزهد: في هذا دليل على الترغيب في العمل الصالح الذي يكسب الثناء الحسن.

وهذا الدعاء، وذلك الحرص ليس خاصًا بإبراهيم عليه الصلاة والسلام إذ هو إمام الحنفاء، وقد أُمرنا بالاقتداء به ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾.

[الأنعام: ٩٠].

صلة الرحم سبب بقاء الذكر الجميل:

أخرج الترمذي، وقال: حسن غريب، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يرد القضاء إلاَّ الدعاء، ولا يزيد في العمر إلاَّ البر**»وفي رواية: «**إن الرجل ليُحرم الرزق بالذنب يُصيبه، ولا يرد القدر إلاَّ الدعاء، ولا يزيد في العمر إلاَّ البر**»[أخرجه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه عن ثوبان رضي الله عنه وفي لفظ الحاكم تقديم وتأخير]. وعن رافع بن مكيث قال: قال رسول الله ﷺ: «**حسن الملكة نماء، وسوء الخلق شؤم، والبر زيادة في العمر، والصدقة تمنع ميتة السوء**»[أخرجه أحمد والطبراني في الكبير والبيهقي بسند رجاله ثقات إلاَّ أن فيه راويًا لم يسمَّ].

وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن في مسجد المدينة وقال: «**إني رأيت البارحة عجبًا، رأيت رجلاً من أمتي أتاه ملك الموت ليقبض روحه، فجاءه بره بوالديه فردَّ ملك الموت عنه**»[رواه أبو موسى المديني في الترغيب وقال: هذا حديث حسن جداً]، قال ابن تيمية: إن أصول السنة شاهدة له. وإذا تتبعت متفرقات شواهده رأيت منها كثيراً، ونقله المناوي في الفيض.

وقد يقول قائل: إن الآجال مُقدَّرة لا تزيد ولا تنقص ﴿**فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا**

﴿ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٦١) ﴾ [النحل: ٦١] **فقد أجاب العلماء عن هذا بأجوبة:**

الأول: أن الزيادة على حقيقتها، وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر، وقد سبق في علم الله أن يبرّ أو يعقّ؛ فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر وهو سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقصان.

الثاني: أن المراد بقاء ذكره الجميل بعده، فكأنه لم يمت، ذكره القاضي عياض، وقال الطيبي: ويجوز أن يكون المعنى أن الله يبقى أثر واصل الرحم في الدنيا طويلاً فلا يضمحل سريعًا كما يضمحل أثر قاطع الرحم، ومن هذا قول الخليل عليه السلام: ﴿ **وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ** (٨٤) ﴾ [الشعراء: ٨٤].

الثالث: أن زيادة العمر ذرية صالحة؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلاَّ من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له**» [رواه مسلم]، وعن أبي هريرة أيضًا: «**إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علمًا علَّمه ونشره، وولدًا صالحًا تركه، ومصحفًا ورَّثه، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته**»

[أخرجه ابن ماجه بإسناد حسن ورواه ابن خزيمة].

وابن الإنسان من عمله وكسبه، وهو من جملة آثاره ﴿ **وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ** ﴾ [يس: ١٢]، ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ** (٣٩) ﴾ [النجم: ٣٩]؛ لذلك كان حرص الأنبياء على طلب الولد الصالح فمن دعائهم: ﴿ **رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** (٧٤) ﴾ [الفرقان: ٧٤]، ودعا زكريا ربه فقال: ﴿ **وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا** (٥) **يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا** (٦) ﴾ [مريم: ٥، ٦] والوراثة المذكورة في الآية هي وراثة العلم النافع والعمل الصالح.

وكانت العرب تُسمي من كان له بنون وبنات، ثم مات البنون وبقي البنات (أبتر) ، ويُقال: إن العاص وقف مع النبي ﷺ يُكلمه، فقال له جمع من صناديد قريش: مع من كنت واقفًا؟ فقال: مع ذلك الأبتر، وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله بن رسول الله ﷺ، وكان من خديجة؛ فأنزل الله جلَّ شأنه : ﴿ **إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ** ﴿٣﴾ ﴾ [الكوثر: ٣] أي المقطوع ذكره من خير الدنيا والآخرة، وقيل: نزلت بشأن أبي جهل أو عقبة بن أبي معيط، وبالجملة فكل أمر انقطع من الخير فهو أبتر.

الرابع : أن المراد نفي الآفات عن صاحب البر في فهمه وعقله.

الخامس : أن الزيادة في الأوقات المعدودة لا في الأنفاس المحدودة .

السادس : وهو الذي ارتضاه الجم الغفير، وصححه النووي: أن الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة، وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة وصيانته عن تضييعه في غير ذلك ، قال الحافظ : ومثل هذا ما جاء أن النبي ﷺ تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم؛ فأعطاه الله ليلة القدر، وحاصله أن البر يكون سببًا للتوفيق للطاعة والصيانة عن المعصية؛ فيبقى بعده الذكر الجميل؛ فكأنه لم يمت، ومن جملة ما يحصل له من التوفيق العلم الذي يُنتفع به من بعده والصدقة الجارية والخلف الصالح.

﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴿١١﴾ ﴾ [الضحى: ١١]

أي انشر ما أنعم الله عليك بالشكر والثناء والتحدث بنعم الله، والاعتراف بها شكر، وعن مجاهد ﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ** ﴾ قال: بالقرآن، وعنه قال: بالنبوة، أي بلغ ما أُرسلت به، والخطاب للنبي ﷺ، والحكم عام له ولغيره، وعن الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما قال: إذا أصبت خيرًا أو عملت خيرًا فحدّث به الثقة من إخوانك، وعن عمرو بن ميمون قال: إذا لقى الرجل من إخوانه من يثق به يقول له: رزقني الله من الصلاة البارحة كذا، قرأتُ كذا، وصليتُ كذا، وذكرتُ الله كذا، وفعلتُ

كذا، فقلنا له يا أبا فراس إن مثلك لا يقول هذا. قال: يقول الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ وتقولون أنتم: لا تُحَدِّثْ بنعمة الله، ونحوه عن أيوب السختياني وأبي رجاء العطاردي ﷺ.

وروى الشعبي عن النعمان بن بشير قال: قال النبي ﷺ: «**من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدث بالنعم شكر وتركه كفر، والجماعة رحمة والفرقة عذاب**»، وروى النسائي عن مالك بن نضلة الجشمي قال: كنت عند رسول الله ﷺ جالسًا فرآني رثَّ الثياب، فقال: «**ألك مال؟**» قلت: نعم يا رسول الله، من كل المال. قال: «**إذا أتاك الله مالاً فليرَ أثره عليك**» وروى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الله جميل يُحب الجمال، ويُحب أن يرى أثرَ نعمته على عبده**».

والنعمة سبب الشكر، والشكر سبب المزيد فلن ينقطع المزيد من الله؛ حتَّى ينقطع الشكر من العبد ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ** ﴾ [إبراهيم: ٧]، وقد يشكل على البعض الجمع بين ما ذكرناه، وبين ما جاء في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلاَّ ظله، ومنهم: «**رجل تصدَّق بصدقة فأخفاها حتَّى لا تعلم شماله ما تُنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**» وهي تدل على الحرص على إخفاء الطاعات والاستتار بها.

ولا تعارض ولا تنافي بين المعنيين؛ فالأمر يدور بين الأتقياء البارزين المشهورين وبين الأتقياء الأخفياء، وكلاهما سواء أظهر طاعته أم استتر بها فله نية حسنة، ومقصد نبيل، ولا يصح اتهام الناس في نواياهم حتَّى وإن نصحناهم بإخلاص العبودية لله تعالى؛ إذْ لا يطّلع على ما في القلوب إلاَّ الله تعالى ﴿ **يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ** ﴿١٩﴾ ﴾ [غافر: ١٩] وشبيه بهذا قيام الليل، وهل الأفضل فيه الجهر أم الاستسرار، فمن فضَّل الجهر قال: لأن الخير فيه متعدٍ للآخرين، وفيه زيادة عمل، وقد يتأسَّ به الآخرون في فعله، ومن فضَّل الاستسرار

قال: لأنه أبعد عن الرياء وحتَّى لا يوقظ من احتاج للنوم، وعموماً فالأمر يحتاج إلى نظر ورويَّة ومعرفة بواقع الحال وعدم تسرع في الحكم على الخلائق، والسلامة لا يعدلها شيء وخصوصاً إذا ضعف الإيمان وتخوَّف الإنسان الرياء على نفسه، وإلاَّ فمن يأمن على نفسه وخصوصاً مع معرفته بتقصيرها وتفريطها، والأمر كما ترى يحتاج إلى مجاهدة صادقة في الجمع بين المصالح ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

سبب شهرة الأئمة الأربعة:

اشتهر الأئمة الأربعة بالعلم والصلاح - وهم: الإمام أبو حنيفة النعمان، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن حنبل، رحمهم الله جميعًا - ومحبتهم في قلوب الخلق، ومعلوم مدى البذل الذي بذلوه، والجهاد الذي جاهدوه في إبلاغ الحق إلى الخلق؛ فقد جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح، ولكن من عجيب الأمر أن هذه المعاني تواجدت فيهم، وفي غيرهم من علماء الأمة المعتبرين كسفيان الثوري - رحمه الله - والليث بن سعد وغيرهم.

وعلماء الأمة لا يحصون كثرة، ولا يقتصرون على الأئمة الأربعة، فلماذا اشتهر هؤلاء دون غيرهم؟ والإجابة على ذلك أن الله تعالى قيَّض تلامذة خدموا مذاهب الأئمة الأربعة في فهم الكتاب والسُّنَّة، وكثر عدد المشتغلين عليهم بطلب العلم؛ فانتشر خبرهم واشتهر علمهم أكثر من غيرهم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

كثرة القراء والسبب في الاقتصار على السبعة:

قد أسهم المؤلفون في القراءات في الاقتصار على عدد معين؛ لأنهم إذ يؤلفون مقتصرين على عدد مخصوص من أئمة القراء يكون ذلك من دواعي شهرتهم، وإن كان غيرهم أجلّ منهم قدراً، فيتوهم الناس بعد أن هؤلاء الذين اقتصر

التأليف على قراءاتهم هم الأئمة المعتبرون في القراءات، وقد صنَّف ابن جبير المكي كتابًا في القراءات، فاقتصر على خمسة، اختار من كل مَصْرٍ إمامًا، وإنما اقتصر على ذلك؛ لأن المصاحف التي أرسلها عثمان كانت خمسة إلى هذه الأمصار، ويُقال: إنه وجه سبعة، هذه الخمسة ومصحفًا إلى اليمن، ومصحفًا إلى البحرين، لكن لما لم يسمع لهذين المصحفين خبر وأراد ابن مجاهد وغيره مراعاة عدد المصاحف استبدلوا من مصحف البحرين ومصحف اليمن قارئين كمل بهما العدد، ولذا قال العلماء: إنَّ التمسك بقراءة سبعة من القراء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا سُنَّة، و إنما هو من جمع بعض المتأخرين فانتشر، فلو أن ابن مجاهد مثلاً كتب عن غير هؤلاء السبعة بالإضافة إليهم لاشتهروا .

قال أبو بكر بن العربي : ليست هذه السبعة مُتعينة للجواز حتَّى لا يجوز غيرها كقراءة أبي جعفر وشيبة والأعمش ونحوهم؛ فإن هؤلاء مثلهم أو فوقهم، وكذا قال غير واحد من أئمة القراء.

وقال أبو حيان : ليس في كتاب ابن مجاهد ومن تبعه من القراءات المشهورة إلاَّ النزر اليسير؛ فهذا أبو عمرو بن العلاء اشتهر عنه سبعة عشر راويًا، ثم ساق أسماءهم واقتصر في كتاب ابن مجاهد على اليزيدي، واشتهر عن اليزيدي عشرة أنفس، فكيف يقتصر على السوسي والدوري، وليس لهما مزية على غيرهما؛ لأن الجميع مشتركون في الضبط والإتقان والاشتراك في الأخذ، قال: ولا أعرف لهذا سببًا إلاَّ ما قضى من نقص العلم. اهـ من « الإتقان » .

وضوابط القراءة الصحيحة هي:

[١] موافقة القراءة للعربية بوجه من الوجوه سواء أفصح أم فصيحًا.

[٢] أن توافق القراءة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً.

[٣] أن تكون القراءة مع ذلك صحيحة الإسناد؛ لأن القراءة سُنَّة متبعة يعتمد فيها على سلامة النقل وصحة الرواية.

وخلاصة القول :

أن من أعظم أسباب بقاء الذكر الجميل الدعاء، وتحقق الإنسان بالعلم النافع، والعمل الصالح، وتقييض من يساعد ويُساهم في اشتهار الحال كطلبة علم، كما حدث مع الأئمة الأربعة، أو بكتاب متداول مشهور ككتاب أبي بكر ابن مجاهد مما ساعد على اشتهار القراء السبعة، وقد تكون الخصومة والعداوة سببًا في اشتهار أمر الإنسان كما حدث من كفار قريش مع رسول الله ﷺ في بداية الدعوة، فقد وقفوا على مشارف الطرق يُحذرون الناس من رسول الله ﷺ مما دعا هؤلاء للتعرف عليه وعلى دعوته وسيرته العطرة ﷺ، وربنا جل وعلا قد يخدم هذا الدين بالرجل الفاجر، وكما ترى فالأمر كله يعود إلى الأخذ بالأسباب الشرعية متى وجدت، وتفويض الأمر كله لله وأن تعلم أن الأمور تجري بقدر، وأن الفضل كله بيد الله .

ميكافيللي أحد صناع الشهرة الزائفة

ولد هذا الخبيث عام (١٤٦٩م) وتوفي عام (١٥٢٧م)، وقد أودع تعاليمه الخربة كتابه «الأمير» الذي يحرص رجال السياسة والحكم على التتلمذ عليه والاهتداء بهديه، وقد وصلت به الجرأة إلى تنبيه الناس إلى نبذ الفضائل عند الاقتضاء.

وتحت عنوان «كيف يكون وفاء الأمير» يقول ما نصه : «لا ينبغي للأمير الحَذِرِ أن يحفظَ العهود إذا كانت ضد مصلحته وما دامت الأسباب التي دعت للوعد قد انقضى عهدها (المقصود بالأمير حاكم المقاطعة) إذا كان الناس كلهم أخياراً فإن القاعدة التي ذكرتها تكون لا شك سيئة، ولكنهم أشرار ولن يحفظوا لك عهداً، فلست مضطراً لحفظ عهودهم، ثم إن الأمير لا يفقد حيلة شرعية يركن إليها إذا لم يفِ بوعده، وأن الأمثال في هذا الباب كثيرة تُثبت أن السلم قد تزعزع مراراً، وأن الوعود قد نُسيت تكراراً بأمراء لا وفاء لهم، وأن الذين استطاعوا من الأمراء تقليد الثعلب قد فازوا وانتصروا، ولكن من الضروري أن يخفي الرجل هذه الخليقة وأن يكون ماهراً في فن التظاهر بغير شعوره، ثم إن الناس من البساطة بمكان، وهم أصحاب حاجات، وصاحبها أرعن مُطيع فلا يعدم الخادع فريسته».

ثم يقول ميكافيللي بعد ذلك بقليل ما نصه : «ليس من الضروري أن يتصف الأمير حقيقة بكل الفضائل التي سبق الكلام عليها، ولكن من الضروري أن يُذاع عنه الاتصاف بها، وإنني أجسر فأقول: إن الاتصاف بكل تلك الفضائل خطر، ولكن الظهور بالتحلي بها نافع، إنه من الخير لك أن تظهر بالتقوى والأمانة وحب الإنسانية والدين والإخلاص، وأن تكون في الواقع كذلك، ولكن ينبغي أن تكون منتبهاً بحيث إذا اضطررت للتحول إلى الصفات الأخرى كان ذلك بدون

مشقة، وينبغي العلم بأن الأمير لا سيما الحديث لا يمكنه ممارسة كل تلك الخلال الموصوفة بالحسن لدى الرجال؛ لأنه يكون في أغلب الأحيان مضطراً للاحتفاظ بالملك؛ فيعمل ضد الإيمان والإحسان والإنسانية والدين؛ لذا ينبغي أن يكون له عقل سهل التحول والانتقال حسبما يقتضيه تقلب الأحوال، وألاَّ يترك صُنع الخير ما استطاع وأن يكون قادراً على صنع الشر إذا احتاج لذلك، وينبغي للأمير ألاَّ يُحرك لسانه بكلمة لا تدل على أنه مُتحلٍ بالخلال الخمس السالفة الذكر، فلا يرى فيه الرائي ولا يسمع منه السامع إلاَّ الأمانة والعفة والتقوى وحب الإنسانية، وأهم تلك الصفات صفة التقوى؛ لأن الرجال يحكمون عادة بالنظر لا بالخبرة، وكل الناس ترى فيك مظاهرك وقليلون يلمسون حقيقتك، وهؤلاء القليلون لا يستطيعون إن يقاوموا الكثيرين المحتمين بسلطة الأمير.

فليعش الأمير وليُحافظ على عرشه دون النظر في الوسائل؛ فإنها ستبقى على الدوام معتبرة شريفة يمدحها الكل؛ لأن العامة مأخوذون بالظواهر وبنتائج الأشياء والعالم لا يشمل إلاَّ العامة، والقليلون من الخاصة لا يظهرون إلاَّ عندما يضل الكثيرون» .

فالغاية عنده تبرر الوسيلة، والدين لديه مطية ووسيلة للمحافظة على الحكم فحسب، وأقواله لا تحتاج لتعليق كثير؛ فهي تدل على عدم إيمان بالله ولا باليوم الآخر، ثم لا تغفل الفارق الكبير بين رجال السياسة ورجال الدعوة، وإلاَّ فرجل الدعوة قد يقف في مواطن الهداية حتَّى وإن كلفته نفسه كصاحب يس الذي أتى من أقصى المدينة يسعى قال: ﴿ **يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾** ﴾ [يس: ٢٠ – ٢٢] فأخذوه وعاجلوه بالقتل فنصحهم ميتاً كما نصحهم حياً قال: ﴿ **يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾** ﴾ [يس: ٢٦، ٢٧].

كيف صنعوا المشاهير ببلادنا

كمثال – والأمثلة كثيرة لا تنحصر – انظر لما حدث في ثورة سنة (١٩١٩م) فقد أبرق اللورد اللنبي إلى وزارة الخارجية البريطانية يقول – بعد تحريه شهراً وبعد تغيير انجلترا لمندوبها في مصر – :

[١] الثورة تنبع من الأزهر، وهذا أمر له خطورته.

[٢] أفرجوا عن سعد زغلول، وأرسلوه إلى القاهرة.

فخرج سعد؛ ليصرف الثورة من دينية إلى وطنية تنادي بتحرير التراب، ويشترك فيها الجميع، وقال قولته المشهورة: الدين لله والوطن للجميع. وكأن التراب بذلك أهم على صاحب الثورة من دينه، وكان ما كان بعد ذلك من رفع شعار الوطنية كبديل عن كلمة الإسلام؛ وليُصبح بذلك سهماً من جملة السهام المسمومة التي أُطلقت على جسم هذه الأمة لإبعادها عن دينها وعن إسلامها.

وقد كتبت «المصور» يوم وفاة سعد زغلول تقول: «وقد شارك البنَّائين الأحرار الماسون في تشييع جنازة الزعيم الكبير، وكان رحمه الله قطب من أقطاب الماسونية».

ونشرت المقطم يوم الجمعة (٢٦ أغسطس سنة ١٩٢٧م): «حداد الماسونية على فقيد البلاد الأعظم: فقدت الماسونية المصرية بفقد سعد العظيم الخالد عضواً كبيراً وفضلاً كثيراً وذخراً وفيراً كانت تعتز بفضله، وستُقام حفلة جنائز ماسونية للفقيد الأعظم يُعلن موعدها فيما بعد».

والأمر لا يدعو للتعجب فهو قبل موته كان يقول: خسرنا كل شيء وكسبنا صداقة الإنجليز. وقال أيضاً: الإنجليز خصوم شرفاء معقولون.

وقد بيَّن جورج كيرك مؤلف كتاب «موجز تاريخ الشرق الأوسط»: أن القومية العربية ولدت في دار المندوب السامي البريطاني، وأظهر كيف أقامت

أمريكا زعامات كاملة تدافع عن القومية العربية، وما حدث من انقلابات من أجل ذلك.

ومن الأمثلة أيضًا:

مصطفى كمال أتاتورك الذي وُصف بالبطولة وأنه محرر الشعب التركي من سلطة السلاطين، واتخذ مثالاً يحتذى لكثير من الثورات في البلاد العربية، حتَّى أن شوقي بعد الانتصار المُدبَّر على الإنجليز أنشد يقول:

الله أكبر كم في الفتح من عجب ... يا خالد الترك جدد خالد العرب

ولكن ما لبث أن ظهر على حقيقته حيث ألغى الخلافة واللغة العربية حتَّى في الأذان، وألغى المحاكم الشرعية، وفرض العلمانية على الشعب التركي، ونزع الحجاب، ثم ظهرت الوثائق التاريخية؛ فأثبتت عمالته للإنجليز وصِلته بالماسونية حتَّى أنه عندما حضرته الوفاة استدعى السفير الإنجليزي وطلب منه أن يتولى حكم تركيا من بعده، فاعتذر السفير بلباقة؛ حتَّى لا تنكشف العمالة، وقد كان أتاتورك من يهود الدونمة، وقَدِمَتْ عائلته من المغرب، وأخذ يترقَّى في الجيش التركي، وأُحكِمَتْ خطة التلميع والإشهار بإنسحاب انجلترا أمامه؛ ليرجع بعد ذلك بصورة البطل المنتصر، ويتمم الدور المطلوب منه بإلغاء الخلافة.

وفي محيط المرأة:

حدث نوع من الإشهار لبعض النسوة لجرأتهن على دين الله ولتحللهن من شرع الله، وقد ركزت الجهات المشبوهة دومًا على دور المرأة ودعوتها للاختلاط بالرجال، وخلع الحجاب، والتحلل الذي يُطلقون عليه اسم «حرية المرأة أو التحرر».

ومن جملة النماذج السيئة المشهورة: هدى شعراوي التي أسست الاتحاد النسائي المصري سنة (١٩٢٣م) وكانت أول امرأة تُسافر بلا محرم إلى أوربا، وحضرت أول مؤتمر دولي نسائي عُقد في روما سنة (١٩٢٣م)، والمؤتمر الثاني

سنة (١٩٢٤) ولما وصلت من هناك نزعت الحجاب أمام الجماهير هي وسيزا نبراوي سكرتيرتها وداستاه بأقدامهما، وكذلك أمينة السعيد التي قضت عمرها تصرخ بحرية المرأة وتعتدي على الإسلام وآدابه وأحكامه.

وخلاصة القول :

أن نعلم أن صناعة هؤلاء المشاهير المزيفين، وإبراز أفكارهم وآرائهم وإضفاء الهالة حولهم ليكونوا قدوة وقادة للناس إنما تتولاه في الأعم الأغلب أجهزة ودوائر مشبوهة ويلعب أعداء الإسلام والمسلمين بصفة خاصة دوراً كبيراً في ذلك؛ فاليهودية العالمية وما يتبعها من مؤسسات وهيئات وأندية ماسونية كالروتاري والليونز ونحوهما تسعى لجذب الشخصيات المهمة سواء كانت سياسية أو فكرية أو فنية؛ لتكون بمثابة الأداة لها لترويج أفكارها ثم تسلط الأضواء عليهم، ويكفي أن تنظر للسيل الجرار من المجلات التي تركز على حياة الفنانين والفنانات مثل: « الشبكة - الموعد - سمر - غرام - الفتاة الشرقية . . . » وماذا يُراد من ورائها إلاَّ تحطيم وهدم هذه الأمة، وإشهار كل ساقط وساقطة، ولقد كان عدد كبير من فناني مصر المشهورين أعضاء في المحافل المصرية الماسونية قبل إغلاقها سنة (١٩٦٦م) .

وإذا كانت النفس المطمئنة قرينها الملك يسددها ويوفقها؛ فالنفس الأمارة بالسوء قرينها الشيطان يَعِدُها ويُمَنِّيها، والشيطان يحرص على زخرفة الباطل وتحسين صورته كما صنع مع أبينا آدم عليه السلام حين قال: ﴿ **هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ** (١٢٠) ﴾ [طه: ١٢٠]، فصوَّر له أنه إن أكل من هذه الشجرة التي نُهِي عنها، فسيعيش حياة الخلد؛ ولذلك فهو يحرص أيضاً على إشهار أوليائه من الكافرين والمنحرفين حتَّى يفتتن بهم الناس فيضلونهم ويقودونهم إلى حتفهم.

وقد وصفه رب العزة جل وعلا بأنه ﴿ **يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ**

السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦] فإذا رأيت الرجل يزداد شهرة مع انحرافه وتُسلط عليه الأضواء مع انسلاخه من دين الله، بل ويعيش مع ذلك حياة النجوم، فلابد من الحذر والتوجس، واعلم أنه ما هو إلاَّ ألعوبة في يد الشيطان؛ لإضلال عباد الله، ولفتح أبواب الشر والفساد على خلق الله﴿ **وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢)** ﴾ [التوبة: ٣٢].

وقد ساعدت المخترعات الحديثة على سهولة الاتصال بحيث أصبح العالم بمثابة دائرة مغلقة؛ فالأخبار التي تحدث في أقاصي الدنيا تُنقل في نفس اللحظة، وتدخل إلى كل بيت عن طريق الإذاعة والتليفزيون وغيرهما، وهذا وإن كان فيه خير كثير إلاَّ أنه لم يخلو من شر وفساد عظيم، والواجب علينا أن نعيش حياة البصيرة حتَّى نُميز بين الغث والسمين والإيمان والكفر والحق والباطل ، ويكون ميزاننا في ذلك كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)** ﴾ [يوسف: ١٠٨].

آفات الشهرة

الطريق إلى الشهرة طريق محفوف بالمخاطر لا ينفك عن كثير من الآفات التي قد تصل بالإنسان إلى أن يبيع دينه لنيل شهرة زائفة أو هالة كاذبة، والمضرة قد لا تقتصر على شخصه، بل هي كثيراً ما تنسحب إلى غيره، ومن هنا ورد الحث على التواضع وترك حب الظهور؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «**رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره**»[رواه أحمد ومسلم]، وقال الحافظ: «فيه ترك حب الرئاسة والشهرة وفضل الخمول والتواضع».

وإليك بعض الآفات التى تتعلق بالشهرة لتكون منها علي حذر:

[١] إرادة الإنسان بعمله الدنيا:

وهذه صورة من صور الشرك، وفيها يستخدم الإنسان دينه؛ لنيل مآرب الدنيا، كالذي يُجاهد للقطيفة والخميلة ونحو ذلك؛ ولذلك سماه النبي ﷺ عبداً؛ ففي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميلة؛ إن أعطى رضى، وإن لم يُعطَ سخط، تعس وانتكش وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يُشفع**»[رواه البخاري]. وإذا شيك فلا انتقش: أي إذا شاكته شوكة فلا يقدر على انتقاشها وهو إخراجها بالمنقاش.

وقال الطيبي: المعنى أنه إذا وقع في البلاء لا يُترحم عليه، فإن من وقع إذا ترحم له الناس ربما هان الخطب عليه، ويتسلى بعض التسلي، وهؤلاء بخلافه، بل يزيد غيظهم بفرح الأعداء أو شماتتهم.

وهؤلاء رضاهم لغير الله، وسخطهم لغير الله، وهكذا حال من كان متعلقًا

برئاسة أو بصورة أو نحو ذلك من أهواء نفسه إن حصل له رَضى، وإن لم يحصل له سخط؛ فهذا عَبْدُ ما يهواه من ذلك، رقيق له؛ إذ الرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته، فما استرق القلب واستعبده فهو عبده.

وهذه الأمور نوعان : فمنها ما يحتاج إليه العبد، كما يحتاج إلى طعامه وشرابه ومنكحه ومسكنه، ونحو ذلك، فهذا يطلبه من الله ويرغب إليه فيه، فيكون المال عنده يستعمله في حاجته بمنزلة حماره الذي يركبه وبساطه الذي يجلس عليه من غير أن يستعبدوه فيكون هلوعاً.

ومنها ما لا يحتاج إليه العبد؛ فهذه ينبغي أن لا يُعلق قلبه بها فإذا تعلَّق قلبه بها صار مستعبداً لها، وربما صار بالإضافة لذلك معتمداً على غير الله فيها، فلا يبقى معه حقيقة العبودية لغير الله، وهذا من أحق الناس بقول النبي ﷺ : «**تعس عبد الدينار، وتعس عبد الدرهم..**» وعبد الله من يرضيه ما يرضى الله ويسخطه ما يسخط الله، ويُحب ما أحب الله ورسوله، ويُبغض ما أبغض الله ورسوله، ويوالي أولياء الله ويُعادي أعداء الله؛ فهذا هو الذي استكمل الإيمان.

ثم قال: «**طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه**» وهو المجاهد في سبيل الله، قال بعضهم: قيل: إن هذا إشارة إلى عدم التفاته إلى الدنيا وأربابها، بحيث لا يبتغي مالاً ولا جاهًا عند الناس، بل يكون عند الله وجيهًا، ولم يقبل الناس شفاعته، ويكون عند الله شفيعًا مشفعًا.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا**﴾ [هود: ١٥] قال ابن عباس: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**﴾ أي ثوابها، أي مالها وزينتها، ﴿**نُوَفِّ إِلَيْهِمْ**﴾ نوفر لهم ثواب أعمالهم بالصحة والسرور في الأهل والمال والولد، ﴿**وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ**﴾ لا ينقصون.

﴿**وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا**﴾ [هود: ١٦] قال بعض المفسرين: وحبط في الآخرة ما صنعوا، وصنيعهم يعني لم يكن لهم ثواب لأنهم لم يُريدوا به الآخرة وإنما

أرادوا به الدنيا، وقد وُفيَ إليهم ما أرادوا، ﴿وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٦] أي كان عمله في نفسه باطلاً؛ لأنه لم يعمل لوجه صحيح، والعمل الباطل لا ثواب له.

وسبيل النجاة والسلامة أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، و أن تترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله، بل ولك في سلف الأمة أسوة وقدوة؛ فقد كانوا وعلى الرغم من تقواهم وإخلاصهم يقول الواحد منهم: لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة لكان فرحي بالموت أشد من فرح الأهل بقدوم الغائب؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة: ٢٧].

بقي أن يُقال إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله طالبًا ثواب الآخرة، ثم بعد ذلك عمل أعمالاً قاصداً بها الدنيا مثل أن يحج فرض الله، ثم يحج بعده لأجل الدنيا كما هو واقع، فهو لما غلب عليه منهما، وقد قال بعضهم: القرآن كثيراً ما يذكر أهل الجنة الخلّص، وأهل النار الخلص ويسكت عن صاحب الشائبتين وهو هذا وأمثاله.

[٢] الرياء:

فطالب الشهرة يعمل ليراه الناس ويعظموه، ويرى أنه لن يتحصل على الشهرة، ولن يُحافظ عليها إلاَّ بالرياء والعمل لأجل المدح والجلالة في أعين الناس، وهذا صنف خاسر كسابقه إذْ لا يقبل الله من العمل إلاَّ ما كان له خالصًا، وابتغى به وجهه؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، قال الله تعالى: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**» [رواه مسلم].

فالمرائي قصد بعمله الله تعالى وغيره، وجعل لله شريكًا، فإذا كان كذلك فالله تعالى هو الغني على الإطلاق، والشركاء بل جميع الخلق فقراء إليه، وفي رواية ابن ماجه وغيره: «**فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك**» كحال المنافقين في صلاتهم ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢]،

وكذلك وصف الله الكفارَ بالرياء في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ**﴾ [الأنفال: ٤٧]، فلا اعتداد ولا ثواب إلاَّ لما خلصت فيه النية لله تعالى.

والفرق بين الرياء والسمعة: أن الرياء هو العمل لرؤية الناس، والسمعة العمل لأجل سماعهم؛ فالرياء يتعلق بحاسة البصر، والسمعة بحاسة السمع، ويدخل فيه أن يخفي عمله لله تعالى، ثم يُحدث به الناس، وفي حديث شداد بن أوس مرفوعًا: «**من صلَّى يُرائي فقد أشرك، ومن صام يرائي فقد أشرك، ومن تصدَّق يرائي فقد أشرك، وإن الله عز وجل يقول: أنا خير قسيم لمن أشرك بي، فمن أشرك بي شيئًا فإن جسده وعمله قليله وكثيره لشريكه الذي أشرك به، أنا منه غني**» [رواه أحمد]، وحديث الضحاك بن قيس مرفوعًا: «**إن الله عز وجل يقول: أنا خير شريك، فمن أشرك معي شريكًا فهو لشريكي. يا أيها الناس أخلصوا أعمالكم لله عز وجل؛ فإن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما خلص له، ولا تقولوا هذا لله وللرحم؛ فإنه للرحم وليس لله منه شيء، ولا تقولوا هذا لله ولوجوهكم؛ فإنه لوجوهكم وليس لله منه شيء**» [رواه البزار وابن مردويه والبيهقي بسند قال المنذري: لا بأس به]، وحديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن رجلاً جاء رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ما له؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لا شيء له**» فأعادها عليه ثلاث مرات، يقول له رسول الله ﷺ: «**لا شيء له**»، ثم قال: «**إن الله لا يقبل من العمل إلاَّ ما كان له خالصًا، وابتغى به وجهه**» [رواه أبو داود والنسائي بإسناد جيد].

أما لو خالط نية الجهاد مثلاً نية غير الرياء، مثل أخذ أجرة للخدمة أو أخذ شيء من الغنيمة أو التجارة، نقص بذلك أجر جهادهم، ولم يبطل بالكلية، وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «**إن الغزاة إذا غنموا غنيمة تعجلوا ثلثي أجرهم؛ فإن لم يغنموا شيئًا تم لهم أجرهم**»

وقال الإمام أحمد: التاجر والمستأجر والمكاري أجرهم على قدر ما يخلص من نيتهم في غزواتهم، ولا يكونون مثل من جاهد بنفسه وماله لا يخلط به غيره.

وقال أيضاً فيمن يأخذ جعلاً على الجهاد: إذا لم يخرج من أجل الدراهم فلا بأس.

وأما إن كان أصل العمل لله، ثم طرأ عليه نية الرياء، فإن كان خاطراً ودفعه فلا يضره بغير خلاف، وإن استرسل معه فهل يحبط عمله أم لا يضره ذلك، ويُجازى على أصل نيته؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف حكاه الإمام أحمد وابن جرير الطبري، ورجحا أن عمله لا يبطل بذلك وأنه يُجازى بنيته الأولى، وهو مروي عن الحسن البصري وغيره ويستدل لهذا القول بما أخرجه أبو داود في مراسيله عن عطاء الخراساني أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن بني سلمة كلهم يُقاتل للدنيا، ومنهم من يُقاتل نجدة، ومنهم من يُقاتل ابتغاء وجه الله، فقال: «**كلهم إذا كان أصل أمره أن تكون كلمة الله هي العليا**»، وذكر ابن جرير أن هذا الاختلاف إنما هو في عمل مرتبط آخره بأوله كالصلاة والصيام والحج، فأما ما لا ارتباط فيه كالقراءة والذكر وإنفاق المال ونشر العلم؛ فإنه ينقطع بنية الرياء الطارئة عليه ويحتاج إلى تجديد نية.

فأما إذا عمل العمل لله خالصاً، ثم ألقى له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين ففرح بفضل الله ورحمته واستبشر بذلك لم يضره، وفي هذا المعنى جاء حديث أبي ذر عن النبي ﷺ أنه سُئل عن الرجل يعمل العمل من الخير يحمده الناس عليه، فقال: «**تلك عاجل بشرى المؤمن**» [رواه مسلم]، وروى مسلم في صحيحه حديث الثلاثة الذين هم أول من تُسعر بهم النار «**المقاتل ليقال جريء، والمتعلم ليقال عالم، والمتصدق ليقال جواد**»، وعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟**» قالوا: بلى. قال: «**الشرك الخفي، يقوم الرجل فيُصلي فيُزين صلاته لما يرى من نظر رجل**» [رواه ابن ماجه والبيهقي وحسَّنه البوصيري في الزوائد].

قال ابن القيم : « وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء والتصنع للخلق والحلف بغير الله، وقول الرجل للرجل ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وإنا بالله وبك، وما لي إلاَّ الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا، وقد يكون هذا شركًا أكبر بحسب حال قائله وقصده » اهـ.

وضد الشرك الأكبر والأصغر التوحيد والإخلاص، وهو إفراد الله بالعبادة باطنًا وظاهرًا والرياء أن يكون ظاهره خيرًا من باطنه، ومعلوم أن حب الرياسة والجاه عند الناس هو الحامل له على الرياء .

قال الطيبي : « وهو من أضر غوائل النفس وبواطن مكائدها يُبتلى به العلماء والعباد والمشمرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة، فإنهم مهما قهروا أنفسهم وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح؛ فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير وإظهار العلم والعمل؛ فوجدت مخلصًا من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق، ولم تقنع باطلاع الخالق تبارك وتعالى، وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده، فأحب مدحهم وتبركهم بمشاهدته وخدمته وإكرامه وتقديمه في المحافل؛ فأصابت النفس في ذلك أعظم اللذات وأعظم الشهوات، وهو يظن أن حياته بالله تعالى وبعبادته، وإنما حياته هذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها العقول الناقدة، قد أثبت اسمه عند الله من المنافقين، وهو يظن أنه عند الله من عباده المقربين، وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلاَّ الصديقون، ولذلك قيل: آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة » اهـ.

وكان حذيفة يتعوذ بالله من خشوع النفاق، فلما قيل له وما خشوع النفاق؟ قال: أن يرى البدن خاشعًا والقلب ليس بخاشع، ولما رأى عمر شابًا قد طأطأ رأسه قال له: يا ابن أخي، ارفع رأسك؛ فإن الخشوع لا يزيد على ما في القلب.

[٣] الكبر :

والتكبر يحدث بالعلم والمال والجمال والحسب والنسب، وكثرة الأتباع والأنصار والعشيرة، وفي الحديث: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**» فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً. فقال: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس**» وبطر الحق أي الاستنكاف عن قبوله ورده، والنظر إليه بعين الاستصغار؛ وذلك للترفع والتعاظم، ومعنى غمط الناس: ازدراؤهم واحتقارهم.

قال تعالى: ﴿ **سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ** ﴾ [الأعراف: ١٤٦] وقال سبحانه: ﴿ **كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ** ﴾ [غافر: ٣٥] وقال: ﴿ **إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ (٢٣)** ﴾ [النحل: ٢٣]. وقال: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)** ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال ﷺ: «**لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر**» [رواه البخاري] وقال النبي ﷺ: «**لا ينظر الله إلى رجل يجر إزاره بطراً**» [رواه البخاري ومسلم] وقال النبي ﷺ: «**يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في جهنَّم ولا أُبالي**» [رواه مسلم بنحوه]، وعيب على من خرج من مجرى البول مرتين أن يتكبر.

وقال المأمون : ما تكبر أحد إلاَّ لنقصٍ وجده في نفسه، ولا تطاول إلاَّ لوهن أحسَّ من نفسه، وقيل: من وضع نفسه دون قدره رفعه الناس فوق قدره، ومن رفعها عن حده وضعه الناس دون حده.

وقال ابن المعتز : لما عرف أهل النقص حالهم عند ذوي الكمال استعانوا بالكبر ليعظم صغيراً، ويرفع حقيراً وليس بفاعل:

يا مُظهر الكبر إعجاباً بصورته ... انظر خلاك فإن النتن تثريبُ

لو فكَّر الناس فيما في بطونهم ... ما استشعر الكبر شبانٌ ولا شيبُ

هل في ابن آدم مثل الرأس مكرمة ... وهو بخمس من الأقذار مضروب؟
أنف يسيل وأذن ريحها سمك ... والعين مرفضة والثغر ملعوب
يا ابن آدم ومأكول التراب غداً ... أقْصِرْ فإنك مأكول ومشروب

وقال ابن السماك لعيسى بن موسى : تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك.

وروي عن عمر: أنه نادى : الصلاة جامعة، فلما اجتمع الناس صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيه ثم قال: أيها الناس لقد رأيتني أرعى على خالات لي من بني مخزوم، فيقبضن لي القبضة من التمر والزبيب، فأظل اليوم وأي يوم؟ فقال عبد الرحمن بن عوف: والله يا أمير المؤمنين، ما زدت على أن قصرت بنفسك. فقال عمر: ويحك يا ابن عوف، إني خلوت بنفسي، فقالت: أنت أمير المؤمنين، فمن ذا أفضل منك، فأردت أن أعرفها نفسها.

وجاء أن عمر بن عبد العزيز أتاه ليلة ضيوف، وكان يكتب، فكاد السراج يطفأ، فقال الضيف: أقوم إلى السراج فأصلحه، فقال: ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه، قال: أفأنبه الغلام؟ فقال: هي أول نومة نامها، فقام وملأ المصباح زيتًا، فقال الضيف: قمتَ أنت يا أمير المؤمنين، فقال: ذهبت وأنا عمر، ورجعت وأنا عمر ما نقص مني شيء.

وخير الناس من كان عند الله متواضعًا، فمن طلب التواضع فليقتد به ﷺ؛ فلقد كان أعظم خلق الله في الدنيا والدين، عن أنس أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، فقال: «**يا أيها الناس لا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، فقولوا عبد الله ورسوله**»، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أتي النبيَّ ﷺ رجلٍ يكلم فأرعد (ارتعدت فرائصه) فقال له النبي ﷺ: «**هوّن عليك؛ فلستُ بملك، أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد**».

وسأل عمر رجلاً فقال له: من سيد قومك؟ فقال: أنا. قال له عمر: كذبت لو كان كذلك لم تقله.

وقال الشافعي : أرفع الناس قدراً من لا يرى قدره، وأكثرهم فضلاً من لا يرى فضله.

وقال القاضي الفضيل بن عياض : رأس الأدب معرفة الرجل قدره.

ولما قيل للعباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ : أنت أكبر أم رسول الله؟ قال: هو أكبر مني، وأنا أسنّ منه. وكان أكبر سنًا من رسول الله ﷺ .

وقيل لأبي وائل : أيكما أكبر أنت أم الربيع بن خيثم؟ قال: أنا أكبر منه سنًا، وهو أكبر مني عقلاً.

وقيل لعبد الله بن المبارك : ما التواضع؟ قال: التكبر على المتكبرين.

وقال عبد الملك بن مروان : أفضل الرجال من تواضع عن رفعة، وعفا عن ذروة، وأنصف عن قوة.

وكانوا يقولون : لا يزال الرجل عالمًا ما طلب العلم، فإن ظن أنه قد علم، فقد جهل.

وإن العفو لا يزيد العبد إلاَّ عزاً؛ فاعفوا يعزكم الله، وإن التواضع لا يزيد العبد إلاَّ رفعة؛ فتواضعوا يرفعكم الله.

[٤] العجب والغرور :

فالتفرد والامتياز قد يُصيب الإنسان بحالة من حالات العجب والغرور، وهذه من جملة الآفات المهلكات، قال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا**﴾ [التوبة: ٢٥]، وقال النبي ﷺ : «**ثلاث منجيات، وثلاث مُهلكات، فأما المنجيات فتقوى الله في السر والعلانية، والقول بالحق في الرضا والسخط، والقصد في الغنى والفقر، وأما المهلكات: فهوىً مُتَّبع، وشحٌ مُطاع، وإعجاب المرء بنفسه وهي أشدهن**» [رواه البيهقي وهو حسن لطرقه كما قال الألباني]، وقال النبي ﷺ : «**بينما رجل يتبختر في بردين، وقد أعجبته نفسه خسف الله به الأرض يتجلجل فيها إلى يوم القيامة**» ولذلك قال

تعالى: ﴿ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ﴾ [النجم: ٣٢]، وقال سبحانه: ﴿ لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، والمن وليد العجب، وهذا واضح من قول قارون: ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾ [القصص: ٧٨]، ومن قول صاحب الجنتين ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الكهف: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقال ﷺ: «**إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية** (أي عجبها وكبرها) **كلكم لآدم وآدم من تراب**» [رواه أحمد وأبو داود عن أبي هريرة وحسَّنه الألباني]، وقال ﷺ في خطبة الوداع: «**أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، وليس لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أبيض، ولا لأبيض على أحمر فضل إلاَّ بالتقوى، اللهم هل بلغت اللهم فاشهد، ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب**»

وقال تعالى: ﴿ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ﴿٣٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٧]، وقال سبحانه: ﴿ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ [لقمان: ١٨].

وثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوىً متبع، وإعجاب المرء بنفسه. وقال النبي ﷺ: «**لو لم تُذنبوا لخشيت ما هو أكبر منه، العجب العجب**»، ولما قيل لعائشة رضي الله عنها: متى يكون الرجل سيئًا؟ قالت: إذا ظنَّ أنه مُحسن. وقال عليّ: أصعب ما على الإنسان معرفة نفسه، إذا أعجب الإنسان بنفسه واستكثر عمله، ونسي ذنبه، فقد استحكمت هلكته.

وقيل لعامر بن مرة الزهري: من أحمق الناس؟ قال: من ظنَّ أنه أعقل الناس، وقيل لحمسة بن رافع: من أحق الناس بالمقت؟ قال: الفقير المحتال، والضعيف الصوال، والغني القوال. وقال النبي ﷺ: «**ما منكم من أحد يُنجيه عمله**»

قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلاَّ أن يتغمدني الله برحمته**» .

[متفق عليه].

وحكيَ أن مطرف بن عبد الله الشخير نظر إلى المهلب بن أبي صفرة وعليه حلة يسحبها ويمشي بالخيلاء، فقال: يا أبا عبد الله، ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله، فقال المهلب: أما تعرفني؟ فقال: بلى أعرفك، أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وحشوك فيما بين ذلك بول وعذرة ، فأخذ ابن عوف هذا الكلام فنظمه شعراً فقال:

عجبتُ من معجب بصورته ... وكان بالأمس نطفة مذرة
وفي غد بعد حسن صورته ... يصيرُ في اللحد جيفة قذرة
وهو على تيهه ونخوته ... ما بين ثوبيه يحمل العذرة

ومن أقوى أسباب الإعجاب كثرة مديح المتقربين وإطراء المتملقين الذين جعلوا النفاق عادة ومكسباً، والتملق خديعة وملعباً.

﴿ **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢)** ﴾ [التكاثر :١، ٢]

قال القرطبي : «أي شغلتكم المباهاة بكثرة المال والعدد عن طاعة الله حتَّى متُّم ودُفنتم في المقابر.

وقيل: ﴿ **أَلْهَاكُمُ** ﴾ أنساكم ﴿ **التَّكَاثُرُ** ﴾ ، أي من الأموال والأولاد، قاله ابن عباس والحسن، وقال قتادة: أي التفاخر بالقبائل والعشائر، وقال الضحاك: أي ألهاكم التشاغل بالمعاش والتجارة، وقال مقاتل وقتادة وغيرهما: نزلت في اليهود حين قالوا: نحن أكثر من بني فلان، وبنو فلان أكثر من بني فلان، ألهاهم ذلك حتَّى ماتوا ضلالاً.

وقال ابن عباس ومقاتل الكلبي : نزلت في حيَّيْن من قريش: بني عبد مناف، وبني سهم ، تعادوا وتكاثروا بالسادة والأشراف في الإسلام، فقال كل حي منهم

نحن أكثر سيداً وأعز عزيزاً، وأعظم نفراً، وأكثر عائذاً، فكثر بنو عبد مناف سهماً، ثم تكاثروا بالأموات فكثرتهم سهمٌ؛ فنزلت : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ بأحيائكم، فلم ترضوا حتَّى زرتم المقابر مفتخرين بالأموات، وعن قتادة قال: كانوا يقولون: نحن أكثر من بني فلان، ونحن أعد من بني فلان، وهم كل يوم يتساقطون إلى آخرهم، والله ما زالوا كذلك حتَّى صاروا من أهل القبور كلهم.

قال القرطبي : «قلت الآية تعم جميع ما ذُكر وغيره، وفي صحيح مسلم عن مطرف عن أبيه قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ وهو يقرأ: ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ قال: «**يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلاَّ ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت، أما ما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس**»، وروى البخاري عن ابن شهاب أخبرني أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**لو أن لابن آدم واديا من ذهب لأحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاهه إلاَّ التراب، ويتوب الله على من تاب**»، قال ثابت عن أنس عن أُبي: كنَّا نرى هذا من القرآن حتَّى نزلت ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ قال ابن العربي: وهذا نص صحيح مليح غاب عن أهل التفسير فجهلوا وجهّلوا. والحمد لله على المعرفة، وقال ابن عبَّاس: قرأ النبي ﷺ ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ قال: تكاثر الأموال، جمعها من غير حقها ومنعها من حقها وشدها في الأوعية» اهـ.

وعن أبي مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة**»، وقال: «**النائحة إذا لم تتب قبل موتها تُقام يوم القيامة، وعليها سربال من قطران ودرع من جرب**»[رواه مسلم].

والفخر بالأحساب أي التشرف بالآباء والتعاظم بعدٍّ مناقبهم ومآثرهم وفضائلهم، وذلك جهل عظيم إذْ لا شرف إلاَّ بالتقوى كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾[سبأ:

٣٧] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[الحجرات: ١٣] فالناس مؤمن تقي أو فاجر شقي، وكلهم لآدم وآدم من تراب قال رسول الله ﷺ: «**ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن**»[رواه أبو داود عن أبي هريرة مرفوعاً].

[٥] الحسد:

فحب الرياسة وطلب الجاه من أعظم أسباب الحسد، وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون إذا غلب حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من واحد الدهر وفريد العصر في فنه، وأنه لا نظير له؛ فإنه لو سمع بنظير له في العالم لساءه ذلك وأحب موته أو زوال النعمة عنه التي بها يُشاركه المنزلة من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك مما يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده، وقد كان علماء اليهود يُنكرون معرفة الرسول ﷺ ولا يُؤمنون به خيفة من أن تبطل رياستهم وجاههم رغم أن البشارة به موجودة في كتبهم التي بين أيديهم ويتعبدون بقراءتها.

والحسد من أعظم المُهلكات وهو كبيرة من الكبائر، وفي الحديث: «**لا حسد إلاَّ في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله علماً فهو يعمل به ويُعلمه الناس**»[متفق عليه]، وفي حديث أبي كبشة الأنماري قال: «**مثل هذه الأمة مثل أربعة: رجل آتاه الله مالاً وعلماً، فهو يعمل بعلمه في ماله، ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً فيقول: رب لو أنَّ لي مالاً مثل فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما في الأجر سواء، ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً، فهو ينفقه في معاصي الله، ورجل لم يؤته الله علماً ولم يؤته مالاً، فيقول: لو أن لي مثل مال فلان لكنت أنفقه في مثل ما أنفقه فيه من المعاصي، فهما في الوزر سواء**».

[رواه ابن ماجه والترمذي، وقال: حسن صحيح].

والفارق كبير بين الغبطة والحسد؛ فالغبطة ليس فيها تمني زوال النعمة ولا كراهتها، وترجع إلى إرادة المساواة واللحوق به في النعمة، وليكن معلومًا أن فتنة الجاه أعظم من فتنة المال، ولا يقطع الطمع عن الناس إلاَّ بالقناعة؛ فمن قنع استغنى عن الناس، وإذا استغنى الإنسان لم يشتغل قلبه بالناس، ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن، ولا يتم ترك الجاه إلاَّ بالقناعة وقطع الطمع .

فالكمال محبوب ولذيذ، وكل ما يدل عليه ويؤكده قد تتطلع إليه النفوس؛ ولذلك فالنفس تُحب المدح والثناء وترتاح به وتنفر من الذم وتبغضه، ولذلك عرف أبو حازم الزهد بقوله: «أن يكون مادحك وذامك في الحق سواء،وأن يكون حالك في المصيبة وحالك إذا لم تصب بها سواء، وأن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يد نفسك».

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى»: «ومن اتقى الله وصبر فلم يدخل في الظالمين نفعه الله بتقواه كما جرى لزينب بنت جحش رضي الله عنها؛ فإنها كانت هي التي تسامي عائشة من أزواج النبي ﷺ وحسد النساء بعضهن لبعض غالب لاسيما المتزوجات بزوج واحد؛ فإن المرأة تغار على زوجها لحظها منه؛ فإنه بسبب المشاركة يفوت بعض حظها، وهكذا الحسد يقع كثيرًا بين المتشاركين في رئاسة أو مال إذا أخذ بعضهم قسطًا من ذلك وفات الآخر ويكون بين النظراء لكراهة أحدهما أن يفضل الآخر عليه كحسد إخوة يوسف، وكحسد ابني آدم أحدهما لأخيه؛ فإنه حسده لكون الله تقبل قربانه ولم يتقبل قربان هذا، فحسده على ما فضّله الله من الإيمان والتقوى – كحسد اليهود للمسلمين – وقتله على ذلك، ولهذا قيل أوّل ذنب عُصيَ الله به ثلاثة: الحرص والكبر والحسد؛ فالحرص من آدم والكبر من إبليس والحسد من قابيل حيث قتل هابيل.

وفي الحديث: «**ثلاث لا ينجو منهن أحد: الحسد والظن والطيرة**

وسأحدثكم بما يخرج من ذلك إذا حسدت فلا تبغض وإذا ظننت فلا تحقق وإذا تطيرت فامض»[رواه ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة].

[٦] تقديم المفضول على الفاضل بسبب الشهرة :

التقديم والتأخير يجب أن يكون وفق الموازين الشرعية التي جاءت في كتاب الله وفي سنَّة رسول الله ﷺ، ولا تصلح الشهرة وحدها ضابطًا لذلك، والإخلال بهذا المعنى يترتب عليه كثير من المخالفات الشرعية منها محبة ذوي الفسق والفجور، وتقديمهم لشهرتهم على ذوي الصلاح والتقى من المغمورين، فنجد البعض يتباهى برؤية بعض المغنِّين أو الراقصين أو الممثلين أو سماعهم أو حفظ سيرتهم وأخبارهم بينما هو لا يعبأ بعلماء الأمة وصالحيها، بل ولم يحفظ شيئًا من كتاب الله ولا سُنَّة رسول الله ﷺ فلا هو يعرف كيف يوحد ربه، ولا كيف يصلي وما الذي تصح به الصلاة، وما الذي تبطُل به .

والأمر لا يقتصر على ذلك؛ فالبعض يُقدم المقبورين كالسيد البدوي بشهرتهم على صحابة النبي ﷺ؛ وذلك في الحب والتعظيم، ومعلوم أن كل صحابي أفضل من كل من جاء بعده ، ويحدث هذا التقديم المغلوط أيضًا في الإمامة وطلب العلم؛ فيترك الناس الأخذ ممن كملت أهليته ويذهبون للمشاهير حتَّى وإن كانوا مفضولين، أو على بدعة.

يقول الماوردي في كتابه «أدب الدنيا والدين» : « وليأخذ المتعلم حظه فمن وجد طِلبته عنده من نبيهٍ وخاملٍ، ولا يطلب الصيت، وحسن الذكر باتباع أهل المنازل من العلماء إذا كان النفع بغيرهم أعم إلاَّ أن يستوي النفعان فيكون الأخذ عمن اشتهر ذكره وارتفع قدره أولى؛ لأن الانتساب إليه أجمل والأخذ عنه أشهر.

وقد قال الشاعر :

إذا أنت لم يشهرك علمك لم تجد لعلمك مخلوقًا من الناس يقبله
وإن صانك العلم الذي قد حملته أتاك من يجتنيه ويحمله

أي صانك عن المطامع الدنيَّة والوقوف في مواقف الريب .

وهكذا فأنت ترى أن الشهرة تقتضي تصرفات غير مشروعة أحيانًا، وتجعل الإنسان يقصر في الخير إذا لم يتحقق له ما يريد، وقد يؤدي التنافس عليها إلى أنواع من الشرور والخصومات عدا عن كونه قد يؤثر في أصل النية فيحبط العمل، وقد تفضي الشهرة بالناس إلى تقديس المشهورين، وتقليدهم تقليداً أعمى وبالتالي فلابد من وقفة تُحاسب فيها نفسك وتجردها لله عز وجل .

حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا

حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، وتهيئوا للعرض الأكبر، يومئذ تُعرضون لا تخفى منكم خافية؛ فحريّ بك أن تقف مع نفسك هذه الوقفة وأن تحاسب نفسك هذه المحاسبة؛ فما بعد الدنيا من دار إلاَّ الجنة أو النار، ومثل طالب الدنيا كشارب ماء البحر كلما زاد شربًا منه زاد عطشًا حتَّى يقتله، ولو فكر الطامع في عاقبة الدنيا لقنع، ولو تذكر الجائع فضول مآلها لشبع، فأنت من الشباب إلى الهرم، ومن الصحة إلى السقم، ومن الوجود إلى العدم.

وكان ميمون بن مهران يقول : « يا معشر الشيوخ، ما يُنتظر بالزرع إذا ابيضَّ قالوا: الحصاد ، فنظر إلى الشباب فقال: إن الزرع قد تدركه الآفة قبل أن يُستحصد، وقبيح بالشباب تأخير التوبة، وأقبح منه تأخير الشيوخ».

فخذ من صحتك لمرضك، ومن فراغك لشغلك، ومن حياتك لموتك، وكن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وقل لنفسك:

ألا يا نفس ويحك ساعديني ... بسعيٍ منك في ظلم الليالي
لعلك في القيامة أن تفوزي ... بطيب العيش في تلك العلالي

وتحسس قلبك، فالقلب ملك مؤمر، وقد قال النبي ﷺ : «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله**»

[رواه البخاري ومسلم].

ولا يسلم من عذاب الله إلاَّ من أتى ربه بقلب سليم ﴿ **يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)** ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩] واحذر أن تكون

من أصحاب القلوب الميتة، فصاحب هذا القلب يتبع كل شيطان مريد الدنيا تسخطه وترضيه إن أحب أحبَّ لهواه، وإن أبغض أبغض لهواه، وإن منع منع لهواه؛ فالهوى إمامه، والشهوة قائده، والجهل سائقه، والغفلة مركبه، واقف مع شهواته، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه، فيه من محبة الشهوات وإيثارها والحرص على تحصيلها والحسد والعجب والكبر، وحب العلو والفساد في الأرض والرياسة ما هو مادة هلاكه وعطبه.

فإن تنج من هذه الآفات تنج من ذي عظيمة، وقد قال النبي ﷺ: «**تُعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودًا عودًا، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتَّى تعود القلوب على قلبين: قلب أسود مرباد كالكوز مجخيًا لا يعرف معروفًا، ولا يُنكر منكرا إلاَّ ما أشرب من هواه، وقلب أبيض لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض**» [رواه مسلم].

وعن أبي سعيد مرفوعًا: «**إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره**» [ضعيف ومعناه صحيح]، وتمامه «**وإن الله بحكمته جعل الروح والفرح في الرضى واليقين، وجعل الهمَّ والحزن في الشك والسخط**».

فمن قوى يقينه علم أن الله وحده هو النافع الضار، وأنه لا معول إلاَّ على رضاه، وليس لسواه من الأمر شيء كائنا ما كان؛ فلا يهاب أحدًا ولا يخشاه لخوف ضرر يلحقه من جهته كما قال تعالى: ﴿**وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا** ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب: ٣٩]، وإن تحمدهم على رزق الله لا ينافي ذلك حديث: «**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**»؛ لأن المراد هنا إضافة النعمة إلى السبب ونسيان الخالق، وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**من التمس**

رضا الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس» .

[رواه ابن حبان في صحيحه].

قال ابن رجب : «فمن تحقق أن كل مخلوق فوق التراب فهو تراب، فكيف يقدم طاعة من هو تراب على طاعة رب الأرباب أم كيف يرضى التراب بسخط الملك الوهاب؟ إن هذا لشيء عجاب».

وما أحسن ما قيل :

إذا صحَّ منك الود يا غاية المنى فكلُ الذي فوق التراب تراب

وفي الحديث عقوبة من خاف الناس وآثر رضاهم على رضى الله، وأن العقوبة قد تكون في الدين عياذًا بالله من ذلك؛ فإن المصيبة في الدين أعظم من المصيبة في الأموال والأبدان، وفيه شدة الخوف على عقوبات الذنوب لاسيما في الدين؛ فإن كثيرًا من الناس يفعل المعاصي ويستهين بها، ولا يرى أثرًا لعقوبتها ولا يدري المسكين بما أُصيب؛ فقد تكون عقوبته في قلبه كما قال تعالى: ﴿**فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** (٧٧)﴾ [التوبة:٧٧] اللهم إنَّا نعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك لا نُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك واعلم أن الناقد بصير والعقبة كئود، والحمل ثقيل، والسفر طويل؛ فخفف ظهرك من المعاصي والأوزار.

رُوِيَ عن علي ﷺ أنه قال : ما أحسنت إلى أحد قط ولا أسأت إليه، فرفع الناس رؤوسهم تعجبًا فقال: ﴿**إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا**﴾ .

[الإسراء: ٧].

وفي خطاب ينصح فيه ابنه الحسن قال: «يا بني، اجعل لنفسك ميزانًا فيما بينك وبين غيرك، فأحب لغيرك ما تُحب لنفسك، واكره ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تُظلم، وأحسن كما تُحب أن يحسن إليك، واستقبح من نفسك

ما تستقبح من غيرك، وارضَ من الناس ما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل ما لا تعلم، وقل ما تعلم، ولا تقل ما لا تحب أن يُقال لك، ولا تكن عبد غيرك، وقد جعلك الله حراً، واعلم أن حفظ ما في يدك أحب إليك من طلب ما في يد غيرك، ولا تأكل من طعام ليس لك فيه حق، فبئس الطعام الحرام، وجد في الحصول على معاشك» .

وكتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص يقول : إن الله إذا أحب عبداً حببه إلى خلقه؛ فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس، واعلم أن ما لك عند الله مثل ما للناس عندك؛ فأعطِ كل ذي حق حقه، وإذا عرفت فالزم فليس لك إلاَّ أن تتابع صراط الله المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

وهؤلاء لم يبحثوا عن شهرة زائفة كاذبة، وإنما أخلصوا العبودية لله في أقوالهم وأفعالهم فرفع ربنا ذكرهم، وأعلى أثرهم، وجعل العاقبة لهم؛ فازدادوا تواضعًا لربهم ومعرفة بحقه وشكرًا لفضله، وإيَّاك أن تكون ممن يُتابع السبل المعوجَّة طلبًا لشهرة الندامة والحسرة فتبيع دينك بدنيا غيرك، ويغرك بالله الغرور، وتكون قد أخذتها من حرام ووضعتها في حرام وتمتلئ نفسك بعد ذلك غروراً وكبراً ورياءً وعجباً ﴿ **وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨)** ﴾ [الزمر: ٥٤ – ٥٨].

وتذكر حسرة فوت نعيم الجنة، وفوت لقاء الله، وفوت رضاه مع علمك بأنك بعت كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة إذ لم تبع ذلك إلاَّ بشهوات حقيرة في الدنيا أيامًا قصيرة ﴿ **وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي**

غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٣٩) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٤٠) ﴾ .

[مريم: ٣٩، ٤٠].

وعن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ «أن موسى عليه السلام سأل ربه : ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال : رجل يجيء بعدما دخل أهل الجنة الجنة ، فيُقال له ادخل الجنة ، فيقول : رب كيف ، وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول : رضيت رب ، فيقول له : لك ذلك ، ومثله ومثله ومثله ، فقال في الخامسة : رضيت رب ، فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتهت نفسك ولذَّت عينك ، فيقول رضيت رب ، قال : رب ، فأعلاهم منزلة ؟ قال : أولئك الذين أردت ، غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها ، فلم ترَ عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر» [رواه مسلم].

موعظة وتذكرة

اعلم يا مسكين أنك على القرب لا محالة مرتحل، وما بعد الدنيا من دار إلاَّ الجنة أو النار، وأكثرْ من ذكر الموت؛ فإنك لا تكون في ضيق من أمرك ومعيشتك؛ فتذكُر الموت إلاَّ اتسع ذلك عليك، ولا تكون في سرور من أمرك وغبطة فتذكر الموت إلاَّ ضيق ذلك عليك؛ فإن من كان قبلكم كانوا يجمعون كثيراً ويبنون شديداً ويأملون بعيداً؛ فأصبح جمعهم بوراً وبنيانهم قبوراً وأملهم غروراً فكم من مستقبل يومًا لا يستكمله، ومنتظر غداً لا يبلغه، ولو نظرتم إلى الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : « ثلاث أضحكتني حتَّى أبكتني: طالب دنيا والموت يطلبه، وضاحك ملء فيه ولا يدري أأرضى ربه أم أسخطه، وغافل ليس بمغفول عنه » .

وتفكر وتأمل فيما ستصير إليه : فلعلك تنطق كما نطق عمر بن عبد العزيز -رحمه الله - فقال: « قبور خرَّقت الأكفان ومزَّقت الأبدان ومصَّت الدم وأكلت اللحم، تُرى ما صنعت بهم الديدان؟ محت الألوان وعفَّرت الوجوه وكسرت الفقار وأبانت الأعضاء ومزَّقت الأشلاء، تُرى أليس الليل والنهار عليهم سواء، أليس هم في مدلهمة ظلماء؟ كم من ناعم وناعمة أصبحوا وجوههم بالية وأجسادهم عن أعناقهم نائية قد سالت الحدق على الوجنات، وامتلأت الأفواه دمًا وصديداً، ثم لم يلبثوا والله إلاَّ يسيراً حتَّى عادت العظام رميمًا، قد فارقوا الحدائق فصاروا بعد السعة إلى المضائق، ثم راح يُنادي: يا ساكن القبر غداً ما الذي غرَّك من الدنيا؟ أين دارك الفيحاء؟ وأين رقاق ثيابك؟ ليت شعري، كيف ستصبر على خشونة الثرى ؟ وبأي خديك يبدأ البلى؟ » .

ثم يأتي الحسن البصري ينادي : « المبادرة المبادرة؛ فإنما هي الأنفاس لو حبست

انقطعت عنكم أعمالكم أنكم أصبحتم في أجل منقوص،والعمل محفوظ، والموت والله في رقابكم والنار بين أيديكم، فتوقعوا قضاء الله عز وجل في كل يوم وليلة، لقد فضح الموت فلم يترك لذي لب فرحًا، وإن أمرًا هذا الموت آخره لحقيق أن يزهد في أوله، وإن أمرًا هذا الموت أوله لحقيق أن يخاف من آخره، إنك والله وأن تصحب أقوامًا يُخوفونك حتَّى تدرك أمنًا خير لك من أن تصحب أقوامًا يؤمنونك حتَّى تلحقك المخاوف».

وينكشف للإنسان بالموت ما لم يكن مكشوفا له في الحياة والناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا، وأول ما ينكشف له ما يضره وينفعه من حسناته وسيئاته فلا ينظر إلى سيئة إلاَّ ويتحسر عليها وعند ذلك يُقال له ﴿ **كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا** ﴾ [الإسراء: ١٤] ؛ فانظر إلى هذا المأخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والخجلة والحياء والتحسر والندم فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن إليها قبل نزول عذاب القبر به، بل عند موته نعوذ بالله منه؛ فإن الخزي والافتضاح وهتك الستر أعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما وأعظم من ذلك كله الأخطار التي بين يديه ونصب الميزان لمعرفة المقادير، ثم جواز الصراط مع دقته وحدَّته ثم انتظار النداء عند فصل القضاء إما بالإسعاد وإما بالإشقاء، فهذه أحوال لابد لك من معرفتها، ثم الإيمان بها على سبيل الجزم والتصديق، ثم تطويل الفكر في ذلك؛ لينبعث من قلبك دواعي الاستعداد لها، وكما قالوا من لم يردعه ذكر الموت والقبور والآخرة؛ فلو تناطحت الجبال بين يديه لم يرتدع .

ويكفي أن تنظر كيف يُساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة غرلاً إلى أرض المحشر أرض بيضاء قاع صفصف لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا، ولا ترى عليها ربوة يختفي الإنسان وراءها، ولا وهدة ينخفض عن الأعين فيها، يُساقون إليها زمرًا؛ فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الأرض إذ ساقهم

بالراجفة تتبعها الرادفة، والراجفة هي النفخة الأولى، والرادفة هي النفخة الثانية، وحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذ واجفة، ولتلك الأبصار أن تكون خاشعة، قال رسول الله ﷺ: «**يُحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقي ليس فيها معلم لأحد**» [متفق عليه]، وقال تعالى: ﴿**يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ**﴾ [إبراهيم: ٤٨] فانظر يا مسكين في هول ذلك اليوم وشدته؛ فإنه إذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمس الشمس والقمر وأظلمت الأرض لخمود سراجها، فبينا هم كذلك إذ دارت السماء من فوق رؤوسهم وانشقَّت مع غلظها، والملائكة قيام على حافاتها وأرجائها فيا هيبة ليوم تنشق فيه السماء، فصارت وردة كالدهان وصارت السماء كالمهل، وصارت الجبال كالعهن واشتبك الناس كالفراش المبثوث، وهم حفاة عراة مشاة قد ألجمهم العرق، وبلغ شحوم الآذان حتَّى قالت السيدة عائشة: واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض؟! فقال النبي ﷺ: «**شغل الناس عن ذلك بهم** ﴿**لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧)**﴾ [عبس: ٣٧]».

فأعظم بيوم تنكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك النظر والالتفات، كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم على الالتفات إلى غيرهم قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: ركبانًا ومشاة وعلى وجوههم**»، فقال رجل: يا رسول الله، وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: «**الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يُمشيهم على وجوههم**» [رواه الترمذي وحسَّنه].

وفي الصحيحين من حديث أنس أن رجلاً قال: يا نبي الله، كيف يُحشر الكافر على وجهه؟ قال: «**أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة**»؛ فإياك أن تُنكر شيئًا من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس ما في الدنيا؛ فإنك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم

عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكاراً لها؛ فأحضر في قلبك صورتك وأنت واقفًا عاريًا مكشوفًا ذليلاً مدحورًا متحيرًا مبهوتًا منتظرًا لما يجري عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاوة وأعظم هذه الحال؛ فإنها عظيمة.

وما ظنك بيوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لا يأكلون ولا يشربون فيه شربة حتَّى إذا انقطعت أعناقهم عطشًا واحترقت أجوافهم جوعًا، انصرف بهم إلى النار فسقوا من عين آنية قد آن حرها واشتد لفحها، فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة لهم به كلَّم بعضهم بعضًا في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في حقهم، فقال كل نبي نفسي نفسي، وقال كل واحد قد غضب اليوم ربنا غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، حتَّى يشفع نبينا ﷺ لمن يؤذن له فيه ﴿ **يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً** (١٠٩) ﴾.

[طه: ١٠٩].

فتأمل في طول هذا اليوم وشدَّة الانتظار فيه حتَّى يخف عليك انتظار الصبر عن المعاصي في عمرك المختصر، والمؤمن له شأن آخر يوم القيامة قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتَّى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يُصليها في الدنيا**» ثم توهم نفسك وقد أخذت الملائكة بعضديك وأنت واقف بين يدي الله تعالى يسألك شفاهًا فيقول لك: ألم أُنعم عليك بالشباب؟ ففيما أبليته؟ ألم أمهل لك في العمر؟ ففيما أفنيته؟ ألم أرزقك المال؟ فمن أين اكتسبته وفيما أنفقته؟ ألم أكرمك بالعلم؟ فماذا عملت فيما علمت؟ فكيف ترى حياءك وخجلتك وهو يعد عليك إنعامه ومعاصيك وأياديه ومساويك؛ فإن أنكرت شهدت عليك جوارحك.

قال أنس رضي الله عنه كنَّا مع رسول الله ﷺ فضحك ثم قال: «**أتدرون مم أضحك؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**من مخاطبة العبد ربه يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم، قال: يقول بلى، قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي**

إلاَّ شاهداً مني، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا، وبالكرام الكاتبين شهوداً، قال: فيُختم على فيه ويُقال لأركانه انطقي، قال: فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام، فيقول لأعضائه بُعداً وسُحقًا فعنكن كنت أناضل» [رواه مسلم]. فنعوذ بالله من الافتضاح على ملإ الخلق بشهادة الأعضاء، إلاَّ أن الله تعالى وعد المؤمن بأن يستر عليه ولا يطلع عليه غيره.

سأل ابن عمرَ رضي الله عنهما رجلٌ فقال له: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: «**يدنو أحدكم من ربه حتَّى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا وكذا، فيقول نعم، فيقول: عملت كذا وكذا، فيقول: نعم، ثم يقول إني سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم**».

[رواه مسلم].

ثم تفكر في عظم حيائك إذا ذكرك ذنوبك شفاهًا إذ يقول يا عبدي، أما استحييت مني فبارزتني بالقبيح واستحييت من خَلْقي، فأظهرت لهم الجَميل؟ أكنتُ أهون عليك من سائر عبادي؟ أَسْتَخْفتَ بنظري إليك فلم تكترث واستعظمت نظر غيري؟ ألم أنعم عليك؟ فماذا غرَّك بي؟ أظننت أني لا أراك، وأنك لا تلقاني؟ قال رسول الله ﷺ: «**ليقفن أحدكم بين يدي الله عز وجل ليس بينه وبينه حجاب، فيقول له ألم أُنعم عليك ألم أوتك مالاً؟ فيقول: بلى، فيقول: ألم أُرسل إليك رسولاً؟ فيقول: بلى، ثم ينظر عن يمينه فلا يرى إلاَّ النار، ثم ينظر إلى شماله فلا يرى إلاَّ النار؛ فليتق أحدكم النار ولو بشق تمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة**».

ثم يا أيها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال، دعْ الفكر فيما أنت مرتحل عنه، واصرف الفكر إلى موردك؛ فإنك أخبرت بأن النار مورد للجميع، إذْ قيل: ﴿**وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ**

﴿عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢)﴾ [مريم: ٧١، ٧٢]، فأنت من الورود على يقين، ومن النجاة في شك؛ فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد؛ فعساك تستعد للنجاة منه، وتأمل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي يوم القيامة ما قاسوا، فبينما هم في كربها وأهوالها وقوفًا ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها إذْ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب، وأظلَّت عليهم نار ذات لهب، وسمعوا لها زفيراً وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب، وجثت الأمم على الركب حتى أشفق البرآء من سوء المنقلب، وخرج المنادي من الزبانية قائلاً: أين فلان بن فلان المسوِّف نفسه في الدنيا بطول الأمل المُضيع عمره في سوء العمل؟ فيبادرونه بمقامع من حديد ويسوقونه إلى العذاب الشديد وينكسونه في قعر الجحيم ويقولون له: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩)﴾ [الدخان: ٤٩] فأُسكنوا داراً يُوقد فيها السعير، شرابهم فيها الحميم، ومستقرهم الجحيم، الزبانية تقمعهم، والهاوية تجمعهم، أمانيهم فيها الهلاك، وما لهم منها فكاك، قد شدت أقدامهم إلى النواصي واسودَّت وجوههم من ظلمة المعاصي.

﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ (٧٧)﴾ [الزخرف: ٧٧]، ويُقال لهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨)﴾ [المؤمنون: ١٠٨] ولو أخرجتم لكنتم إلى ما نهيتم عنه تعودون، فعند ذلك يقنطون، وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسّفون، ولا ينجيهم الندم، ولا يغنيهم الأسف، بل يكبون على وجوههم مغلولين، النار تُحيط بهم من كل جانب، قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أدنى أهل النار عذابًا يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه**» [متفق عليه]، وقال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: «**لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا، لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف من يكون طعامه ذلك**» [رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح]، وقال النبي ﷺ: «**يُؤتى**

بجهنَّم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام، ومع كل زمام سبعون ألف ملك» .

[رواه مسلم].

فسُق نفسك بسوط الخوف، وقدها بزمام الرجاء إلى الصراط المستقيم؛ فبذلك تنال الملك العظيم، وتسلم من العذاب الأليم، قال أبو هريرة ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «**يُنادي منادٍ: يا أهل الجنة، إن لكم أن تصحّوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً، فذلك قوله تعالى:** ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: ٤٣] .

فشمّر عن ساعد الجد، وإذا رأيت الرجل يُنافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة، وإن استطعت ألاَّ يسبقك إلى الله أحد فافعل، ولا أظنك بعد ذلك ستطلب ظهوراً بالباطل أو ستشتري شهرة زائفة كاذبة على حساب دينك، ثم احذر أن توالي أو تحب من كفر بالله، وإن كان مشهوراً؛ وذلك لأن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله، واحرص على طاعة ربك والبعد عن كل ما يُغضبه سبحانه تفزْ بساعدة الدارين، وقل: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾

[طه: ٨٤].

حياة العبودية لهم خير لو كانوا يعلمون

وقد فَقِهَ فريق من الناس فسعد، وانتقل من هذه الدار بسلام إلى دار السلام، علموا أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾ [الذاريات: ٥٦]، وبها أرسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥)﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وجعل ذلك لازمًا لرسوله ﷺ إلى الموت كما قال: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه، فقال تعالى: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ (٢٠)﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠]، وذم المستكبرين عن عبادته بقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)﴾ [غافر: ٦٠]، ووصف بها صفوة خلقه فقال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦)﴾ [الإنسان: ٦]، وقال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

ولما قال الشيطان: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠)﴾ [الحجر: ٣٩، ٤٠] قال الله تعالى: ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢)﴾ [الحجر: ٤١، ٤٢]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ

﴿وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥)﴾ [مريم: ٨٨ - ٩٥].

وقال تعالى عن المسيح الذي ادُّعيت فيه الألوهية والنبوة: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩)﴾ [الزخرف: ٥٩]، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم؛ فإنما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله ورسوله**»، وقد نعته الله تعالى بالعبودية في أكمل أحواله، فقال في الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾ [الإسراء: ١] وقال: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (١٠)﴾ [النجم: ١٠]، وقال في الدعوة: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩)﴾ [الجن: ١٩]، وقال في التحدي: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣].

فالدين كله داخل في العبادة، وقد ثبت في الصحيح أن جبريل عليه السلام لما جاء إلى النبي ﷺ في صورة أعرابي وسأله عن الإسلام قال: «**أن تشهد أن لا إله إلاَّ الله، وأن محمداً رسول الله، وتُقيم الصلاة، وتُؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال: فما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: فما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» ثم قال في آخر الحديث: «**هذا جبريل جاءكم يُعلمكم أمور دينكم**» فجعل هذا كله من الدين.

والعبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب؛ فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له، ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً له، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له، كما قد يُحب الرجل ولده وصديقه؛ ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة

والذل التام إلاَّ الله، وكل ما أحب لغير الله فمحبته فاسدة، وما عظم بغير أمر الله فتعظيمه باطل، قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤)** ﴾ [التوبة: ٢٤].

وإذا كانت العبادة هي اسم جامع لكل ما يُحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فلا يليق بك أن تجزئ أو أن تُبعّض هذا المفهوم، وعليك أن تقيس أقوالك وأفعالك ومشاعرك وأحاسيسك بهذا الميزان، والعبادة التي نتقرب بها لله تعالى لكي تكون مقبولة فلابد فيها من نية وصحة وإخلاص ومتابعة، كما لابد وأن تشتمل على الحب والخوف والرجاء.

ولأهمية هذه المعاني وشدة تعلقها بأمر الشهرة نفرد كلاً منها بكلمة مختصرة سريعة:

الإخلاص:

قال تعالى: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ** ﴾ [البينة: ٥]، وقال سبحانه: ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)** ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿ **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ﴾ [الملك: ٢].

قال الفضيل بن عياض: هو أخلصه وأصوبه قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصًا، ولم يكن صوابًا لم يُقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتَّى يكون خالصًا وصوابًا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السُّنَّة، ثم قرأ: ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾.

ولا يتخلص العبد من الشيطان إلاَّ بالإخلاص؛ لقوله تعالى: ﴿ **إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ**

الْمُخْلَصِينَ (٨٣) ﴾ [ص: ٨٣] وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ما له؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لا شيء له**» فأعادها ثلاث مرات ويقول رسول الله ﷺ: «**لا شيء له**» ثم قال: «**إن الله لا يقبل من العمل إلاَّ ما كان له خالصًا وابتغى به وجهه**».

[رواه أبو داود والنسائي بإسناد جيد].

وفي الحديث: «**ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مؤمن: إخلاص العمل لله، والمناصحة لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم**» [رواه البزار بإسناد حسن].

فاحذر أن تكون ممن قال الله فيهم: ﴿ **وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٤٨)** ﴾ [الزمر: ٤٨]، ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)** ﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤]، ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا** ﴾

[الفرقان: ٢٣].

وكان البعض يقول: إخلاص ساعة نجاة الأبد، ولكن الإخلاص عزيز؛ ولذلك كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: لو أعلم أن الله تقبَّل مني سجدة لكان فرحي بالموت أشد من فرح الأهل بقدوم الغائب؛ وذلك لأن الله يقول: ﴿ **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧)** ﴾ [المائدة: ٢٧]، ولما قيل للإمام سهل: أي شيء أشد على النفس؟ قال: الإخلاص؛ إذْ ليس لها فيه نصيب، فالنفس تُحب الظهور والشهرة والمدح والرياسة؛ ولذلك كان أشد شيء على النفس إخلاص النية لله عز وجل.

قال أيوب: تخليص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الأعمال.

وإذا كان الإخلاص شرط قبول العبادة فعليك بإفراد الله عز وجل بالقصد في الطاعات وجرِّد هذا القصد عن جميع الشوائب، واعلم أن الخلق جميعًا لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، فضلاً عن أن يملكوا ذلك لك أنت، والجنة والنار بيد الله سبحانه لا بيد أحد سواه؛ فأخلص عملك لله، وليكن

عملك هنا ونظرك في السماء واطرح المخلوقين من حساباتك؛ وذلك لأن ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك.

والإخلاص أن يعافيك الله منهما، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: اللهم اجعل عملي كله صالحًا، واجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه شيئًا، فاجعل حساباتك حساباتٍ أخروية، ولك في أنبياء الله ورسله أسوة وقدوة، قال تعالى: ﴿ **واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار (٤٥) إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار (٤٦) وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار (٤٧)** ﴾ [ص: ٤٥ - ٤٧] وقال في حق يوسف: ﴿ **كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين (٢٤)** ﴾ [يوسف: ٢٤]، وقال: ﴿ **سبحان الله عما يصفون (١٥٩) إلا عباد الله المخلصين (١٦٠)** ﴾ [الصافات: ١٥٩، ١٦٠].

وفي المسند عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**بعثت بالسيف بين يدي الساعة؛ حتى يعبدوا الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري**».

الاتباع:

فالتوحيد توحيدان توحيد المرسِل جلَّ وعلا، وتوحيد متابعة الرسول ﷺ والاتباع هو الشرط الثاني لقبول العمل، وهو الجزء الثاني من كلمة الشهادة التي يدخل بها العباد في الإسلام: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وكل الطرق مسدودة إلا طريق رسول الله ﷺ؛ ولذلك قال تعالى: ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** ﴾ [آل عمران: ٣١] وقال سبحانه: ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** ﴾ [النساء: ٦٥] وقال سبحانه: ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا (٣٦)** ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

حكى الشافعي إجماع الصحابة فمن بعدهم على أنه من استبانت له سُنَّة

رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها؛ لقول أحد من الناس أيًا كان، ثم السُّنَّة تشمل أحكام الشرع التكليفية من واجب ومندوب ومباح، لا كما يتوهم البعض أنها قاصرة على المستحبات، بل هي تشمل أيضًا المسائل الاعتقادية؛ ولذلك أطلقوا وصف أهل السُّنَّة والجماعة على من كان على مثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام تمييزًا لهم عن أهل البدع والافتراق، قال تعالى: ﴿**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ**﴾ [آل عمران: ١٠٦] قال ابن عباس رضي الله عنهما: تَبيضُ وجوه أهل السُّنَّة والجماعة وتسودُّ وجوه أهل البدعة والافتراق، وقالوا: أهل السُّنَّة هم الذين يعرفون ما يدخلونه في بطونهم.

وطاعة النبي ﷺ واجبة، وهي تارة تأتي مفردة مستقلة، وتارة أخرى ترد مقرونة بطاعة الله والسُّنَّة لها شأن مع القرآن؛ فهي تأتي مطابقة لما في القرآن، وتارة أخرى تُخصص العام أو تقيد المطلق، أو تُفصل المجمل، وقد تأتي بأحكام غير موجودة في القرآن، وكل ذلك وحي من عند الله والنبي ﷺ ما ينطق عن الهوى إن هو إلاَّ وحي يوحى ﴿**قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**﴾ [النور: ٥٤]، ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾ [الحشر: ٧]، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٥٩)**﴾ [النساء: ٥٩].

والشرع مبني على الكتاب والسُّنَّة؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**ألا إنَّ ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله**»، وفعل النبي ﷺ سُنَّة، وتركه أيضًا سُنَّة طالما وجد المقتضى، وانتفى المانع مثل ترك الأذان لصلاة العيدين، وترك قراءة القرآن على الموتى، فهذا الترك يُعد سُنَّة، وقد أمرنا رسول الله ﷺ بالاتباع ونهانا عن الابتداع فقال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» [رواه البخاري ومسلم]، وفي رواية لمسلم: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»، وفي حديث العرباض بن سارية: «**فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا**

كثيراً؛ فعليكم بسُنَّتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة» [رواه أحمد والترمذي، وقال حسن صحيح]، وكان ﷺ يقول في خطبته: «إنَّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة» [رواه مسلم].

وعن سفيان قال: لا يقبل قول إلاَّ بعمل، ولا يستقيم قول وعمل إلاَّ بنية، ولا يستقيم قول وعمل ونية إلاَّ بموافقة السُّنَّة، وقال: استوصوا بأهل السُّنَّة خيراً؛ فإنهم غرباء.

وعن ابن شوذب قال: إنَّ من نعمة الله على الشاب إذا نسك أن يُؤاخي صاحب سُنَّة يحمله عليها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وإنما ينجو العبد منها (أي من الأمور التي تعرض لأهل السلوك والتوجه) بملازمة أمر الله الذي بعث به رسوله في كل وقت كما قال الزهري: كان من مضى من سلفنا يقولون: الاعتصام بالسُّنَّة نجاة؛ وذلك أن السنة كما قال مالك – رحمه الله –: مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلَّف عنها غرق.

والعبادة والطاعة والاستقامة، ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك من الأسماء: مقصودها واحد ولها أصلان: أحدهما: أن لا يُعْبد إلاَّ الله، والثاني: أن لا يعبده إلاَّ بما أمر وشرع لا يعبده بغير ذلك من الأهواء والظنون والبدع، قال تعالى: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** (١١٠)﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿**بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** (١١٢)﴾ [البقرة: ١١٢]، وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا** (١٢٥)﴾ [النساء: ١٢٥].

فالعمل الصالح: هو الإحسان وهو فعل الحسنات، والحسنات هي ما أحبه الله

ورسوله، وهو ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب، فما كان من البدع في الدين التي ليست في الكتاب ولا في صحيح السنَّة فإنها وإن قالها من قالها وعمل بها من عمل ليست مشروعة» اهـ.

ونحن في هذا المنهج لا نحتقر طاعة من الطاعات حتّى وإن كانت مستحبة قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾[البقرة: ٢٠٨] والمتهاون في المستحبات يوشك أن يتهاون في الواجبات، وإن كنَّا لا نجعل الواجب كالمستحب، كذلك يجب علينا أن نُحذر هؤلاء الذين يتركون السُّنَّة بزعم الاكتفاء بالقرآن ويُطلقون على أنفسهم وصف القرآنيين، ولو فهموا القرآن لعلموا وجوب متابعة السنة، قال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣) ﴾[النور: ٦٣] وقال النبي ﷺ: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه**»أي السنة، كما نحذر أيضًا هؤلاء الذين يستهزئون ويستخفون بسنة رسول الله ﷺ أو ينتقصون أهلها، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾[الحجرات: ١].

وجعل سبحانه من محبطات الأعمال رفع الصوت بحضرة رسول الله ﷺ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٢) ﴾[الحجرات: ٢].

ولا شك أن هذا الذم يلحق من رفع صوته بالاستهزاء والاستخفاف على سُنَّة النبي ﷺ من بعده، ويكفي هنا أن ننقل ما قاله الإمام مالك فقد أتاه رجل فقال له: من أين أحرم؟ قال له الإمام: من حيث أحرم رسول الله ﷺ. فقال له الرجل: فإني أُريد أن أحرم من أبعد منه. فقال له الإمام: فلا تفعل. قال: ولما؟ قال: أخاف عليك الفتنة. قال الرجل: وأي فتنة في ازدياد الخير؟ فقال له الإمام: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

[النور: ٦٣].

محبة الله تعالى :

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ [المائدة: ٥٤].

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ثلاث من كنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلاَّ لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار**» [متفق عليه].

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟**» فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال رسول الله ﷺ: «**أخبروه أن الله تعالى يحبه**» [متفق عليه].

والإله هو الذي تألهه القلوب بالمحبة والإجلال والتعظيم والذل له والخضوع، والعبادة لا تصلح إلاَّ له وحده سبحانه، وهي عبارة عن كمال الحب مع كمال الخضوع والذل، والله تعالى يُحَب لذاته من جميع الوجوه، وما سواه فإنما يُحب تبعًا لمحبته، وهو سبحانه يتحبب إلينا بالنعم رغم غناه عنَّا ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣] فخيره إلينا نازل وشرنا إليه صاعد، فهو أجود الأجودين وأكرم الأكرمين، يقيل العثرات، ويكشف الكربات، ويغيث اللهفات، ويغفر الخطيئات، ويستر العورات، يرحم عبده حيث لا يرحم نفسه، ويستر عبده حيث لا يستر نفسه، ويستحي من عبده حيث لا يستحي العبد منه؛ فهو سبحانه أحق من ذُكر، وأحق من شُكر، وأحق من عُبد، وأرأف من ملك، وأكرم

من قصد، وأعز من التُجئ إليه، وأكفى من تُوكل عليه، أخذ بالنواصي، وكتب الآثار، ونسخ الآجال؛ فالقلوب له مفضية، والسر عنده علانية، والغيب لديه مكشوف، وكل أحد إليه ملهوف، عنَت الوجوه لنور وجهه، ودلَّت الفِطَر على امتناع مثله وشبهه، يُطاع فيشكر ويُعصى فيغفر؛ فهو أقرب شهيد، وأجل حفيظ، وأوفى بالعهد، وأعدل قائم بالقسط ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ**﴾ [الأعراف: ١٨٠] فكل ما منه إلى عبده يدعوه إلى محبته سبحانه، خلقك لنفسه، وخلق كل شيء لك في الدنيا؛ فلا تنشغل بما خلق لك عمَّا خلقك أنت من أجله.

وقد جعل الله لأهل محبته علامتين: اتباع الرسول، والجهاد في سبيله؛ وذلك لأن الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يُحبه الله من الإيمان والعمل الصالح، وفي دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان، وقد قال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ**﴾ [التوبة: ٢٤].

فتوعَّد من كان أهله وماله أحب إليه من الله ورسوله والجهاد في سبيله بهذا الوعيد الشديد، بل قد ثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه قال: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتَّى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»، وفي الصحيح أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا رسول الله، والله لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلاَّ من نفسي. فقال: «**لا يا عمر حتَّى أكون أحب إليك من نفسك**» فقال: فوالله لأنت أحب إليَّ من نفسي. فقال ﷺ: «**الآن يا عمر**».

فحقيقة المحبة لا تتم إلاَّ بموالاة المحبوب، وهو موافقته في حب ما يحب، وبُغض ما يبغض، والله يُحب الإيمان والتقوى، ويُبغض الكفر والفسوق والعصيان، بل محبة محبوب المحبوب من تمام محبة المحبوب؛ فإذا أحب الأنبياء

وأولياء الله لأجل قيامهم بمحبوبات الحق لا لشيء آخر فقد أحبهم لله لا لغيره، وقد قال تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤].

ومعلوم أن المحبوبات لا تُنال غالبًا إلاّ باحتمال المكروهات سواء كانت محبة صالحة أو فاسدة؛ فالمحبون للمال والرئاسة والصور لا ينالون مطالبهم إلاّ بضرر يلحقهم في الدنيا مع ما يصيبهم من الضرر بالمال نفسه في الدنيا والآخرة؛ فالمحب لله ورسوله ﷺ إذا لم يحتمل ما يرى من تحمل المحبين لغير الله ما يحتملون في سبيل حصول محبوبهم دلَّ ذلك على ضعف محبته لله إذْ كان ما يسلكه أولئك في نظرهم هو الطريق الذي يشير به العقل، ومن المعلوم أن المؤمن أشد حبًا لله كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

والعبد لن يخلُص من آلام الدنيا، ونكد عيشها إلاّ بإخلاص الحب لله بحيث يكون الله هو غاية مراده ونهاية مقصوده، وهو المحبوب له بالقصد الأول، وكل ما سواه إنما يحبه لأجله لا يحب شيئًا لذاته إلاّ الله، ومتى لم يحصل له هذا لم يكن قد حقق حقيقة «**لا إله إلاّ الله**» ولا حقق التوحيد والعبودية والمحبة لله، فمتى كان يُحب غير الله لذاته أو يلتفت إلى غير الله أنه يعينه، كان عبدًا لما أحبه، وعبدًا لما رجاه بحسب حبه له ورجائه إياه.

والخلة هي كمال المحبة المستلزمة من العبد كمال العبودية لله، ومن الرب سبحانه كمال الربوبية لعباده الذين يحبهم ويحبونه، وهي لا تحتمل الشركة بخلاف أصل الحب؛ فإنه ﷺ قال في الحديث الصحيح في الحسن وأسامة: «**اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما**» وسأله عمرو بن العاص ﷺ: أي النساء أحب إليك؟ فقال: «**عائشة**» قال: فمن الرجال؟ قال: «**أبوها**»، وقال لعلي ﷺ: «**لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويُحبه اللهُ ورسولُه**»،

والخلة ثابتة لرسول الله ﷺ فهو خليل الله، والخلة ليس لغير الله فيها نصيب؛ ولذلك قال النبي ﷺ: «**لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً**»، ومن هذا يُعلم مزية مرتبة الخلة على مطلق المحبة.

ومحبة هذه الأمة لله أكمل من محبة مَنْ قبلها، وعبوديتهم لله أكمل من عبودية من قبلهم، وأكمل هذه الأمة في ذلك هم أصحاب محمد ﷺ، ومن كان بهم أشبه كان ذلك فيه أكمل؛ فاتباع هذه الشريعة والقيام بالجهاد بها من أعظم الفروق بين أهل محبة الله وأوليائه الذين يحبهم ويحبونه، وبين من يدعي محبة الله وليس له حظ إلاَّ اتباع البدع، ولا يمكن أن يكون العبد مُحبًا لله والله تعالى غير محب له، بل بقدر محبة العبد لربه يكون حب الله له، وإن كان جزاء الله لعبده أعظم.

يقول ابن تيمية - رحمه الله -: «وإنما دين الحق هو تحقيق العبودية لله بكل درجة وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه، وتكمل محبة الرب لعبده، وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا، وكلما كان في القلب حب لغير الله كانت فيه عبودية لغير الله بحسب ذلك، وكل محبة لا تكون لله فهي باطلة، وكل عمل لا يُراد به وجه الله فهو باطل، كما أن كل عمل لا يكون على الصحيح الصريح من هدي رسول الله ﷺ فهو باطل؛ فالدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلاَّ ما كان لله، ولا يكون لله إلاَّ ما أحبه الله ورسوله، وهو المشروع» اهـ.

وفي كتاب «العبودية» يقول: «وإذا كان العبد مُخلصًا لله اجتباه ربه فأحيا قلبه، واجتذبه إليه فينصرف عنه ما يضاد ذلك من السوء والفحشاء ويخاف من حصول ضد ذلك، بخلاف القلب الذي لم يُخلص لله؛ فإنه في طلب وإرادة وحب مطلق، فيهوى كل ما يسنح له ويتشبث بما يهواه كالغصن أي نسيم مرَّ به عطفه وأماله، فتارة تجتذبه الصور المحرمة وغير المحرمة فيبقى أسيرًا عبدًا لمن لو اتَّخذه هو عبدًا لكان ذلك عيبًا ونقصًا وذمًا، وتارة يجتذبه الشرف والرئاسة،

فترضيه الكلمة وتُغضبه الكلمة ويستعبده من يُثني عليه ولو بالباطل، ويُعادي من يذمه ولو بالحق، وتارة يستعبدهم الدرهم والدينار، وأمثال ذلك من الأمور التي تستعبد القلوب، والقلوب تهواها؛ فيتَّخذ إلهه هواه، ويتبع هواه بغير هدى من الله، ومن لم يكن مُحبًا خالصًا لله عبدًا له قد صار قلبه معبدًا لربه وحده لا شريك له، بحيث يكون أحب إليه من كل ما سواه ويكون ذليلاً خاضعًا، وإلاَّ استعبدته الكائنات واستولت على قلبه الشياطين، وكان من الغاوين إخوان الشياطين، وصار فيه من السوء والفحشاء ما لا يعلمه إلاَّ الله، وهذا أمر ضروري لا حيلة فيه » اهـ.

الخوف من الله :

كلما قويت معرفة العبد بنفسه وبربه كلما ازداد خشية ورهبة من الله تعالى؛ ولذلك قال النبي ﷺ : «**أنا أخوفكم لله**» [رواه البخاري]، وعند البخاري ومسلم من حديث عائشة «**والله إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية**» ولما قيل للإمام الشعبي : يا عالم . قال : إنما العالم من يخشى الله ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر : ٢٨] إذْ قد علم أنَّ الله سبحانه وتعالى لو أهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع ﴿**وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ**﴾ .

[فاطر : ٤٥]

فبحسب معرفة الإنسان بعيوب نفسه ونقصها وتقصيرها ومعرفته بجلال الله تعالى واستغنائه، وأنه لا يُسأل عمَّا يفعل يكون خوفه، وهذا الخوف عندما يتمكن من القلب تظهر آثاره على الجوارح، قال ابن مسعود ﷺ : كفى بخشية الله علمًا وكفى بالاغترار جهلاً، وهناك خوف قاصر يدعو العبد لمواقعة الفواحش والمعاصي، والإفراط في الخوف قد يجر إلى اليأس والقنوط من رحمة الله والاعتدال فيه مطلوب ومحمود، وبمقتضاه يُسارع العبد في طاعة ربه ويتباعد بنفسه عن كل ما يُغضب الله تعالى.

قال الفضيل: إذا قيل لك هل تخاف الله، فاسكت؛ فإنَّك إن قلت لا، كفرت، وإن قلت نعم، كذبت.

وقيل : ليس الخائف من يبكي ثم يمسح دموعه، بل من يترك ما يخاف أن يُعاقب عليه.

وقال بعضهم : من خاف شيئًا هرب منه، ومن خاف الله هرب إليه، وقد وردت أخبار كثيرة في فضل الخوف من الله منها قوله تعالى: ﴿ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦)** ﴾ [الرحمن: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿ **رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨)** ﴾ [البينة: ٨].

وجمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم، قال تعالى: ﴿ **هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (١٥٤)** ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، بل وأمر به سبحانه وجعله شرطًا في الإيمان فقال سبحانه: ﴿ **وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٥)** ﴾ [آل عمران: ١٧٥] فلذلك لا يتصور أن ينفك مؤمن عن خوف وكلما قوى إيمانه قوى خوفه وشدَّة الرهبة والخشية علامة على قوة الإيمان والمؤمن لا ينبغي أن يخاف أحدًا إلاَّ الله؛ فالنفع والضر بيد الله، والأرض والسموات ملك له سبحانه.

وقد تتمهد أسباب الخوف من سَبُعٍ أو نحوه، ومثل هذا لا يذم، قال تعالى: ﴿ **قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ (٤٥)** ﴾ [طه: ٤٥]، وكان موسى عليه الصلاة والسلام قد قتل رجلاً من شيعة فرعون.

وقال تعالى حاكيًا عن أهل الجنة: ﴿ **وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (٢٨)** ﴾ [الطور: ٢٥ – ٢٨]، وقال سبحانه: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١)** ﴾ [المؤمنون: ٥٧

- ٦١] ، وقال النبي ﷺ : «**قال الله عزَّ وجل : وعزتي وجلالي لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين، إن أمنني في الدنيا أخفته يوم أجمع عبادي، وإن خافني في الدينا أمنته يوم أجمع عبادي**» [رواه أبو نعيم وسنده حسن]، وقال النبي ﷺ : «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلاَّ ظله..**» وذكر منهم : «**رجلاً ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**» [رواه البخاري ومسلم]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : «**عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله**» [رواه الضياء وغيره، وسنده صحيح]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «**كان رجل لم يعمل حسنة قط، قال لأهله إذا أنا متُّ فأحرقوني ثم اطحنوني، ثم ذروا نصفي في البرِّ ونصفي في البحر ؛ فوالله لئن قدر الله عليَّ ليعذبني عذابًا ما عذَّبه أحدًا من العالمين، فلما مات الرجل فعلوا به ما أمرهم، فأمر الله البر فجمع ما فيه، وأمر البحر أن يجمع ما فيه، ثم قال : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : من خشيتك يا رب ،وأنت أعلم. فغفر الله له**» [متفق عليه].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إنَّ سلعة الله الجنة**» والدلجة هي السير أول الليل ، والخائف بحق هو الذي يُبادر إلى الأعمال الصالحة.

ومن تأمل حالة النبي ﷺ وصحابته الكرام وجدهم جمعوا بين شدة الخوف من الله مع شدة الاجتهاد في طاعة الله؛ فقد روت عائشة رضي الله عنها « أن رسول الله ﷺ كان إذا تغيَّر الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفًا من عذاب الله » [رواه البخاري ومسلم]، « وكان إذا دخل في الصلاة يسمع لصدره أزيزًا كأزيز المرجل » [رواه أحمد وأبو داود والترمذي]، وعن أنس رضي الله عنه قال : خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط فقال : «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا**» فغطَّى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين. [رواه البخاري ومسلم] .

وكان أبو بكر رضي الله عنه **يقول :** وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن، وكان إذا قام إلى الصلاة كأنه عود من خشية الله عز وجل، وقِسْ على ذلك بقية الصحابة رضوان الله عليهم بشروا بالجنة، وهذا هو خوفهم والواحد منَّا إيمانه لا يجاوز حنجرته، وكأنه في مأمن من عذاب الله.

قال مكحول : من عبد الله بالخوف فقط فهو حروري، ومن عبده بالرجاء فهو مرجئ، ومن عبده بالمحبة فهو زنديق، ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد.

قال بعض السلف : لو نودي ليدخل الجنة كل الناس إلاَّ رجلاً واحداً لخشيت أن أكون أنا ذلك الرجل، ولو نودي ليدخل النار كل الناس إلاَّ رجلاً واحداً لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ، فلابد من الخوف من الله لإحراق نار الشهوة، ولقطع دابر حب الظهور بالباطل.

الرجاء :

اعلم أن الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقربون إلى كل مقام محمود، ومطيتان بهما يقطع من طريق الآخرة كل عقبة كؤود، ولما كانت الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالأرض والإيمان كالبذر فيه والطاعات جارية مجرى تنقية الأرض وتطهيرها، ومجرى حفر الأنهار وسياقة الماء إليها، وأن القلب المستغرق بالدنيا كالأرض السبخة التي لا ينمو فيها البذر، ويوم القيامة هو يوم الحصاد، ولا يحصد أحد إلاَّ ما زرع، ولا ينمو زرع إلاَّ من بَذَرَ بذْرَ الإيمان، وقلَّ أن ينفع إيمان مع خبث القلب وسوء أخلاقه كما لا ينمو البذر في الأرض السبخة؛ فينبغي أن يُقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع، فالانتظار من غير سبب هو عبارة عن حمق وغرور؛ ولذلك قالوا:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إنَّ السفينة لا تجري على اليبس

والرجاء إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت أسبابه الداخلة تحت اختيار

العبد، ولم يبقَ إلاَّ ما ليس إلى اختياره وهو فضل الله سبحانه يصرف الموانع المفسدات؛ فالعبد إذا بثَّ بذر الإيمان وسقاه ماء الطاعات، وطهَّر القلوب من شوك الأخلاق الرديئة، وانتظر من فضل الله تعالى ثباته على ذلك إلى الموت وحسن الخاتمة المفضية إلى المغفرة، كان انتظاره لذلك رجاءً محموداً باعثًا على المواظبة على الطاعات والقيام بمقتضى الإيمان إلى الموت بعكس من قال فيهم: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا ﴾ [الأعراف: ١٦٩]، وذم القائل: ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦) ﴾ [الكهف: ٣٦]، ولذلك قال معروف: رجاؤك لرحمة من لا تطيعه خذلان وحمق، وهذا شبيه بحالة من ينهمك في المعاصي ثم يقول: إن الله غفور رحيم، ونسي أن عذابه هو العذاب الأليم.

قال الحسن: «ليس الإيمان بالتَّمني ولكن ما وقر في القلب وصدَّقه العمل، وإنَّ قومًا غرتهم أماني المغفرة ذهبوا ولا حسنة لهم، وقالوا: نُحسن الظن بالله وكذبوا؛ لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل».

والأخبار في الرجاء كثيرة منها: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي**» [متفق عليه]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) ﴾ [الزمر: ٥٣]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم على رسول الله ﷺ بسبي، فإذا امرأة من السبي تسعى، إذ وجدت صبيًا في السبي، فأخذته فألزقته ببطنها فأرضعته، فقال رسول الله ﷺ: «**أترون هذه المرأة طارحةً ولدها في النار**» قلنا: لا والله، فقال: «**الله أرحم بعباده من هذه بولدها**» [متفق عليه].

وأهل الجنة يدخلون صفوفًا متراصة عددهم مئة وعشرون صفًا – هذه الأمة عبارة عن ثمانين صفًا؛ فلله الحمد والمنة – وفي الحديث: «**والذي نفسي بيده لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يُذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم**» [رواه مسلم]، وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يقول الله تعالى: يا ابن آدم إنَّك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أُبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرتُ لك، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تُشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة**» [حسَّنه الترمذي].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش أنَّ رحمتي تغلب غضبي**» [متفق عليه]، وعن أنس رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أصبتُ حدًا فأقمه عليَّ، فحضرت الصلاة، فصلَّى مع رسول الله ﷺ، فلما قضى الصلاة قال: يا رسول الله، إني أصبتُ حدًا فأقم فيَّ كتاب الله، قال: «**هل حضرت معنا الصلاة؟**» قال: نعم، قال: «**قد غُفِرَ لك**» [رواه البخاري ومسلم وأحمد].

فتأمل هذه الروايات رحمك الله؛ لتعرف مدى سعة رحمة الله تعالى؛ فهو لم يخلق الخلق لكي يعذبهم ﴿**مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ**﴾ [النساء: ١٤٨]، فهذه النعمة تستدعي شكرًا وإيمانًا واستقامة على شرعه سبحانه.

والعبد في سفره إلى ربه عليه أن يستصحب زاد الرغبة والرهبة فبهذا امتدح الله الخُلَّص من عباده فقال: ﴿**وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠)**﴾ [الأنبياء: ٩٠] يرجون رحمته ويخافون عذابه، ولكن ينبغي أن يغلب جانب الخوف في حال الصحة، فإذا نزل به المرض، ودنا من الموت فعليه أن يُغلّب جانب الرجاء؛ لقول النبي ﷺ: «**لا يموتن أحدكم إلاَّ وهو يُحسن الظنَّ بالله**» [رواه مسلم]؛ لأن الرجاء في هذه الحالة يقوي قلبه، ويُحبب إليه ربه.

قال سليمان التيمي عند الموت لمن حضره : حدثني بالرخص؛ لعلي ألقى الله، وأنا أُحسن الظن به.

وهكذا تسير النفس إلى ربها سيراً معتدلاً دون إفراط أو تفريط تتطلَّع لما عند الله تعالى، وتعلم أنَّ الآخرة خير وأبقى، وأنَّ الدنيا ما هي إلاَّ متاع الغرور، وخير زاد تتزوده في سفرها هو زاد التقوى ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٧)**﴾ [البقرة: ١٩٧] وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ**﴾ [البقرة: ٢١٨].

روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يومًا فقال: «**يا غلام إني أُعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنَّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاَّ بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلاَّ بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفَّت الصحف**» [قال الترمذي: حديث حسن صحيح].

أتقياء أخفياء

إن الله يُحب الأتقياء الأبرار الأخفياء الذين إذا غابوا لم يُفتقدوا، وإذا حضروا لم يراعوا ولم يعرفوا، مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة؛ فاحرص على طاعة الله، فإن ظهر أمرك واشتهر حالك فعشْ حياة العبودية لربك، واصرف هذا الظهور فيما يقربك من مولاك وإلاَّ فكن واحداً من هؤلاء الأفاضل، واعلم أن الله سبحانه مُطّلع ورقيب، ومن بطأ به عمله لم يُسرع به نسبه ﴿ **يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٦)** ﴾ .

[المجادلة : ٦].

فاتق الله حيثما كنت، أي في سر أمرك وفي علانيتك، وخفْ من الله على قدر قربه منك وقدرته عليك، فلست تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره، ولا من ملكه إلى ملك غيره، ورب العزة جلَّ وعلا لا تضيع عنده مثاقيل الذر والجزاء من جنس العمل فقدروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا أحبَّ الله العبد قال لجبريل: قد أحببت فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل** ﷺ، **ثم ينادي في أهل السماء: إنَّ الله قد أحبَّ فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض**» [رواه البخاري ومسلم].

ورُويَ أيضًا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**سبعة يُظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلاَّ ظله...**» وذكر منهم «**رجل تصدَّق بصدقة فأخفاها؛ حتَّى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**» ، وأيضًا «**رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال إني أخاف الله**» فاحرص على طاعة الله في حلّك وترحالك وإقدامك وإحجامك وأقوالك وأفعالك، واسأل الله من فضله؛ فلن يهلك على الله إلاَّ هالك.

هل تعرف جليبيبًا؟

لابد وأن يعترينا الخجل إذا كانت الإجابة بالنفي في الوقت الذي تعرفنا فيه على دقائق سير المشهورين من الساسة والزعماء ورجال الأدب والفن وأضعنا الأوقات الكثيرة فيما لا فائدة فيه، وكان أحرى بنا وأولى أن نتعرف على هؤلاء الأفاضل الأخيار؛ فذكراهم تحيي القلوب، وكلنا يحتاج لأسوة وقدوة ، روى مسلم عن أبي برزة أن النبي ﷺ كان في مغزىً له، فأفاء الله عليه فقال لأصحابه: «**هل تفقدون من أحد؟**» قالوا: نعم فلانًا وفلاناً وفلانًا، ثم قال: «**هل تفقدون من أحد؟**» قالوا: نعم فلانًا وفلاناً وفلانًا، ثم قال: «**هل تفقدون من أحد؟**» قالوا: لا، قال: «**لكني أفقد جليبيبًا، فاطلبوه**» فطُلب في القتلى فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه، فأتى النبي ﷺ فوقف فقال: «**قتل سبعة، ثم قتلوه، هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه**» قال فوضعه على ساعديه ليس له إلاَّ ساعدا النبي ﷺ ، قال: فحفر له ووُضِع في قبره، ولم يذكر غسلاً.

وقول النبي ﷺ عن جليبيب: «**هذا مني وأنا منه**» معناه المبالغة في اتحاد طريقتهما واتفاقهما في طاعة الله تعالى، ولكونه مات شهيداً رضي الله عنه لم يُغسَّل ولم يُصلَّ عليه، وهكذا رفع الإسلام جليبيبًا بينما وضع أبا جهل وأبا لهب، وفي الحديث حث على التعرف على أمثال الصالحين حتَّى وإن كانوا مغمورين، والسؤال عنهم وإبراز فضلهم والاعتراف بقدرهم، ويتأكد هذا بصفة خاصة في حق من يقود ويتزعم ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١)**﴾ [الأحزاب: ٢١].

وعن أبي برزة الأسلمي أن جليبيبًا كان امرءًا من الأنصار، وكان أصحاب النبي ﷺ إذا كان لأحدهم أيم (التي لا زوج لها) لم يزوجها حتَّى يعلم النبي ﷺ : هل له فيها حاجة أم لا؟ فقال رسول الله ﷺ ذات يوم لرجل من الأنصار:

«**يا فلان، زوجني ابنتك**» قال: نعم ونعمة عين. قال: «**إني لستُ لنفسي أريدها**» قال: لِمَنْ؟ قال: «**لجليبيب**» قال: يا رسول الله، حتَّى أستأمر (أشاور) أمها، فأتاها فقال: إن رسول الله ﷺ يخطب ابنتك، قالت: نعم ونعمة عين زوج رسول الله ﷺ، قال: إنه ليس لنفسه يريدها، قالت: فلمن؟ قال: لجليبيب، قالت: حلقي ألجليبيب؟ لا لعمر الله لا أزوج جليبيبًا. فلما قام أبوها ليأتي النبي ﷺ قالت الفتاة من خدرها لأبويها: من خطبني إليكما؟ قالا: رسول الله ﷺ. قالت: أفتردون على رسول الله ﷺ أمره؟ ادفعوني إلى رسول الله ﷺ؛ فإنه لن يُضيعني. فذهب أبوها إلى النبي ﷺ، فقال: شأنك بها فزوجها جليبيبًا.

قال إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة لثابت: أتدري ما دعا لها به النبي ﷺ؟ قال: وما دعا لها به النبي ﷺ؟ قال: «**اللهم صبَّ عليها الخير صبًا صبًا، ولا تجعل عيشها كدًا كدًا**» [رواه الإمام أحمد بسند صحيح]. قال ثابت: فزوجها إياه، فما في الأنصار أيم أنفق منها.

قال ابن سعد: وسمعت من يذكر أن جليبيبًا كان رجلاً من بني ثعلبة حليفًا في الأنصار، والمرأة التي زوجها النبي ﷺ إياه من بني الحارث بن الخزرج رضي الله عنه، ولسائل أن يسأل ما لونه؟ وما اسم أبيه؟ وما عمره؟ كل هذا طويَ عنَّا؛ لكونه لا فائدة فيه، وبقي جليبيب علمًا من أعلام الصلاح والتقى ترد سيرته على كل من طلب شهرة زائفة لا خير فيها ولا فائدة معها.

ثم احرص على تحقيق معاني الأخوة الإيمانية، وإلاَّ فهي لا تقتصر على هؤلاء البارزين، ولابد من السعي في مصالح هؤلاء الأخفياء الذين نتوسم فيهم الصلاح والتقى، وإذا افتخر الناس يومًا بأنهم قابلوا فلانًا المشهور وتحدثوا معه أو صافحوه، فيكن لك أنت شأن آخر، تحرص على تقوى الله وتقترب من أهلها.

وماذا تعرف عن ذي البجادين؟

عن محمد بن سعد قال : كان ذو البجادين يتيمًا لا مال له فمات أبوه، ولم يورثه شيئًا وكفله عمه حتَّى أيسر، فلمَّا قدم النبي ﷺ المدينة كانت نفسه تتوق إلى الإسلام ولا يقدر عليه من عمه حتَّى مضت السنون والمشاهد، فقال لعمه: يا عم، إني قد انتظرت إسلامك فلا أراك تُريد محمدًا، فائذن لي في الإسلام، فقال: والله لئن اتبعت محمدًا لا أترك بيدك شيئًا كنت أعطيتكه إلاَّ نزعته منه حتَّى ثوبيك . قال فأنا والله متبع محمدًا وتارك عبادة الحجر، وهذا ما بيدي فخذه، فأخذ ما أعطاه حتَّى جرده من إزاره ، فأتى أمه فقطعت بجادًا لها باثنين، فاتزر بواحد، وارتدى الآخر، ثم أقبل إلى المدينة، وكان بورقان (جبل على يمين المار من المدينة إلى مكة) فاضطجع في المسجد في السحر (الوقت من آخر الليل) وكان رسول الله ﷺ يتصفح الناس إذا انصرف من الصبح، فنظر إليه فقال: «**من أنت؟**» فانتسب له، وكان اسمه عبد العزى، فقال: «**أنت عبد الله ذو البجادين**»، ثم قال: «**انزل مني قريبًا**» ، فكان يكون في أضيافه حتى قرأ قرآنًا كثيرًا، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك قال: ادع الله لي بالشهادة. فربط النبي ﷺ على عضده لحى سمرة (من شج الطلح) ، وقال: «**اللهم إني أحرم دمه على الكفار**» فقال: ليس هذا ما أردت. قال النبي ﷺ: «**إنك إذا خرجت غازيًا فأخذتك الحمى فقتلتك فأنت شهيد أو وقصتك دابتك** (كسر العنق) **فأنت شهيد**» فأقاموا بتبوك أيامًا ثم توفى.

قال بلال بن الحارث: حضرت رسول الله ﷺ ومع بلال المؤذن شعلة من نار عند القبر واقفًا بها، وإذا رسول الله ﷺ وهو يقول: «**أدنيا إليَّ أخاكما**» فلمَّا هيأه لشقه في اللحد قال: «**اللهم إني قد أمسيت عنه راضيًا فارضَ عنه**» فقال ابن مسعود رضي الله عنه : ليتني كنت صاحب اللحد.

وعن أبي وائل عن عبد الله قال: والله لكأني أرى رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبر عبد الله ذي البجادين وأبو بكر وعمر يقول: «**أدنيا إليَّ أخاكما**» وأخذه من قبل القبلة حتَّى أسكنه في لحده ثم خرج النبي ﷺ ووليّاهما العمل، فلما فرغ من دفنه، استقبل القبلة رافعًا يديه يقول: «**اللهم إني أمسيت عنه راضيًا، فارضَ عنه**» [أخرجه البزار عن شيخه عباد بن أحمد العرزمي وهو متروك] وكان ذلك ليلاً يقول ابن مسعود فوالله لوددت أني مكانه، ولقد أسلمت قبله بخمس عشرة سنة .

فرضى الله عن ذي البجادين وعن سائر صحابة النبي ﷺ واعلم أن كل صحابي أفضل من كل من جاء بعده، سواء كان مشهوراً أو غير مشهور.

حُدير

أورد ابن الجوزي في «صفة الصفوة» رواية عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بعث جيشًا فيهم رجل يُقال له: حُدير وكانت تلك السنة قد أصابتهم سنَة (شدة) من قلَّة الطعام فزودهم رسول الله ﷺ ونسى أن يُزود حديرًا، فخرج حُدير صابرًا محتسبًا، وهو في آخر الركب يقول: لا إله إلاَّ الله، والله أكبر، والحمد لله، وسبحان الله، ولا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله، ويقول: نعم الزاد هو يا رب، فهو يرددها وهو في آخر الركب. قال: فجاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال له: «إن ربي أرسلني إليك يُخبرك أنك زودت أصحابك ونسيت أن تزود حديرًا وهو في آخر الركب يقول: لا إله إلاَّ الله، والله أكبر، وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله، ويقول: نعم الزاد هو يا رب، قال: فكلامه ذلك له نور يوم القيامة ما بين السماء والأرض؛ فابعث إليه بزاد».

فدعا النبي ﷺ رجلاً فدفع إليه زاد حدير وأمره إذا انتهى إليه حفظ عليه ما يقول، وإذا دفع إليه الزاد حفظ عليه ما يقول، ويقول له: إن رسول الله ﷺ «**يقرئك السلام ورحمة الله، ويخبرك أنه كان نسي أن يزودك، وإن ربي تبارك وتعالى أرسل إليَّ جبريل يذكرني بك، فذكّره جبريل، وأعلمه مكانك**» فانتهى إليه وهو يقول: لا إله إلاَّ الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله، ويقول: نعم الزاد هو يا رب. قال: فدنا منه ثم قال له: رسول الله ﷺ يقرئك السلام ورحمة الله، وقد أرسلني إليك بزاد معي، ويقول: إني إنما نسيتك، فأُرسل إليَّ جبريل من السماء يذكرني بك قال: فحمد الله وأثنى عليه، وصلَّى على النبي ﷺ ثم قال: الحمد لله رب العالمين، ذكرني ربي من فوق سبع سماوات، ومن فوق عرشه، ورحم جوعي وضعفي، يا رب كما لم تنسَ حديرا فاجعل حديرًا لا ينساك. قال: فحفظ ما قال، ورجع إلى النبي ﷺ، فأخبره بما سمع منه حين أتاه وبما قال حين أخبره فقال رسول الله ﷺ: «**أما إنك لو رفعت رأسك إلى السماء لرأيت لكلامه ذلك نورًا ساطعًا ما بين السماء والأرض**»

سعيد بن عامر

أسلم قبل خيبر، وشهدها مع رسول الله ﷺ وما بعدها، أرسل إليه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فقال: إنَّا مستعملوك على هؤلاء، فسرْ بهم إلى أرض العدو فتجاهد بهم. فقال: يا عمر لا تفتنِّي . فقال عمر: والله لا أدعكم جعلتموها في عنقي ثم تخليتم عني، ثم استعمله على حمص، وقال له: ألا تفرض لك رزقًا؟ قال: قد جعل الله تعالى في عطائي ما يكفيني دونه أو فضلاً على ما أريد .

وعن حسان بن عطية قال: لما عزل عمر بن الخطاب معاوية بن أبي سفيان عن الشام بعث سعيد بن عامر بن حزيم الجمحي. قال: فخرج معه بجارية من قريش نضيرة الوجه، قال: فما لبث إلاَّ يسيرًا حتَّى أصابته حاجة شديدة، قال: فبلغ ذلك عمر، فبعث إليه ألف دينار، قال: فدخل بها على امرأته فقال: إنَّ عمر بعث إلينا بما ترين، فقالت: لو أنك اشتريت أدمًا وطعامًا وادّخرت سائرها، فقال لها: أوَلا أدلك على أفضل من ذلك؟ نُعطي هذا المال من يتجر لنا فيه، فنأكل من ربحها وضمانها عليه، قالت: فنعم إذًا. فاشترى أدمًا وطعامًا، واشترى غلامين وبعيرين يمتران عليهما حوائجهم وفرقها على المساكين وأهل الحاجة.

قال: فما لبث إلاَّ يسيرًا حتَّى قالت له امرأته: إنه قد نفذ كذا وكذا، فلو أتيت ذلك الرجل فأخذت لنا من الربح فاشتريت لنا مكانه. قال: فسكت عنها ثم عاودته فسكت عنها حتَّى آذته، ولم يدخل بيته إلاَّ من ليل إلى ليل. قال: وكان رجل من أهل بيته ممن يدخل بدخوله ، فقال لها: ما تصنعين؟ إنك قد آذيته إنه قد تصدق بذلك ، قال: فبكت أسفًا على ذلك المال، قال: ثم إنه دخل عليها يومًا فقال: على رسلك، إنه كان لي أصحاب فارقوني منذ قريب ما أحب أني صددت عنهم، وإنَّ لي الدنيا وما فيها، ولو أن خيرة من خيرات الجنان اطّلعت من السماء لأضاءت لأهل الأرض، ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر،

ولنصيف تكسى خير من الدنيا وما فيها، فلأنت في نفسي أحرى أن أدعك لهن من أن أدعهن لك قال: فسمحت ورضيت.

وعن خالد بن معدان قال: استعمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بحمص سعيد ابن عامر بن حزيم، فلما قدم عمر رضي الله عنه حمص قال: يا أهل حمص، كيف وجدتم عاملكم؟ فشكوه إليه، وكان يُقال لأهل حمص الكويفة الصغرى؛ لشكايتهم العمال، قالوا: نشكوا أربعًا: لا يخرج إلينا حتَّى يتعالى النهار، قال أعظم بها، قال: وماذا؟ قالوا: له يوم في الشهر لا يخرج فيه إلينا. قال عظيمة، قال: وماذا؟ قالوا: لا يُجيب أحدًا بليل. قال: وعظيمة. قال: وماذا؟ قالوا: يغنظ الغنظة بين الأيام، أي تأخذه موتة. قال: فجمع عمر بينهم وبينه وقال: اللهم لا تفيّل (لا تضعف) رأي فيه اليوم، ما تشتكون منه؟ قالوا: لا يخرج إلينا حتَّى يتعالى النهار، قال: والله إن كنت لأكره ذكره، إنه ليس لأهلي خادم،؛ فأعجن عجينهم، ثم أجلس حتَّى يختمر، ثم أخبز خبزي، ثم أتوضأ ثم أخرج إليهم، فقال: ما تشتكون منه؟ قالوا: لا يُجيب أحدًا بليل، قال: ما يقولون؟ قال: إن كنت لأكره ذكره، إني جعلت النهار لهم وجعلتُ الليل لله عز وجل، قال: وما تشتكون منه؟ قالوا: إنَّ له يومًا في الشهر لا يخرج إلينا فيه، قال: ما يقولون؟ قال: ليس لي خادم يغسل ثيابي، ولا لي ثياب أبدلها فأجلس حتَّى تجف ثم أدلكها،ثم أخرج إليهم من آخر النهار، قال: ما تشتكون منه؟ قالوا: يغنظ الغنظة (أشد الكرب والجهد) بين الأيام، قال: ما يقولون؟ قال: شهدت مصرع خُبيب الأنصاري بمكة، وقد بضعت قريش لحمه ثم حملوه على جذع، فقالوا: أتُحب أن محمدًا مكانك؟ فقال: والله ما أحب أني في أهلي وولدي، وأن محمدًا شيك بشوكة، ثم نادى يا محمد، فما ذكرت ذلك اليوم وتركي نصرته في تلك الحال وأنا مُشرك لا أؤمن بالله العظيم إلاَّ ظننت أنَّ الله عز وجل لا يغفر لي بذلك الذنب أبدًا فتُصيبني تلك الغنظة.

فقال عمر: الحمد لله الذي لم يفيل فراستي، فبعث إليه بألف دينار، وقال: استعن بها على حاجتك، فقالت امرأته: الحمد لله الذي أغنانا عن خدمتك، فقال لها: فهل لك في خير من، ذلك ندفعها إلى من يأتينا بها أحوج ما نكون إليها، قالت: نعم، فدعا رجلاً من أهله يثق به فصررها صرراً ثم قال: انطلق بهذه إلى أرملة فلان، وإلى مسكين آل فلان، وإلى مبتلى آل فلان، فبقيت منها ذهبية فقال: أنفقي هذه ثم عاد إلى عمله، فقالت: ألا تشتري لنا خادمًا، ما فعل ذلك المال؟ قال: سيأتيك أحوج ما تكونين .

وقد مات سعيد بن عامر رضي الله عنه في سنة عشرين في خلافة عمر رضي الله عنه، ونسأل الله تعالى أن يُمتنا على محبة صحابة النبي ﷺ، وأن يحشرنا في زمرتهم مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

أويس بن عامر القرني

روى مسلم عن أُسير بن جابر أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس، فقال عمر: هل ههنا أحد من القرنيين، فجاء ذلك الرجل، فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد قال: «**إن رجلاً يأتيكم من اليمن يُقال له أويس، لا يدع باليمن غير أم له، قد كان به بياض، فدعا الله، فأذهبه عنه إلاَّ موضع الدينار أو الدرهم، فمن لقيه منكم فليستغفر لكم**».

قال النووي: «قوله وفيهم رجل يسخر بأويس أي يحتقره ويستهزئ به، وهذا دليل على أنه يخفي حاله ويكتم السر الذي بينه وبين الله عز وجل، ولا يظهر منه شيء يدل لذلك، وهذه طريق العارفين، وخواص الأولياء رضي الله عنهم» اهـ.

وعن عمر بن الخطاب قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن خير التابعين رجل يُقال له أويس، وله والدة وكان به بياض، فمروه فليستغفر لكم**» وفي رواية أخرى قال لعمر: «**فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل**» وهذه منقبة ظاهرة لأويس رضي الله عنه وفيه استحباب طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح، وإن كان الطالب أفضل منهم.

وروى مسلم أيضاً عن أسير بن جابر قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر حتَّى أتى على أويس، فقال: أنت أويس بن عامر؟. قال: نعم. قال: من مراد ثم من قرن؟. قال: نعم، قال: فكان بك برص فبرأتَ منه إلاَّ موضع درهم؟. قال: نعم. قال: لك والدة؟. قال: نعم. قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلاَّ موضع درهم، له والدة هو بها برٌّ، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل**» فاستغفر لي، فاستغفر له، فقال عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة، قال: ألا

أكتب لك إلى عاملها. قال: أكون في غبراء الناس (أي ضعافهم الذين لا يؤبه لهم، وهذا من إيثار كتم حاله وترك الشهرة) أحب إليَّ.

قال: فلما كان من العام المقبل حجَّ رجل من أشرافهم، فوافق عمر فسأله عن أويس، قال: تركته رث البيت، قليل المتاع، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن، من مراد ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلاَّ موضع درهم، له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره؛ فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل**»، فأتى أويسًا فقال: استغفر لي، قال: أنت أحدث عهدًا بسفر صالح؛ فاستغفر لي، قال: لقيت عمر. قال: نعم. فاستغفر له؛ ففطن له الناس؛ فانطلق على وجهه، قال أسير: وكسوته بردة، فكان كلما رآه إنسان، قال: من أين لأويس هذه البردة.

وفي قصة أويس هذه معجزات ظاهرة لرسول الله ﷺ، وفيها التصريح بفضل أويس القرني وأنه خير التابعين.

قال النووي: «وقد يُقال: قد قال أحمد بن حنبل وغيره: أفضل التابعين سعيد بن المسيب، والجواب أن مرادهم أن سعيدًا أفضل في العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه ونحوها لا في الخير عند الله تعالى، وفي هذه اللفظة معجزة ظاهرة أيضًا» اهـ.

ويُذكر أن أويسًا ارتقى يومًا درج مسجد الكوفة، ثم قال: يا أهل الكوفة توسدوا الموت إذا نمتم، وضعوه نصب أعينكم إذا قمتم، وقد سمّاه الشاطبي سيد العباد بعد الصحابة؛ لما عرف عنه من كثرة العبادة، ويصفه الذهبي بأنه القدوة سيد التابعين في زمانه، وكان أحمد بن حنبل يضرب به المثل في الزهد، فيقول: لا زهد إلاَّ زهد أويس، بلغ به العرى حتَّى قعد في قوصرة.

وكان أويس يقول: «بلغني أنَّ لله عبادًا سجودًا أبدًا»، وكان يقول: «لأعبدن الله في الأرض كما تعبده الملائكة في السماء» وكان يقول أيضًا: «يا عجبًا ممن

يعلم أن الجنة تُزين فوقه، و أن النار تُسعر تحته، كيف ينام من هو بينهما ينظر إليهما».

وكان ينصح هرم بن حيان بلزوم الجماعة، يقول له: «لا تُفارق الجماعة؛ فتُفارق دينك» وكان يعتذر إلى ربه ويقول: «اللهم إني أعتذر إليك اليوم من كل كبد جائعة، وبدن عاري؛ فإنه ليس في بيتي من الطعام إلاَّ ما في بطني، وليس شيء من الدنيا إلاَّ ما على ظهري» ولم يكن على ظهره حينئذ إلاَّ خرقة، وكان يقول: «إن قيام المؤمن بأمر الله لم يبق له صديقًا» فرحمه الله رحمة واسعة.

الخاتمة

ونحن نعيش هذه الغربة المستحكمة والمتمثلة في الشرود عن منهج الله، وما تبع ذلك من اختلال الموازين وجني ثمار المذلة والمهانة والنكد، فمن المعلوم أن لكل مقدمة نتيجة، ولكل عقيدة تأثير، ولا سعادة للأفراد والجماعات إلاَّ بالاستقامة على منهج ﴿ **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ ولا يَشْقَىٰ (١٢٣)** ﴾ [طه: ١٢٣] وبمقدار الانحراف عن هذا المنهج الرباني بمقدار التعاسة التي تصيب البشرية ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا** ﴾ [طه: ١٢٤].

وقد توهم أناس من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا أن التطور والتقدم يحدث عندما نأخذ ما عليه الشرق والغرب من فلسفات وعلوم وفنون أو بأن ننقب عن الحفريات القديمة لنؤكد انتساب المصريين إلى الفراعنة، وأن هذه الأمة أمة فرعونية، وأن غيرها من المسلمين ينتسب إلى الآشورية أو البابلية أو الفينيقية !! هكذا تمزيقًا لأواصر هذه الأمة وإبعادًا لها عن دينها الذي ارتضاه ربها لها، وقد ظنَّ فريق آخر أن اللعب من ملذات الحياة المادية وأن الانتقال من فيلم إلى أغنية، ومن شهوة إلى أخرى سيُحقق لها ما يصبون إليه من سعادة ويكونون بذلك قد عاشوا حياتهم واستمتعوا بها، وكانوا في واقع الحال يعيشون حياة البهائم السائمة ينتقلون من كرب إلى غم وهم في ذلك كله كالمستجير من الرمضاء بالنار، بل هذه البهائم قد تفضلهم؛ لأنها تعرف أن لها ربًا وخالقًا تُسبحه ﴿ **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** ﴾ [الإسراء: ٤٤].

فالمشاكل تعتصرهم والأعداء من اليهود وغيرهم على أبوابهم، ثم كانت هذه النصوحة المباركة التي تعرفت على الداء والدواء، وعلمت أن داء الأمة والذي انبثقت منه أعراض الأمة المرة، إنَّما يكمن في الإعراض عن منهج الله، ودوائها عبارة عن الرجوع لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ جملة وتفصيلاً، والاستمساك

بحبل الله المتين دون إفراط أو تفريط مع تقديم الأهم على المهم، ومراعاة مقتضى الحال.

وقام بعض الدعاة - جزاهم الله خيراً - يردون الأمة رداً جميلاً لدينها ويُبصرونها بتوحيد الله عز وجل، وبأهمية الاتباع لسنة رسول الله ﷺ، وأن تزكية الأفراد والجماعات، ونيل رضوان الله عز وجل لا يُمكن أن يحدث دون توحيد واتباع، وتطرق الحديث إلى بيان المستحبات والواجبات كإطلاق اللحية وارتداء المرأة للجلباب الشرعي... وهنا ثارت ثائرة البعض ممن فهم الإسلام فهماً مغلوطاً، فقال: كيف تتحدثون في تحريم الغناء والموسيقى وحلق اللحية... واليهود على الأبواب والأمة تعاني من مشاكل اقتصادية خانقة، وظنَّ هذا الفريق أنه قد ألقم شباب الصحوة حجراً، وقد أحسن صنعاً بقوله ذلك؟، ويحسن بنا قبل أن نجيب عن هذه الشبهة أن نورد بعض النصوص الشرعية؛ لتكون فيصلاً في محل النزاع ﴿ **فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٥٩)** ﴾ [النساء: ٥٩]، قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً (٧٤)** ﴾.

[الفرقان: ٧٤].

وأصل وأساس التقوى أن يلتزم العبد الواجبات وأن يترك المحرمات وتمامها يكون بالتزام المستحبات، وترك المكروهات، وقال تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا** ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

قال سفيان بن عيينة: لما أخذوا برأس الأمر (أي بالصبر واليقين) جعلهم ربنا رؤوساً (أي أئمة) وأمر الله يشمل الواجبات والمستحبات ولا يتصور فيمن أخذ برأس الأمر أن يتهاون في المستحبات، وعن أبي عمرو جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «كنَّا في صدر النهار عند رسول الله ﷺ، فجاء قوم عراة مجتابي النمار - أو العباء - متقلدي السيوف عامتهم بل كلهم من مضر، فتمعر وجه رسول الله ﷺ

لما رأى منهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلال فأذن وأقام ثم صلّى ثم خطب فقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً** ﴾ [النساء: ١]، والآية الأخرى التي في الحشر: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ** ﴾ [الحشر: ١٨].

تصدق رجل من دينار من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره، حتَّى قال: ولو بشق تمرة، فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها - بل قد عجزت - ثم تتابع الناس حتَّى رأيت كومين من طعام وثياب حتَّى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة فقال رسول الله ﷺ: «**من سنَّ في الإسلام سنَّةً حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنَّةً سيّئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**» [رواه مسلم].

والصدقة مشروعة، وهذا الصحابي الجليل أبتدأ هذه الشعيرة وتتابع الناس على هذا الفعل المسنون ومعلوم أن السُّنَّة هي طريقة النبي ﷺ المحمودة بأن سلكها هو والصحابة من بعده أو هي كل ما ثبت عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة يقصد بها التشريع للأمة، والسُّنَّة تشمل الواجبات والمستحبات.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**» [رواه مسلم] وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله**» [رواه مسلم].

وفي حديث سهل بن سعد الساعدي قال النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه: «**فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم**» [متفق عليه].

فمن يزهد بعد ذلك في هذا الثواب؟!، وما الذي يمنعه من إبلاغ الحق إلى الخلق، وبيان المستحبات والواجبات للناس، وقد قال سبحانه: ﴿**وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ**﴾ [القصص: ٨٧]، وقال: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ**﴾ [المائدة: ٢]، وقال تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ**﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وكلمة الخير تشمل كل ما ندبنا إليه الشرع وحثنا عليه.

وعن تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الدين النصيحة**» قلنا: لمن؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**» [رواه مسلم]، فإن لم تكن النصيحة بالواجبات والمستحبات، فبأي شيء تكون، وما معنى كلمة الإسلام، هذا الدين الذي نتشرف جميعًا بالانتساب إليه، ومتى كان الإسلام كلمة هلامية لا معنى لها ولا مضمون؟ بل وما معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والذي ورد في مواضع عديدة من كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ، مثل قوله تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾ [التوبة: ٧١]، ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ**﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من رأى منكم منكرًا فليُغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**» [رواه مسلم].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلاَّ كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنَّته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يُؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن،**

ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الإيمان حبَّة خردل» .

[رواه مسلم].

والمعروف يشمل الواجب والمستحب، والمنكر يشمل المحرم والمكروه؛ ولذلك قال النبي ﷺ: «**نعم الرجل عبد الله، لو كان يقوم من الليل**» ومعلوم أن قيام الليل مُستحب ليس بواجب، وقال: «**يا عبد الله، لا تكن مثل فلان؛ كان يقوم الليل ثم تركه**» وقد أنكر ابن عباس رضي الله عنهما على من كفت شعره داخل العمامة، فسدله له وبذلك استدلَّ الإمام النووي على جواز الإنكار باليد على من ارتكب مكروهًا.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**مثل القائم في حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنَّا خرقنا في نصيبنا خرقًا، ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا**»

[رواه البخاري].

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا**﴾ [آل عمران: ٧٥]: «من حفظ الكثير وأداه فالقليل أولى، ومن خان في اليسير أو منعه فذلك في الكثير أكثر» .

وطاعة الله هي سبب كل خير وسعادة، والمعصية هي سبب كل شر وبلاء قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم**﴾ [المائدة: ٦٦].

وقد بيَّن ربنا جل وعلا خطورة الربا فقال سبحانه وتعالى: ﴿**يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ**﴾ [البقرة: ٢٧٦] وفي الحديث: «**إياكم وكثرة الحلف في**

البيع ؛ فإنه ينفق ثم يمحق» [رواه مسلم] بل وكيف ننتصر على الأعداء ونحقق الرخاء ونحن نعمل بالمعاصي، ومعلوم أن المعصية وهنٌ في القلوب وتفرق في الصفوف ومحق لبركة العمل، قال تعالى: ﴿ **وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ** ﴾ [المائدة: ١٤]. وهل أمثال هؤلاء سيكونون مجتمعًا صالحًا منتجًا متآلفًا؟!!.

وكان سلف الأمة رضوان الله عليهم إذا تأخر عنهم النصر كانوا يبحثون ويُفتشون في أنفسهم لعلَّهم تخلفوا عن سُنَّة كسنَّة السواك، فتأخر النصر عنهم بسبب ذلك، ورب العزة جل وعلا يقول: ﴿ **إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾ [محمد: ٧] فيكن همّنا هو تعظيم حرمات وشعائر الله عز وجل؛ وذلك لأن التهاون في المستحبات يجر إلى التهاون في الواجبات، والإقدام على المكروهات قد يجر إلى مواقعة المحرمات والولوغ فيها، وتقديم الأهم على المهم ليس معناه احتقار الطاعات؛ وذلك لأن المهم الذي أخرناه لمقتضى الحال لا يزال مهمًا.

قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩)** ﴾ [آل عمران: ٧٩] قال: هم الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره.

وخلاصة القول:

أنه لابد من علم وعمل ودعوة وصبر على هذه المعاني جميعًا مع مراعاة شمول الشريعة لجميع جوانب الحياة، ومع الحرص على الجمع بين المصالح جميعًا، والالتزام بجميع الطاعات الواجب منها والمستحب، والإقلاع عن المحرمات والمكروهات، فإذا لم يكن الجمع قدمنا الواجب على المستحب والتزمنا أعظم المصلحتين والمنفعتين بترك أدناهما وفوتنا أعظم المضرتين والمفسدتين بالتزام أدناهما.

وحسبنا أن نكون قد تكلمنا في بعض المسائل والقضايا التي عمَّت بها البلوى ووضحنا معنى الشهرة ومجالاتها، والآفات التي تُصاحبها غالبًا، وكيف يتم صناعة المشاهير، والطريق الذي تتم به سعادة الدارين؛ فإن كنت قد أصبتُ فذلك بتوفيق الله وفضله،وإن كنت قد أخطأتُ فذلك من نفسي ومن الشيطان، والله منه بريء، والمصيب هو من وافق الكتاب والسُّنَّة في حكمه على نفسه وعلى الأشياء من حوله، سواء في ذلك أجمل معنى أو بسطه، والإسلام كان ولا يزال صالحًا لكل زمان ومكان، والمستجدات والتطورات لها حكمها في كتاب الله وفي سُنَّة رسول الله ﷺ، وهذا هو دور علماء الأمة المعتبرين في تطبيق الحكم الشرعي على واقعه المناسب والمساوي له؛ ولذلك لا يصح القول بإغلاق باب الاجتهاد؛ فهذا الباب سيظل مفتوحًا لكل من تأهل وأخذ بأسباب وأدوات الاجتهاد.

والله نسأل أن يجعل عملنا خالصًا لوجهه الكريم، وألاَّ يجعل لأحد فيه شيئًا، وأن ينفعنا بما علمنا، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فهرس

فهرس

مقدمة ٥
الشهرة ومشتقاتها ١١
السبق والمنافسة ١٣
بعض صور الشهرة ١٩
الشهرة بالعلم والصلاح ١٩
مراتب الهداية ٢٠
أسماء الأنبياء والرسل مرتبة حسب تواريخ نزولهم ٢٦
الفرق بين النبي والرسول ٢٧
تفاوت العباد في مراتب الفضل ٢٧
وجوب دخول اليهود والنصارى والناس كافة في دين الإسلام ٢٩
عالم الملائكة الأبرار ٣٦
أنواع العلوم ٣٩
أولاً: العلوم الشرعية ٣٩
بيان ما هو فرض عين وفرض كفاية ٤١
المعلوم من الدين بالضرورة ٤٤
فضل العلم ومنزلة العلماء ٤٦
هل المسلم مطالب باتباع مذهب عالم من العلماء المشهورين ٤٧
القرار التاسع بشأن موضوع الخلاف الفقهي بين المذاهب والتعصب لمذهب ٥١
ولاية الله والطريق إليها ٥٤
قاعدة في المعجزات والكرامات ٥٦
خوارق غير الأولياء ٦٠

الغلو في الصالحين ٦١
ثانيًا : العلوم الكونية ٦٥
العلوم الرياضية ٦٧
الشهرة بالشر والفساد ٧٦
عالم الجن والشياطين ٧٧
علماء السوء ٧٧
الشهرة بالمال ٨١
الشهرة بالجاه والسلطان ٨٣
الشهرة بالجمال ٨٦
الشهرة بالرياضة ٩٠
القرار الثالث من قرارات مجلس المجمع الفقهي الإسلامي بشأن موضوع
الملاكمة والمصارعة الحرة ومصارعة الثيران ٩٤
فتوى اللجنة في كرة القدم ٩٧
الشهرة بالأدب ٩٨
القرار الثاني بشأن الرواية التي كتبها المدعو سلمان رشدي ١٠٢
الشهرة بالفن ١٠٥
حكم الرسم والتصوير والنحت ١٠٧
فتاوى مهمة تتعلق بالتصوير ١١١
حكم الموسيقى والغناء ١١٣
صور مباحة من الغناء ١١٥
فتاوى مهمة تتعلق بالموسيقى ١١٩
حكم الرقص ١٢٣
حكم التمثيل ١٢٦
التمثيل الديني ١٣٠

حكم الأماكن المشهورة ١٣٦
دخول ديار الهلكى والمعذبين (زيارة الآثار) ١٣٩
لعنة الفراعنة ١٤٢
الزيارة الشرعية والزيارة البدعية ١٤٤
التحذير من اتخاذ القبور مساجد ١٤٩
فتوى مهمة في كتاب مختصر الفتاوى المصرية «الدفن في المسجد غير جائز ١٥٣
وذكرهم بأيام الله ١٥٦
مخالفة أصحاب الجحيم في أعيادهم ١٥٨
بدعة عيد مولد النبي ﷺ ١٦٠
كيف نجهل شهر ذي القعدة وذي الحجة ونعرف مارس وإبريل؟! ١٦١
آدم أول من تكلَّم باللغات كلها ١٦٥
العامية دعوة تغريبية ومعرفة العربية فرض واجب ١٦٧
أسباب الشهرة وصناعة المشاهير ١٧٠
صلة الرحم سبب بقاء الذكر الجميل ١٧٢
سبب شهرة الأئمة الأربعة ١٧٦
كثرة القرَّاء والسبب في الاقتصار على السبع ١٧٦
ميكافيللي أحد صناع الشهرة الزائفة ١٧٩
كيف صنعوا المشاهير ببلادنا ١٨١
آفات الشهرة ١٨٥
[١] إرادة الإنسان بعمله الدنيا ١٨٥
[٢] الرياء ١٨٧
[٣] الكبر ١٩١
[٤] العجب والغرور ١٩٣
[٥] الحسد ١٩٧

[٦] تقديم المفضول على الفاضل بسبب الشهرة ١٩٩
حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا ٢٠١
موعظة وتذكرة ٢٠٦
حياة العبودية لهم خير لو كانوا يعلمون ٢١٣
الإخلاص ٢١٥
الاتباع ٢١٧
محبة الله تعالى ٢٢١
الخوف من الله تعالى ٢٢٥
الرجاء ٢٢٨
أتقياء أخفياء ٢٣٢
هل تعرف جليبيبًا ؟ ٢٣٣
وماذا تعرف أيضًا عن ذي البجادين ؟ ٢٣٥
حدير ٢٣٧
سعيد بن عامر ٢٣٩
أويس بن عامر القرني ٢٤١
الخاتمة ٢٤٤
الفهرس ٢٥١